وصف مصر
الترجمة الكاملة

وصف مصر

الحياة الاقتصادية فى مصر
فى القرن الثامن عشر
النظام المالى والإدارى فى مصر العثمانية

الجزء الثانى



تأليف
علماء الحملة الفرنسية

ترجمة
زهير الشايب

دار الشايب للنشر
١٠ ش سليمان الحلبى – التوفيقية
ت : ٥٧٤١٣٧١ - ٥٧٢٦٨٣٠

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

هذا هو المجلد الخامس من الترجمة العربية الكاملة لكتاب وصف مصر ، وهو فى الوقت نفسه الجزء الثانى مما أسميته « الحياة الاقتصادية فى مصر فى القرن الثامن عشر » ، وهذا التبويب أو التصنيف الجديد لموسوعة وصف مصر هو اجتهاد خاص بالترجمة العربية أرجو أن أكون قد وفقت فيه ، مع العلم بأننى قد وجدت ذلك ضروريا للغاية ، ولأسباب عديدة ، على نحو ما أوضحته فى مقدمات المجلدات الأربعة السابقة .

ويضم المجلد الذى بين أيدينا أبوابا ثلاثة ، آثرت أن أطلق على كل منها اسم كتاب تيسيرا على القارىء من جهة ، ولكى أسهل على نفسى من جهة أخرى تقديمه فى ترتيب واضح ، وحرصا منى على عدم تداخل مدلولات ألفاظ فى التبويب مستقرة ، وإن كنت أرجو ألا أكون بسعيى وراء ذلك قد فعلت فى سبيل تحقيقه ، عكس ماكنت أبغى .

أما الكتاب الأول من هذا المجلد فيضم دراسة عن نظام الضرائب على الأطيان الزراعية التى كانت الأرض ، أوبمعنى أدق كان الفلاح ملزما بسدادها كل عام . ومؤلف هذه الدراسة هو لانكريه المولود فى عام ١٧٧٤ والمتوفى فى عام ١٨٠٧ ، وهو كما يذكر المؤرخ المصرى الكبير عبد الرحمن الرافعى فى الجزء الأول من موسوعته « تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر » من علماء الرياضيات ، ومن مهندسى القناطر والجسور ومن علماء الآثار ، وله أبحاث مستفيضة عن آثار الوجه القبلى نشرت فى وصف مصر ، كما أن له بحثا جغرافيا عن الفرع الكانوبى من فروع النيل القديمة ، وقد تولى العمل فى اللجنة المكونة لنشر وصف مصر فى عام ١٨٠٥ .

ويضم الكتاب الثانى دراسة هامة عن موارد الخزينة المصرية وإنفاقها ، ولتغطية ذلك كله قامت الدراسة بمسح شامل للنظام الإدارى فى مصر فى العصر العثمانى ، وهذه الدراسة من وضع الكونت استيف مدير خزانة الحملة فى البداية ثم مدبر الشئون المالية لمصر فى أواخر هذه الحملة الفرنسية ، ويمكن القول بأنها وضعت على أساس ما جاء بسجلاته وأوراقه ، بمعنى أنه ليس كاتبها كما نلمس ذلك من مقدمة فوربيه التى نشرناها فى المجلد الأول فى طبعته الثانية .

ويحوى الكتاب الثالث ثلاث دراسات قصيرة عن بعض الصناعات المصرية التى اكتفى المسيو جيرار فى دراسته عن الزراعة والصناعات والحرف والتجارة فى مصر بأن يشير إليها إشارة عابرة أو بأن يقدم موجزا مركزا عنها محيلا الى الدراسات الثلاث التى نشرتها هنا ، وكنت أزمع أن أنشرها ملاحق لدراسة جيرار (وهى المجلد الرابع من الطبعة العربية) لكننى خشيت أن يزيد حجم المجلد الرابع اكثر مما ينبغى، ولذلك فإننى أقدمها هنا مشيرا فى الوقت نفسه الى موضعها فى دراسة جيرار استكمالا للفائدة . أما هذه الدراسات الثلاث فهى : دراسة عن معامل التفريخ وهى تنقسم بدورها الى قسمين ، قسم كتبه روزيير ، وهو مهندس مناجم له ابحاث مستفيضة عن أحجار مصر ومعادنها وجيولوجيتها ، كما قام برسم أحجارها وصخورها ومعادنها ، ونشر ذلك كله فى وصف مصر ، أما القسم الثانى فكتبه الكيميائى الصيدلى روييه ، ثم دراسة عن طريقة صنع ملح النوشادر، وهى من تأليف ديكوتيل،وهو كيميائى عين بعد انتهاء الحملة كبيرا لمهندسى المناجم فى فرنسا وكان عضوا بالمجمع العلمى المصرى شعبة الطبيعيات ، أما الدراسة الثالثة فهى من وضع بوديه كبير صيادلة جيش مصر ، وعضو المجمع العلمى المصرى (طبقا لما جاء بوصف مصر) والحائز على وسام الشرف .

وسوف يلاحظ القارىء بعض التكرار فى « الكتابين » الأول والثانى ولكنه تكرار تقتضيه طبيعة المعالجة لموضوع واحد ، وإن كانت وجهة كل من الدراستين مختلفة كما أن منهاجيهما يختلفان .

ويبقى علينا بعد ذلك لكى تكتمل ما أسميته موسوعة « الحياة الاقتصادية فى مصر فى القرن الثامن عشر » أن أقدم دراستين أخريين

أمـــا دراسته عن الموازين العربية فى مصر ، ودراسة أخرى عن النقود العربيـــة فى مصر وكلتاهما من تأليف صـــامويل برنار ، وهما معا تكونان المجلد السادس من هذه الترجمـــة العربيـــة ، وكنت أود أن ألحق بهمـــا دراســـة جيرار عن المقـــاييس فى مصر القـــديمة ، وهى دراسة تقع فى مجلدات وصف مصر عن العصور القديمة (لمصر) ، باعتبـــار أن هـــذه المقاييس كما ذكر جيرار نفسه فى المجـــلد الرابع (من الترجمة العربية) تكاد تكون هى المقاييس نفسها التى كانت لاتزال تستخدم فى مصر عند مجىء الحملة الفرنسية ، لولا أننى أخشى الا يكون الجمع بين دراسات تتنـــاول الدولة أو الحالة الحديثة فى مصر وتلك التى تتناول عصور مصر القـــديمة أمرا موفقا ، أو أنه قد يصيب ببعض البلبلة لدى القارىء .

ولقد واجهت صعوبات عدة فى تحقيق أسماء بعض الأماكن والوظائف التى جاءت فى دراسة الـــكونت استيف عن النظام المـــالى والإدارى لمصر ، كما لابد أن أشـــير كذلك لصـــعوبة تحقيق أســـماء بعض القرى والقبائل ، بل وأحيـــــانا بعض الجهـــــات (او أجـــزاء القـــرى أو الأحـــواض) وكذلك بعض أســـماء الأفـــراد المستفيدين من المخصصات أو الصدقات أو نحو ذلك — وقـــد يكون ذلك أمرا جانبيـــــا أو ثانويا لا يؤثر مطلقـــا فى ســـياق الدراسة ، لـــكن له أهميتـــه القصوى فى نظرى ، وبخاصة كلما تبينت أنه قـــد يكون على جانب أكبر من الأهميـــة لبعض دارســـين سيتناولون هذه الأمور نفسها ولـــكن فى مجال مختلف ، ولذلك فقد انفقت فيهـــا وقتـــا طويلا ومشقة اكبر وأرجو أن أكون قـــد ابتعدت كثيرا عن مواطن الخطأ .

كما استميح القارىء عذرا لأننى ادخلت بعض تعديلات وجدتهاضرورية فى تنسيق الجداول الـــكثيرة فى دراسة استيف لتصـــبح أكثر وضـــوحا — هكذا تصورت — عند قراءتها .

ومع أننى واحد ممن يماون التكرار الا أننى لا أمل مطلقامن اســـداء الشـــكر لـــكل من آذروا هـــذا العمل وأخذوا بيـــده منذ كان مجرد فـــكرة وحتى الآن بعد أن قطع هـــذا الشوط وفى مقـــدمة هؤلاء الأخ الدكتـــور عبد العزيز الدسوقى رئيس تحرير مجلة الثقافة الذى لا يفتـــأ يقـــدم من الخدمات لهذا العمل مايؤكد صحة قولى حين اعتبره — ومجلة الثقافة —

شريكين حقيقيين فى انجاز هـذا العمل ، ولابد كذلك أن أوجه شكرى لكل الاقـلام الجـادة والمسئولة التى رحبت بالعمل ، وفى أحيـان كثيرة دون صلة شخصية تربطنى بهم من أى نوع ، وهو الأمر الذى شرفنى بحق وزاد من إيمـانى وثقتى بأن كل الأقـلام وكل النفوس الشريفـة — أيا كانت مشاربها — تنبض بحب مصر ، التى لا اجد سواها وسـوى إخوتى فى الوطن ، المصريين ، لأتوجه بعملى هذا .

ولابد من توجيه شكر خاص للمؤرخ الـكبير الدكتور عبـد الرحمن زكى ، وللأخ الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن ، وللاستاذ رينيه خورى ، وللسيدة زوجتى التى ساندتنى بكل ماتستطيع ، فى الظروف العصيبة التى كدت ان افصـل فيها من عملى بسبب إصرارى على إتمام ترجمـة هـذا السفر الـكبير .

كما لابد لى أن أظل أذكر بالخير كل من عاون بالنصح أو التوجيه أو الإرشاد أو حتى بكلمة طيبـة ، وكل من عاون فى إخراج هذا العمل إلى حيز الوجود بدءا ممن أتاحوا لى فرصـة الحصول على الأصل الفرنسى إلى عمال الطبـاعة إلى مكتبة الخانجى التى أسهمت فى الإنفـاق على هـذا العمل الى الموزع الذى أتاح وصـول هذا العمل إلى يد القارىء الكريم. كما لابد ان أوجه شكرا خاصـا للجنة التفرغ بوزارة الثقافة التى تحملت مشكورة عبء تفرغى لاتمام هذا العمل الـكبير ، ولابد من توجيـه شكر واجب للجنة المختصة فى المجلس الأعلى للفنون والآداب التى قررت منحى جائزة الدولة التشجيعية عن ترجمة المجلدات الأربعة السابقـة وأوصت مشكورة وبعبارات طيبة للغاية بضرورة تشجيع هذا الجهد .

والله سبحانه وتعالى أسأل التوفيق والعون والسداد .

زهير الشايب

القاهرة ، سبتمبر ١٩٧٩

فهـــرس

صفحة

صفحة

الكتاب الأول

الريف المصري في عصر المماليك العثمانيين

تأليف : لانكريه

العنوان الأصلى للدراسة :

« دراسة فى نظام الضرائب على الأطيان ، وفى الإدارة الإقليمية فى مصر ، فى السنوات الأخيرة من حكم المماليك »

تشكل حكومة المماليك(١) فى التاريخ المصرى فصلا شاذا لدرجة يبدو معها أن من المفيد أن نجمع كل ملامحه وأن نحفظها بعناية فى ذاكرتنا ، كما يحتفظ علماء الطبيعة من بين كل معطيات الطبيعة الجميلة بغرائب المخلوقات وشواذها .

وليس ثمة واحد من الرحالة الذين سبقونا قد أولى عنايته بدراسة نظام الملكية والادارة فى الريف ، ومع ذلك فان هذه الأمور التى كان من العسير عليهم أن يدرسوها ابان زياراتهم للبلاد ، تشكل فى كل الدول جزءا اساسيا من نظام الحكم ، يستحق الدراسة .

ولقد كان الجنرال كافاريللى قد جمع حول هذا الموضوع عددا كبيرا من المعلومات ، فلقد كان يحب هذا النوع من الاهتمامات ، ولم يكن ثمة من يستطيع أكثر منه الالمام بسهولة بتفاصيل التشريع ، وبالخيط الذى يربط بينها جميعا ، لكنه رحل عنا واختفت معه معظم المعلومات التى جمعها ، وكم تجعلنا الملاحظات التى أمكننا العثور عليها فى أوراقه والتى تمس هذا الموضوع نشعر بالأسف لأنه لم يتم عمله . اننى أبعد ما أكون عن القدرة على أن أحل محله ، لكننى سوف أحاول على الأقل أن أقدم بعض المعلومات المفيدة لمن يرغبون أن يأخذوا على عاتقهم مثل هذه الدراسات .

وقبل الدخول فى الموضوع ، سوف أقدم بعض الأفكار العامة عن صعوبة الرجوع الى أصل غالبية العادات السائدة فى مصر .

ليس ثمة سوى قليل من البلدان التى خضعت على الدوام لحكم الغير يمكن القول بأنها قد خضعت لهذا العدد من السادة الأجانب الذى خضعت له مصر ، وفى مقابل ذلك فليس ثمة بلد استطاع بفضل سطوة طباعه وتقاليده أن يسجل مثل هذه الانتصارات الكثيرة على غزاته وأن يقوم

---

(١) قرىء هذا البحث فى المعهد العلمى المصرى فى الأول من فريمير من العام التاسع (٢٢ نوفمبر ١٨٠٠) .

[illegible] ، ولهــذا السبب
[illegible] بعدها التي كانت
[illegible] حتى أيامنا هذه ، برغم
القرون [illegible] الذين تنابعـوا ،
[illegible]

[illegible] حول عبادة
[illegible] أنكرها كلية(١) . وفي
[illegible] الذين تحدثوا عنها قد أخطأوا
[illegible] تصـاحب حصاده ،
[illegible] عبادة للعنب والقمح تلك
[illegible] العنب وحصـــاد
[illegible]

[illegible] فيها البصل
[illegible] ساهمت [illegible] كهــذا في
[illegible] كل ولاية البحيرة بل والاقاليم
[illegible] ، ويتمتع بصـل
[illegible] يدعون أن البصل
[illegible] ويقوم الفلاحون بحصاد المحصـول في
[illegible] خمسة أيام عيـد ، فيأتي
[illegible] مكان العمل بأعداد كبيرة ، وبعضهم
[illegible] ابيضها وبخاصة الحلوى والبلح
[illegible] ولست أعلم ما ان كان حصـاد
[illegible] في بقية أقسام مصر . وعلى كل فانه
[illegible] هذه العادة الى عيـد مماثل
[illegible] الرجالة [illegible]
[illegible] المألوفة ،
[illegible]

وبالاضافة لذلك ، فإن هي [illegible] ذلك أقل غموضا ، [illegible] ان يرزقن بالابن [illegible] حزنهن(١) . ومن جهة أخرى ، فإننا نعرف أن [illegible] عند المصريين ، الذين تعبير [illegible] الدلالة على الحزن الشديد .

وأخيرا فإن [illegible] الموجودة في كهوف طيبة [illegible] يقوم بصنع بعض الآنية والأدوات [illegible] عند شعب مصر الحديثة [illegible] من الطين الأحمر [illegible] اليوم بنفس الشكل الذي كان عليه [illegible] .

وتبدو هذه التشابهات التي [illegible] كي تجعلني أعتقد أن أصل كثير من العادات والتقاليد الحالية تعود الى عصور بالغة القدم وربما سوف تبقى [illegible] مستقبل غير مرئي .

ومع ذلك فإن [illegible] (أي تشابها) في صنع أصل [illegible] السلطان سليمان الأول . وفي الواقع فإنه [illegible] حاول الكثيرون أن يقوموا بها حول أصل [illegible] من النظام [illegible] على وجه التقريب — لا بعد من عصر السلطان [illegible] الأحاديث العامة كل القوانين التي يعمل بها حاليا في [illegible] الاستاذ فوريبه Fourier ان [illegible] هذه القوانين بل انه لم يكن يستطيع أن يفعل ذلك ، كما أثبت [illegible] التي يعتقد أنها من وضع سليم ليست إلا من وضع خلفه سليمان الأول والباشوات الذين حكموا مصر نيابة عنه ، كما فسر [illegible] الذي تقوم عليه الأحاديث العامة حين بين أن سليمان كان يتصرف على الدوام باسم والده سليم

---

(١) رأيت ومعي كثيرون من أعضاء لجنة العلوم والفنون هذه المشاهد في الاقصر .

(*) الكاتب حاليا .

وهو الرجل الذى حفرت انتصاراته الكبيرة ذكريات عميقة فى عقل الشـعب المصرى .

ولقد قدم لنا المسيو فوريبه — بينما هو يواصل قراءاته عن الثورات التى قامت بها مصر وعن تقاليد مختلف طبقات سكانها — كل ما أمكنه جمعه، ماسا بنظام ادارة الإراضى التى تعود فى معظم تفاصـيلها الى مثـابرة الأقباط . كما قـدم لنا المسيو فوريبه لمحة عامة عن ظروف الفلاحين وعن نظام الملكيـة (*) .

إن الغاية التى اضعها على عاتقى هنا هى ان آخذ هذا الجزء من اللوحة التى رسمها وان انميها بكل العناية التى تقتضيها ، وبذلك اصل الى عرض لنظام ادارة الأرض الزراعية .

وسوف لا أعتبر المماليك فى البداية الا كمجرد ملاك للارض، وسوف نرى بعـد ذلك مقـدار الضرائب التى كانوا يحصلونها كحكام(١) .

١ — الوسائل المختلفة التى تملك بها الأرض أنواع الملكية : الضرائب الرئيسـية

يوجد فى مصر ثلاث طبقات من ملاك الأراضى الزراعيـة : الفلاحون (فلاح) ، الملتزمون (ملتزم) أو السادة ، واخيرا المساجد أو ملاك الأراضى الموقـوفة .

ان معظم الفلاحين فى اية قرية هم ملاك اراضـيها ، أى ملاكهـا الحقيقيون، بمعنى انهم يستطيعون أن يهبوها أو يبيعوها الى فلاحين آخرين(٢)

(*) انظـر مقدمة المسـيو فوريبه سـكرتير المجمع العلمى المصرى للوحات وصف مصر التى نشرت مقدمة للطبعة الثانية من المؤلف الضـخم والتى نشرناها نحن ملحقة بالمجلد الأول من الترجمة العربية فى طبعتـه الثانية تحت عنوان مصر والحملة الفرنسية . (المترجم)

(١) ينبغى أن أوضح اننى سأفترض فيما يلى أن مختلف القـوانين والعادات ماتزال سارية بأكملها، ذلك لأن هدفى هو أن ابين حالة الأمـور كما كانت قبل مجىء الفرنسيين الى مصر .

(٢) نادرا ما يبيع الفلاحون ارضهم لأن الأراضى عادة بخسة القيمة ، واذا ما أصبح فلاح ما حائزا على وسائل الزراعة فانه يحصل على الأرض دون شرائها . وفى نفس الوقت فانه من المؤكد ان الفلاحين كان حق بيعها، ولن نعدم أمثلة على ذلك .

ومهما كانت التغييرات التى تصيبها ، تبق على الدوام مقيدة بضريبة ، ويحمل الشخص الذى تؤدى اليه هذه الضريبة اسم : ملتزم أو سيد . وهو فى الواقع سيد هذه الأراضى اذ هو يستطيع أن يزيد أو ينقص من قدر الضريبة التىيحصلها من هذه الاراضى(١) ، كما انه يستطيع أن يعطيها أو يبيعها لملتزم آخر ، كما أن هذه الأرض تصبح من بعده ملكا لأبنائه، ثم انه فى النهاية يضمها الى ملكه الخاص اذا ما مات الفلاح المالك دون وريث،وهو الأمر الذى لايحدث بخصوص أنواع الملكيات الأخرى التى يمتلكها الفلاح حيث إن منزل الفلاح وأثاثاته وقطعانه تؤول فى حالة موته الى بيت المال وليس إلى الملتزم .

وعندما يموت الملتزم ، ينبغى على أولاده ، حتى يحصلوا على حق ارث املاكه ، أن يحوزوا موافقة الباشا ، وكانوا يحصلون على هذه الموافقة بأن يدفعوا له ضريبة محددة ، كان الاتراك ينظرون اليها — أى الى هذه الضريبة — باعتبارها شكلا من اعادة الشراء للارض وبدون ذلك تعود الأرض لتصبح من حق بيت المال . واذا ما مات مالك دون أن يخلف أبناء أو يكتب وصية فان ممتلكاته تؤول الى بيت المال ، ولكن اذا ما كتبت وصية فان تنفيذها يقع علىعاتق من كتبت لصالحهم أيا كانوا،وبذا يكون عليهم أن يدفعوا الضريبة الى الباشا .

ولست أود هنا وأنا اتحدث بشأن المواريث أن احاول التعريف بها لايضاح كيفية اكتساب الناس حق ملكيتها ، فسوف تواتينا الفرصة للعودة الى هذا الموضوع نفسه عند الحديث عن وظائف الأفندية (أفندى) .

وعندما يجد فلاح ما نفسه عاجزا لحد لا يستطيع معهان يزرع كل اراضيه فانه يقوم برهن جزء منهانظير مبلغ معين يستغله فى زراعة الجزء من الأرض الذى احتفظ به،وعندما يستطيع ان يرد المبلغ الذى حصل عليه فان الرهن يتوقف وتعود الأرض التى رهنها الى حوزته : ويسمى هذا النوع من الرهن : الغاروقة .

ولا يستطيع الملتزم أن ينزع من الفلاح الأرض التى يزرعها مادام —

---

(١) ربما لم تكن هذه الزيادات سوى انتهابات ، لكن هذه الانتهابات ظلت تمارس لوقت طويل لدرجة أن حق فرضها لم يعد يلقى مجرد الممانعة أو الاستنكار .

على الأقل — لم يلمس أن الفــلاح غير قادر على زراعتهــا — فى الحالة المخالفة — وما دام الفلاح نتيجة لذلك يقوم بدفع الضرائب المقررة ، لكن الفــلاح يحتفظ بحق العودة الى ارضه اذا ما تملك الوسائل التى تمكنه من سداد ما عليه من ديون متأخرة الى الملتزم(١) ، وبمعنى آخر فان الفلاحين يتمتعون بكل الحرية فى اختيار نوع المحاصيل التى يريدون أن يزرعوها فى أراضيهم فهم يستطيعون ان يبذروها بالقمح او الأرز أو الذرة حســـبما يتراءى لهم بشرط ان يدفعــوا الضريبة للملتزم وليس للاخــير أن يرغمهم على شىء .

والضريبة التى ينبغى على الفلاح أن يدفعها عن أرضه للملتزم هى ما يطلق عليه اسم المال الحر ، وهى على الدوام اكبر من ضريبة المـــــال الميرى ، وتسدد من ضريبة المال الحر هذه الضريبة المقررة للســـلطان (الميرى) وما يتبقى بعد تسديد هذا الميرى يكون من حق الملتزم ويحمل اسم الفايض (الفايظ) .

وقد تقررت ضريبة الميرى على يد السلطان سليم او بالأحرى على يد خليفته حسب الملحوظة التى سبق أن قدمناها . ويبدو أن الأتراك بعــد غزوهم لمصر قد وجدوا — عندما أرادوا أن يفرضوا ضريبــة على الأراضى لصالح سلاطين القسطنطينية — أن سجلات الضرائب كانت قد أحرقت ، واستوجب الأمر عندئذ أن يلجئوا الى المعلومات التى كانت لــدى أوجاق الجاويشية حول هذا الموضوع،وتبعا لذلك فقد قرروا الميرى لبـس بحسب فدان الأرض ولكن بالنسبة للقرية وحدة واحدة،ثم اقتسم الملتزمون فيما بينهم هذه المهمة بحسب مساحة ممتلكاتهم . وهذا التقسيم المبدئى للميرى بحسب القرى هو الذى استمر العمل به حتى اليوم . وقد كان الأمر بالغ الحيف حتى ان نسبة من المــال الحــر تبلغ ٥٠ مدينى كان يخصــص منها من للميرى ما يتراوح فقط بين ٢ الى ٢٠ مدينى .

وقد قرر سليمان — كذلك — فى بلاد الصعيد نظام دفع المـيرى عينا أى بمواد غذائية حتى يتسنى تأمين طعام جنود فرق الأوجاقلو ، التى أعاد تنظيمها . وما تزال لدى بعض التفصيلات حول جمع واستخدام الميرى سوف اعرضها عليكم عندما يحين وقت الحديث عن الادارة المختصة بانفـــاق المـيرى .

---

(١) يتوقف هذا كثيرا على ارادة الملتزم الخاصة .

ولقد استقر نظام المال الحر حسب عادة قديمة من عادات البـــلاد والتى اتاح لها السلاطين العثمانيون أن تستمر بعـــد أن أقروها بدورهم . ويبدو للوهلة الأولى أن هذه الضريبة كانت الضريبة الوحيده التى كان يحق للملتزمين تحصيلها بشكل قانونى ، لكنهم بعد ذلك وبالتدريج أخذوا يرغمون الفلاحين تحت ادعاءات مختلفة على زيادة نسبة هذه الضريبة ثم فرضـــوا عليهم ضريبتين جديدتين : الأولى ، ويبدو أنها لم تتقرر الا منذ حوالى مائة عام وتسمى المضاف ، والثانية، وهى لم تكن فى البداية الا نوعا من الهدايا التى كان يقدمها الفلاحون الى الملتزم،لكنها تأكـــدت بالتدريج وزادت حتى أصبحت فى بعض الجهات تدر أكبر مما يدره الفايض (الفايظ) ، ولكنها لم تتقرر بشكل منتظم الا منذ حوالى خمسين عاما،وكانت تعرف باسم : البرانى، اى الضريبة غير الاعتيادية .

وفى النهاية ، فان هاتين الضريبتين — حيث إنهما يعودان لنفـــس الأصل-كانتا تختلطان عادة بحيث أصبحتا ضريبة واحدة تحمل تبعا لاختلاف البلاد ولكن بدون اختلاف فى المعنى-اسم : المضاف او البرانى .

وقد استقرت هاتان الضريبتان الجديدتان على وجه الخصوص فى عهد على بك . إذ استولى هذا المملوك — بعد أن قضى قضاء شبه تام على فرقة الأوجاقلو ، والتى كان معظم أفرادها من كبار الملاك — استولى على القرى التى كانوا يمتلكونها ووزعها على أتباعه ، وزاد كثيرا من أعباء الفلاح وسار على نهجه فى ذلك كل الملتزمين الذين كانوا يدينون له ببعض الديون وذلك بأن فرضوا ضرائب جديدة وجائرة . وبعد عهده هذا ، جاء نظام محمد بك ، وبخاصة فى عهد ابراهيم بك ، ليتيح زيادات جديدة فى دخـــول الملتزمين ، ومع ذلك فقد بقى نفر قليل للغاية من هؤلاء الملتزمين ، من أولئك الذين كانـــوا يرون أن هـــذه الضرائب الجديـــدة ظالمة أو أولئـــك الذين لم يكن بمقدورهم تحصيلها — يكتفون بتحصيل المال الحر . وبهذا ، ومع استبعاد هذه الاستثناءات — وصل جشع الملتزمين ، وبخاصة المماليك منهم ، الى مداه .

انتهيت الآن من شرح الطريقة التى كان الفلاحون يتملكون بها الأرض وكيف كانت ملكيتها تقسم بينهم وبين الملتزمين ، وسأتحدث الآن عن جزء آخر من الملكية كان فى حوزة هؤلاء الملتزمين،وهو يشتمل على الأراضى التى تتبعهم كلية والتى لم تكن تدفع من ضرائب الا ضريبة الميرى . وهذه الأراضى التى

كانت تعتبر ملكية خاصة للملتزمين كانت تسمى أرض الوسية او أرض الملاك . ولم يكن هذا النوع من الملكية موجودا فى الصعيد بعد المنيا ، ولكن يمكن القول عامة أن أراضى الوسية فى مصر السفلى ، كانت تبلغ حوالى ١٠/١ من أراضى الفلاحين (*) .

وقد حاول الأتراك دون أن يكلفوا أنفسهم عناء الرجوع الى أصل نظام الملكية تفسير ذلك بأيسر السبل ، فظن الكثيرون أن الملتزمين هم مجرد فلاحين عند المالك الأكبر (السلطان) ، وأن ايجار الأرض هو ما يدفع تحت اسم الميرى وان فائدة هؤلاء الملتزمين تتكون من : ١ — الفايظ ٢ — اجمالى دخل أراضى الوسية . وعلى هذا النحو كذلك فسروا ضرورة قيام الملتزمين بدفع ضريبة الارث الى المالك الكبير (الوالى — السلطان) . لكن هذا التفسير ليس صحيحا . واليكم ما يمكن أن نستنتجه من فحص السجلات القبطية وما يعرفه كذلك الشيوخ المتعلمون وهو ما سوف نقدمه كملخص لكل ما قلته للتو .

تقدر الضريبة المسماة : المال الحر على مجموع أراضى القرية . ويحوز الفلاحون جزءا من هذه الاراضى يسددون عنه للملتزم المال الحر . أما الجزء الثانى فيزرعه الملتزم بنفسه أو يؤجره ويعود اليه كل ناتج هذا الجزء . ومن المال الناتج عن هذين الجزئين يدفع الملتزم الميرى المقرر على قريته من قبل الحاكم ، أما البرانى فهو ضريبة مستحدثة أضافها الملتزمون .

نتحدث الآن عن النوع الثالث من الملاك،وهم كما سبق أن بينت ملاك الأوقاف وملكيات المساجد .

كل ملكيات المساجد قد وهبت اليها فى فترات مختلفة ، وقد تمت معظم هذه الهبات قبل مجىء سليم بوقت طويل ، بل ومنذ الأوقات الأولى لاستقرار الاسلام فى مصر . وعندما تقررت ضريبة الميرى لم تخضع ملكيات المساجد

(*) يذكر الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن فى كتاب الريف المصرى فى القرن الثامن عشر أن هذه النسبة لم تكن ثابتة كما انها كانت أكبر من ذلك عادة فكانت تبلغ النصف أو الثلث أو الربع وأحيانا كانت تتجاوز النصف كما حدث فى قرية ميت بشار . (المترجم)

لهذه الضريبة مطلقا ، وظلت حرة تماما من اية ضريبة كما كانت من قبل وكما ظلت حتى اليوم .

وتحمل المخصصات الدينية باللغة العربية عادة اسم الأوقاف،ومعناه ما ينبغى أن يترك وما ينبغى أن يظل هكذا الى الأبد . ولعطاءات الأراضى اسم خاص هو الرزقة أو الاحسان ، لكن هذا العطاء لا يمكن أن يتم قبل الحصول على موافقة الباشا،وهى موافقة قلما كانت ترفض ، لأن هذه العطاءات ، وكل الأوقاف على وجه العموم ، كانت لها على الدوام اغراض دينية او خيرية ، كما كان بعضها يخصص لصالح المدينتين المقدستين (مكة والمدينة) ، أو للمستشفيات والمدارس .. الخ.كما كان يخصص بعضها لصالح بعض العبيد أو لبعض العائلات وأحيانا لعائلة مؤسس الوقف نفسه .

وقد بدأ تأسيس هذا النوع الأخير من الأوقاف ليتفادى الناس على وجه الخصوص اغتصاب المماليك ، فعندما كان يريد مالك ما أن يؤمن لخلفه جزءا من ثروته ، فقد كان يجعل منها وقفا لصالحهم ، وبهذه الطريقة كان خلفاؤه يحصلون على فائدة أخرى وهى اعفائهم من دفع ضريبة الوراثة للمالك الكبير ، ولهذا السبب فنحن ندهش من ان كثيرا من الملاك لم يجعلوا من ممتلكاتهم أوقافا . ومع ذلك فقد كان ثمة ما يمنعهم من ذلك وهو أن الاوقاف ليست قابلة للبيع والشراء ، فهم بوقفها ينزعون عن أنفسهم ، وكذلك عن خلفهم ، الى الابد،حق بيع هذه الثروات حتى فى حالة ما اذا احتاجوا لذلك، ومن جهة أخرى فمن المحتمل أن الحكومة — عندما سمحت بانشاء بعض الاوقاف — لم تشأ أن تحول كل الملكيات على هذا النحو ، لذا فقد كان على الملتزمين عندما كانوا يريدون انشاء مثل هذا النوع من العطاءات ، وحتى يحصلوا على موافقة المختصين أن يخصصوا جزءا من هذه العطاءات لمنشآت دينية على أن يؤول ما يتبقى من هذا العطاء الى المنشآت الدينية كذلك فى حالة انقراض ذريتهم .

وفى العادة ، عندما كان ينشىء ملتزم ما رزقه ، فإنه كان يأخذ الأراضى التى خصصها لذلك من أراضى الوسية ونادرا ما كان يأخذها من أراضى الفلاحين الذين يدفعون له الضريبة ، ومع ذلك ، فقد كان فى كلتا الحالتين يتنازل عن كل الضرائب التى كان يحصلها منها بل وكان يعفيها أيضا من ضريبة الميري وذلك بأن يتكفل هو بأن يسدد ما عليها من ضريبة من بقية دخله . وعلى الرغم من ذلك — وهذا فى الحقيقة أمر نادر الحدوث — فانه

اذا ما قام أحد الملتزمين بايقاف جزء كبير من ممتلكاته على مسجد ما أو أوقف عليه قرية بأكملها فان المسجد فى هذه الحالة يصبح ملتزما ويكون مكلفا بدفع الميرى المفروض على أراضى هذه القرية ، وتلك هى الحالة الوحيدة التى تكون فيها الأراضى المملوكة للمساجد خاضعة لهذه الضريبة المستحقة للمالك الكبير ، اذن فيمكننا أن نقول على وجه العموم أن الممتلكات العقارية الخاصة بالمساجد و المنشآت الدينية الأخرى كانت معفاة من كل انواع الضرائب ، وكان كثير من ملاك هذه المنشآت حتى يحصلوا على حماية الباشا فى عملية جمع دخولهم يدفعون له ضريبة صغيرة تسمى : مال حماية .

وكما قلت فانه لا المساجد ولا ملاك الأوقاف الآخرون كان لهم حق بيع هذه الأراضى ، لكنهم كانوا يستطيعون أن يهيئوا لها نوعا من التنازل يسمى : المدة الطويلة — وكانت هذه المدة تستمر فى العادة تسعين سنة . وكان هؤلاء الملاك يحصلون من هذا البيع المؤقت على مبلغ معين يدفع دفعة واحدة ثم على ايجار سنوى يسمى : أجر وهو يستخدم على نحو ما كحفظ لحق الملكية فى هذه الأراضى أو العقارات . واذا ما حدث بعد مضى هذه التسعين عاما أن ظلت الأراضى أو المنازل التى بيعت بهذه الطريقة على نفس الحالة التى كانت عليها من قبل فانه يكون من حق المالك ان يستعيدها . اما اذا كانت الأرض قد زرعت بالأشجار ، أو اذا كانت قد أدخلت تحسينات على المنزل ، فان العقار يظل فى حوزة الشخص الذى أدخل هذه التحسينات بشرط أن يظل يدفع على الدوام الايجار السنوى الى المالك الأصلى، واذا ما نشأت منازعات بين الطرفين فان القاضى يقوم بالفصل فيها .

ولم تكن المساجد تستغل عائد مثل هذا البيع الا لكى تشترى عقارات أخرى ، كما أن هذا التحويل لم يكن يسمح به الا للممتلكات التى تكون فى حالة سيئة . ومع ذلك فيمكن لنا أن نستنتج أن كثيرا من ملاك الأوقاف كانوا يبيعون فى معظم الأحيان بهذه الطريقة عقارات ذات قيمة عالية ، ولا يمكن تصور ذلك الا على أنه وسيلة للافلات من القانون، حيث إن مثل هذا البيع لم يصبح أمرا معتادا الا بالنسبة للاوقاف التى لم تكن بحكم اسمها ونظامها لتسمح بالتصرف فيها .

كان لكل وقف ناظر أو مدير ، وهو فى العادة واحد من نسل مؤسس الوقف ، وكان هذا الناظر يقوم عادة بجمع ريع الوقف ويقوم كذلك بتوزيعه حسب ارادة مؤسسه كما سجلها فى حجة الوقف .

وكانت كل الرزق تسجل بمعرفة أفندى مكلف خصيصا بهذا الأمر ولم يكن هذا الأفندى عضوا فى هيئة أفندية الميرى الذين سأتناولهم بالحديث فيما بعد . ولكن قبل أن أنتقل الى فقرة أخرى سأتوقف قليلا كى أقدم ملاحظة تبدو لى ذات فائدة جمة .

نستطيع أن نستنتج أن مختلف الملاك ، فى ظل نظام قمع كهذا الذى كان موجودا فى مصر منذ وقت طويل لم يكونوا ليستشاروا فى وضع الضرائب — برغم أن كل واحد منهم كان سيداً فى دائرته — بحيث تكون الضرائب متماثلة والعادات (*) موحدة فى كل أنحاء الدّولة . لذا فقد كانت هناك اختلافات كثيرة بهذا الخصوص من منطقة لأخرى . ومع ذلك فقد كانت معظم العادات الخاصة بكل قرية مدونة فى سجلات بالغة القدم يسيرون حسب ما جاء بها أو يبتعدون عنها قليلا أو كثيرا بحسب الظروف .

ومن بين معظم المعلومات التى جمعتها ، اخترت اكثرها عمومية وهى التى تشكل نظام الملكية والضرائب ، وسوف أواصل على هذا النحو فى كل ما سيلى ذلك دون أن أهمل الأمور الخارجة عن المألوف اذا ما كانت هامة ويعمل بها فى أماكن كثيرة ، وحيث إن الكثير من هذه الأمور غير المألوفة كان يعمل بها فى صعيد مصر فسوف أخصص لها فقرة خاصة .

٢ — ادارة الأراضى

كانت أراضى الفلاحين وكذلك أراضى الوسية فى كل قرية مقسمة كل منها الى ٢٤ جزءا . وكانت هذه الـ ٢٤ **جزءا** تعود الى ملتزم واحد أو الى عدة ملتزمين . وكان يبلغ نصيب قرية فى بعض الاحيان عشرين ملتزما . ويتملك الملتزم على الدوام من قراريط وأجزاء من قيراط من أراضى الوسية بقدر عدد القراريط أو اجزاء **القيراط** التى يمتلكها من أراضى الفلاحين . وقد استقرت هذه العادة لحد أن الملتزم لم يكن يستطيع مطلقا أن يبيع جزءا من أراضى الفلاحين دون أن يبيع جزءا مساويا من القراريط من أرض الوسية .

ومن السهل أن نعثر على سبب هذه العادة وأن ندرك كيف كانت هذه

(*) نوع من الأتاوات وكان يحصلها الملتزمون وفئات أخرى من رجال السلطة كما سيتضح فيما بعد . المترجم

المــادة مفيدة لكل من الفلاحين والملتزمين على حد سوء . واليكم كيف امكننى استنتاج ذلك .

حيث إن عائد اراضى الوسية هو نسبيا الأهم والأكبر بالنسبة للملتزم بينما زراعتها تشكل عبئا باهظا على الفلاحين فى بعض الاحيان حيث هم فى بعض المناطق يرغمون على زراعتها بطريق السخره . وحيث إن أراضى الفلاحين فى مقابل ذلك هى الأكثر نفعا لهؤلاء ، فنحن من هنا نستطيع أن نرى كيف يهم الملتزمون أن يتملكوا بقدر الامكان ما يستطيعون من أراضى الوسية ، وكيف يهم الفلاحون فى نفــس الوقت وبنفس القــدر ألا يدعوا الملتزمين يتملكون الا اقل ما يستطيعون من هذه الأراضى . وهكذا ينشــأ توازن يحفظ حقوق الطرفين . لكن هذا التوازن سوف يزول اذا لم يرغب الملتزمون انفسهم فى الاحتفاظ بهذا الحق فى العقــود التى يبرمونها فيما بينهم . وفى واقع الأمر ، فاذا كان البائع لا يريد أن يبيع ســوى أراضى الفلاحين ، فان المشترى فى المقابل لا يريد أن يشترى الا أراضى الوسية . ومن اختلاف المصالح هذا ينتج بالطبع الحل الوسط وهو الذى يقضى بأن يلحق دائما بعدد معين من قراريط أرض الوســية عددا مساويا من قراريط ارض الفلاحين .

من هذا الشرح نستطيع أن نرى أن الملتزم لا ينبغى أن يتملك أراضى الوسية فقط . ولسنا نعدم أمثلة لتاكيد ذلك وان كنا نجد من جهة أخرى أن اراضى بعض القرى لاتشتمل على أراضى وسية .

أعود الآن الى ادارة الاراضى وسوف اتحدث على التوالى عن أراضى الفلاحين ، وأراضى الوسية ، وأراضى المساجد .

يختار كل ملتزم من بين الفلاحين الذين يمتلكون الاراضى التى يدفــع منها حصته فى الضرائب ، مزارعا رئيسيا ليصبح رئيسا للاخرين ويحمل اسم شيخ البلد . ويحدث ايضا أن تكون ممتلكات الملتزم فى قرية واحدة بالغة الاتساع ، وعندئذ يقوم هو بتقسيمها حسبما يتراءى له الى أجزاء عديدة ويعطى رياستها لعدد مساو من المشايخ المختلفين ، مما يؤدى إلى أن يوجد فى بعض القرى-سواء كانت أراضيها تتبع ملتزما واحدا او عدة ملتزمين-عدد كبير من مشايخ البلد يبلغ فى العادة من ٨ــ١٠ مشايخ ، وليس من النادر أن نرى هذا العدد يرتفع ليصل الى ما فوق العشرين .

ويمارس شيخ البلد مهمة الادارة (البوليس) على الفــلاحين الذين

يزرعون جزء الاراضى الذى يشرفون عليه ، ومنه وحده يطلب الملتزم عائد الضريبة حيث قد ترك له مهمة جمعها من ايدى الفلاحين . ونتيجة لذلك فللشيخ الحق فى أن يأمر بضربهم بالعصى او بحبسهم فى منزل ارض الوسية(١) حتى يسددوا ما عليهم من ضرائب ، ومن جهة أخرى فان الشيوخ بدورهم أكثر حرصا على الا يهملوا اية وسيلة تؤدى بالفلاحين أن يدفعوا ما عليهم،ذلك أن الملتزم سوف يوقع جزاءه عليهم اذا ما أحس منهم بأى تراخ فى تحصيل الضرائب .

وعندما يموت أحد مشايخ البلد فان الملتزم يختار عادة خلفا له واحدا من ابنائه يخلع عليه « شال وبنيش » ، ويقدم له الشيخ الجديد بدوره كى يشكره هدية تسمى : تقدمه،وهى عبارة عن حبوب ونقود فضية بل وتقدم احياناً فى شكل حصان ، وزيادة على ذلك فثمة قرى يلزم مشايخها بأن يعطوا للملتزمين عددا معينا من البوطاقات(٢) ، وفى قرى أخرى لا تقدم مثل هذه العطاءات الا مرة كل ثلاثة أو أربعة أعوام ، وفى بعض القرى لا تسرى مثل هذه العادة .

وبخلاف ذلك فلكل من المشايخ وكبار الملتزمين-مثل البكوات وكبار المماليك-مباشر أو وكيل يختارونه كما يتراءى لهم من بين الأقباط ، وكانت وظيفة المباشر الأساسية أن يشرف على الصرافين فى دائرته وأن يمسك بدفاتر لتسجيل الدخول بمجرد تسديدها وكانت تودع لديه سجلات الميرى وواحد من كل من سجلات المال الحر(٣) والبرانى الخاصة بكل قرية ، وبالاضافة الى ذلك فهناك سجلان لهاتين الضريبتين الأخيرتين : واحد فى يد الصراف ويودع الآخر وهو الخاص بالفلاحين لدى الشاهد (*) .

وفى العادة لم يكن لكل قرية سوى صراف واحد يختاره المباشر القبطى ، والصراف هو الآخر وعلى الدوام قبطى ، وكانت مهمته تحصيل الدخول والتأكد من قطع النقد وهو مسئول عن قيمتها ، وكان الصراف فى ضمانة المباشر، فهو مسئول عن تسديد ما قد يتبين من خطأ أو نقص فى الايراد . ويعمل تحت رياسة المباشر القبطى كذلك عدد من الكتبة بحسب حجم مسئولياته .

---

(١) حيث يقيم حكام القرية من المماليك
(٢) تساوى البوطاقة ٩٠ مدينى — وكل ٨٠ مدينى = فرنك واحد .
(*) ستوضح فيما بعد وظيفة الشاهد — المترجم .
(٣) لم يكن هناك سجل عام للمال الحر فى مصر .

وعنــدما لا يكون للملتزم مبــاشر فانه يقـــوم بنفســـه بتعيين صرافيــه .

والشاهد على الدوام واحد من فلاحى القرية ، ويشترط فيه أن يعرف الكتابة والحساب ، وهو على نحو ما رجل الفلاحين فهو الذى يســير مصالحهم ، وهو يمسك كشفا بالأموال التى دفعها الفلاحون على مــدار العــام لكى تخصم عند تحصــيل الضريبة ، وليس للقرية الا شاهد واحد ويختار من قبل الفلاحين . وينبغى أن يحوز قبول الملتزمين أو أكبر هــؤلاء الملتزمين نفــوذا .

واذا حدث أن بعض قطع الأرض لم تصلها مياه الرى فان الملتــزم يأمر بقياسها حتى لا يكلف الفلاحون الا بدفع الضريبة التى تتناسب مــع مساحة الأرض التى يمكن لهم زراعتها ، وفى بعض الأحيان يرســل لهذا الغرض مساحا قبطيا ، ولكن هناك فى معظم الأحيان واحدا من أهالى القرية، مكلفا بادارة زراعة أراضى الملتزم ويسمى : الخولى ، وهو الذى يقـــوم بمساحة الأرض وقياسها بينما الصراف يدون ويحسب . ويشهد هذه العملية شيخ البلد الذى تتبعه هذه القطعة من الأرض ،.ويشهد هذه العملية أيضا القائمقام فى حالة كون قطعة الأرض التى لم ترو كبيرة المساحة .

وفى القرية التى يكون بها عدد من الملتزمين وبالتالى عديد من الخولة فان الخولى الأكثر نعلبما والأكثر نفوذا يكلف بالتمييز بين الملكيات الخاصــة للزراع .فى حالة ما إذا كانت سببا فى تفاقم النزاعات بينهم ، والخولى فى معظم الأحيان لا يعرف لا القراءة ولا الكتابة ويحتفظ بمعلوماته فى ذاكرته وحدها ، لذلك كان المعتاد أن يخلف الابن أباه فى وظيفة المســاحة ، وفى نفس الوقت ، فانه اذا حدث أن ارتكب الخولى بعض الأخطاء فى قيــاسه فان شيوخ البلد يبلغون أمره الى اقوى الملتزمين نفوذا ويرشحون له فى نفس الوقت رجلا قادرا على أن يحل محله ، عندئذ يعزل الملتزم الخولى المخطىء ويعين الرجل الذى رشحه الشيوخ خوليا بدلا منه .

وتدفع الأراضى المنزرعة نخيلا فى بعض البلاد بحسب مساحة الزرع وفى بلاد أخرى تحدد الضريبة على هذه الأراضى بعدد النخلات .

وتخضع العادات التى كانت متبعة فى ادارة أراضى الوسية لعدد كبير

من الاختلافات،اذ هى لا تختلف فقط من قرية لأخرى وانما تتنوع أيضا بحسب أهواء الملتزمين . وبرغم ذلك فاليكم ما كان يحدث فى العادة :

كان الملتزم اما أن يؤجر أرضه واما أن يزرعها بطريق السخرة . وفى الحالة الاولى يؤجر المالك أرض وسيته الى شيخ البلد الذى يدير فى نفس القرية زراعة أراضيه الأخرى . وثمن الايجار على الدوام أكبر من مجموع المال الحر والبرانى الذى تغله أراضى الفلاحين فى هذه القرية . وتتراوح هذه الزيادة من ١ — ٤ بوطاقات للفدان الواحد حسب جودة الاراضى وحسب اقترابها او بعدها من المدن ، لذلك كانت الأراضى المجاورة لبولاق تؤجر بسعر اكبر ارتفاعا .

وفى الحالة الثانية يكون للملتزم فى كل قرية من القرى التى تتبعه بصفة اساسية رجلان مكلفان بزراعة وحصد أراضيه (الوسية) ويسمى الأول : الخولى أو المشرف،ويسمى الثانى الوكيل أو المحصل .

ويقوم الخولى بالتنسيق مع مشايخ البلد بتوزيع الأرض على مختلف الفلاحين حسب حاجاتهم أو طلباتهم ، وهو — أو أى رجل آخر يوثق به — هو الشخص الذى تودع لديه الأموال اللازمة لدفع نفقات الفلاحين .

ويبدأ الوكيل القيام بأعماله عندما يحين وقت الحصاد ، فيمسك سجلا بكميات الحبوب المحصودة ويودعها فى بينه ويحضر معه شيخ البلد كشاهد، ويتلقى الفلاحون من ٤٥ الى ٦٠ مدينى عن زراعة الفدان الواحد . أما عن الحصاد فانهم يحصلون على مكيال من القمح او الشعير يساوى على أكثر تقدير ١/٢٦ من الأردب ، وذلك عن اليوم الواحد .

وفى الحالة الثالثة (*) ، وهى الحالة التى يتم فيها العمل فى أرض الوسية بطريق السخرة فان الخولى يظـــل على الدوام موزعا للاراضى ومشرفا على الزراعة،كما تبقى اختصاصات الوكيل بنفس الشكل الذى سبق أن أوضحناه .

وفى كل الحالات التى لا تؤجر فيها الأرض يقدم الملتزم كل الحيوانات

(*) من الواضح أنه كانت هناك ثلاثة طرق لاستغلال أرض الوسية :
١ — الايجار ، ٢ — الاستزراع بالاجر ٣—الزراعة عن طريق السخرة . (المترجم)

اللازمة للرى وكذلك البذور اللازمة ، ويعهد برعايه الحيوانات الى حارس يسمى : كلاف . وفى القرى التى تزرع فيها أراضى الوسية بالسخرة يحصل الناس الذين يعملون فى الأرض بالمحاريث على اجر ، ويعيش على هذا العمل بالدرجة الأولى أشد طبقات الفلاحين بؤسا .

والفلاحون مجبرون على تطهير القنوات والترع الخاصة لكن ينبغى على الملتزم أن يدفع لهم بحسب الأجر الذى اقرته العادة . والخولى كذلك هو الذى يقوم بالاشراف على العمل .

وكما تدار أراضى الوسية تدار أيضا الأراضى المملوكة للمساجد وكل الأراضى التى تسمى رزقة،أى أن الناظر يقوم بتأجيرها أو يعمل على زراعتها عن طريق خولى أو وكيل،وقد قيل لى أن الأراضى المملوكة للمساجد لا تزرع مطلقا عن طريق السخرة .

ولا أستطيع أن أنهى الحديث عن ادارة الأراضى دون أن أتناول بالحديث مختلف طبقات السكان وكذلك الطريقة التى تمارس بها حراسة الأمن بينهم.

هناك فى القرى بخلاف الفلاحين التابعين للمشايخ ، فلاحون لا يمتلكون أرضا ويستخدمون كأجراء عند أولئك الذين يتملكون الأراضى . وكثيرا ما يحدث أن يصبح هؤلاء الملاك انفسهم أجراء فى السنوات التى لا تصل الى أراضيهم فيها مياه الرى ، فهم عندئذ يتوجهون الى القرى التى يمكن أن تقدم لهم فيها فرص العمل . وليست هناك قرية مهما كانت صغيرة لا يوجد بها تجار للاقمشة الشعبية والمأكولات وكذلك بعض صناع الفخار (القلل والجرار) ، وبعض العمال بالاضافة لبعض البنائين والتجار ...السخ .

ويوجد فى كل قرية شيخ بلد أو يمكن القول بأنه مأمور التصفية أو وكيل الدائنين (السنديك) فى البلدة،فهو الذى يقوم على وجه الخصوص بوظائف قاضى المصالحات كما أنه يفصل فى الخلافات التى لها بعض الأهمية، وتمتد سلطته ليس فقط الى كل الفلاحين المزارعين وانما الى سكان القرية. ومنصبه هذا ليس مجرد منصب شرفى فهو يحصل عن طريقه على بعض الفوائد . فعلى سبيل المثال ، اذا جاء المماليك ليطلبوا مبلغا من المال أو كمية من الأغذية فان شيخ البلد الأول يعمل على جمعها دون أن يدفع هو من ثرواته ولا ينازعه أحد فى حقه هذا. واذا كان من الصحيح أن المماليك

كانوا يهتمون بأن يحولوا دون أن يصبح مشايخ البلد الأول شديدى الثراء وذلك بأن يقرروا عليهم وحدهم من وقت لآخر بعض المغارم ، فقد ظل مع هذا — منصب الشيخ الأول على الدوام فى أيدى اكثر اهل القرى ثراء . وكان هذا المنصب ينتقل فى العادة من الأب الى الابن لكن ثمة أمثلة على خروج المنصب من اطار عائلة ما ليذهب الى أخرى اكثر ثراء وأكثر نفوذا .

ومع ذلك فقد كانت توزان سلطة شيخ البلد ، واحيانا سلطة الشيخ الأول ، سلطة واحد من المزارعين يكون أكثر ثراء من الآخرين ، يعرف كيف يجمع حول نفسه تجمعا . ويرفض هذا المزارع أحيانا أن يدفع الضرائب المقدرة عايه ويرغم الصراف على الهروب من البلدة ويلجأ هذا الأخير الى الملتزم التابع هو له، فيتخذ الملتزم حينئذ الوسائل اللازمة لتحصيل عوائده .

ويحمل الخادم الأول عند شيخ البلد اسم : المشد ، وهو على نحو ما بمثابة بواب أو حارس للقرية ، فهو يعرف ويدل الغرباء الذين يصلون الى القرية على مسكن كل واحد من أهلها، ويتعهد بارشادهم الى الأمور التى يمكن أن يكونوا هم فى حاجة لمعرفتها : كالطعام ودواب النقل .. الخ، واجره المنظور عبارة عن بضع مئات من المدينى، يدفعها له الملتزمون لكنه يعرف كيف يزيد من امتيازاته عن طريق الهدايا التى يحصل عليها مقابل الخدمات التى يؤديها .

واليكم الآن قائمة بالأجور المقررة لمختلف الشخصيات العاملة فى ادارة الأراضى التى تعرضنا لها فى هذا الفصل :

صراف القرية : ويدفع له الفلاحون أجره :

١ — فهو يحصل على ٢ مدينى مقابل كل ٩٠ مدينى يحصلها .

٢ — وهو اما أن يحصل على طعامه من الفلاحين ، ويقوم المشايخ بتوزيع هذه التكلفة على الفلاحين أو يتلقى بدلا من ذلك فى نهاية العام مبلغا ثابتا تحدده العادة .

٣ — واخيرا فهو لا يعطى ايصالا بالـ ٩٠ مدينى التى حصلها الا اذا كان قد حصل بالفعل ٩٥ مدينى . وتحصل هذه الاتاوة لصالح المباشر القبطى حين يكون للملتزم مشد ، وفى الحالات الأخرى تكون هذه الحصيلة

عادة اقل(١) .

ويحصل **الشيخ** من المالك فى مقابل الخـدمات التى يؤديها له على اعفاء من البرانى عن قطعة الأرض التى يحوزها ، وهى قطعة محددة فى كل قرية ، وزيادة على ذلك فان المالك يقـدم له من ٣٠٠ الى ١٠٠٠ بارة كمنحة ، ويقدم له هذا المبلغ دلالة على الرضا أكثر منه كأجر ويسـمى : مساهمة المشايخ .

ويعفى **الشاهد** أيضا من البرانى عن جزء من أراضيه،ويحصل عـلى أجر ضئيل من الفلاحين بحسب مقدار الضريبة المقررة على كل منهم،لكن الأمر يختلف كثيرا من قرية لأخرى .

ويحصل **المشد** من الملتزم على ١٠٠ أو ٢٠٠ مدينى،ويسمى هذا الأجر: عادة المشـد.

ويدفع الملتزم كذلك الضريبتين الآتيتين :

عادة سقا دار الوسية : وهى تقرر لسقاء منزل المالك اذا كان يقطنـه الملتـزم .

عادة خدامين الوسـية : وهؤلاء الخدم هم : الخولى ، الوكيـل ، الكلاف ، المزارعين .

ويحصل **الخولى** من الملتزم فى مقابل العناية التى يقوم بها نحو زراعة اراضى الوسية والعناية بالترعة على :

١ — الاعفاء من البرانى عن بعض أرضه .

٢ — ١/٣ المنحة المخصصة للشيخ،كما يعطيه كل واحد من الفلاحين كذلك ١/٢٢ من الأردب من الحبوب باعتباره مساح القرية .

ويدفع أجر **الوكيل** عينا ويصل أجره السـنوى الى ١٠ أرادب من الحبـوب.

وحيث إن **الكلاف** مجرد خادم بسيط فان الملتزم يدفع أجـره حسب الاعتبارات الخاصة التى تقوم بينهما .

---

(١) عدد المسيو جيرار فى دراسة عن الزراعة والتجارة فى صعيد مصر الوسائل التى كان يلجأ اليها الاقباط لكى يحصلوا لأنفسهم جزءا كبيرا من دخول مصر .

واخيرا ففى المناطق من أرض الوسية التى تزرع بالسخرة يخصص الملتزمون — ان لم يكونوا شديدى الجور — كميات صغيرة من الحبوب الى اشد الفلاحين بؤسا .

٣

عن بعض العـــادات الخاصة في صــــعيد مصر

توجد اختلافات شديدة كما قلت بين عادات الصـــعيد وعادات مصر السفلى . وتعود هذه الاختلافات فى جزء منها الى الصعيد ذاته والى نمط الزراعة التى تقتضيها طبيعة ارضه،ومع ذلك فينبغى أن ننسب هذه الاختلافات اساسا الى بعد الصعيد عن العاصمة والى الاضطرابات المستمرة التى كان الصعيد مسرحا لها،ذلك انه يبدو أن اضطرابا كبيرا كان قد سيطر على ادارة كل انحاء هذه المنطقة منذ غزو عرب الهوارة حتى الوقت الذى اصبح فيه الشيخ همام رئيسا لهم . وفى أثناء الوقت الذى كان فيه الشيخ همام قويا تم ادخال كثير من التحسينات فى الزراعة على يديه وانتظمت الادارة بشكل عادل ، ولكن بعد موته حين اصبحت هذه البـــلاد مأوى للمماليك اللاجئين عـــاد الاضطراب الى كل مكان واضيفت تعديلات جديدة الى التعديلات التى سبق ادخالها والتى لا يزال الصعيد يحتفظ بجزء منها .

ومهما كانت هناك من أسباب يمكن لها أن تغير من عادات الصعيد ، فسوف اعرض هنا للاختلافات الرئيسية التى نلاحظها عندما نقارنها بالعادات فى بقية انحاء مصر .

فى كل الجزء من الصعيد الواقع بين جرجا وشلالات اســـنا ، فان الاراضى المتعلقة بكل قرية ليست موزعة على الفلاحين بأجزاء محددة كما فى مصر السفلى ، لكنها على نحو ما ملكية مشاعة للجميـــع وتوزع على كل حسب امكانياته فى الزراعة . وحيث أن عدد الفلاحين محدود على الدوام تقريبا بالنسبة لمساحة الأراضى القابلة للزراعة ، فانه يمكن لاى فـــلاح مهما كان المكان الذى ينتمى اليه أن يشارك فى التوزيع أى أن يحصل على جزء من تقسيم الأرض — وكانت هذه الارض تسمى : المساحة .

ولا يتوقف هذا النمط من الملكية فجأة عند جرجا بل هو يمتد الى كل الاقاليم الادنى حيث كان يعرف كذلك نظام الملكيات المحددة وكانت تسمى هذه

الأراضى ، وهى التى أقسامها المحددة كذلك ترتبط بعائلات بعينها ، بأراضى الاثر .

وكان اقليم الفيوم وكذا الجزء الأدنى من اقليم اطفيح يقسم ويدار بنفس الطريقة المتبعة فى أقاليم مصر السفلى وتدفع كذلك نفس الضرائب .

وللفلاحين فى مصر السفلى حق بيع أراضيهم فيما بينهم . لكن الفلاحين فى مصر الوسطى لم يكونوا مطلقا ليبيعوا أرض الأثر التى كانت تخصهم . أما تلك التى يتملكونها عن طريق الميراث فاننا نجهل ما ان كان لهم حق بيعها أم لا ولكن ، بما أن مساحة الاراضى كانت أكبر بكثير من عدد الفلاحين فقد كانت عمليات البيع لهذا السبب مستحيلة .

وتنقسم الضريبة فى مصر العليا الى قسمين أساسيين : المال ، وهو الضريبة نقدا ، والخراج وهو الضريبة عينا ، وتدفع هذه وتلك الى الملتزمين: الأولى عن محصول الذرة والثانية عن محصول القمح والشعير .. الخ . لذلك ينبغى فى كل عام أن تقاس المساحة المخصصة لهاتين الزراعتين بغرض حساب ما على كل فلاح أن يسدده الى ملتزمه بحسب القيمة الثابتة التى لهما فى كل قرية ، وان كانت هذه القيمة تتغير من قرية الى اخرى .

من هذا نرى أن دخول الملتزمين تتغير حسب مساحة الاراضى المروية وكذلك حسب نوع الزراعة السائدة هنا أو هناك لكن الملتزمين ملزمون على الدوام — ومهما كانت كمية ونوع الضرائب التى يحصلونها — بتدبير نفس مبالغ الميرى نقدا كان أو عينا بحيث إنهم ، اذا حدث أن جمعوا أموالا أكثر مما جمعوا من المحاصيل ، يكونون مرغمين على شراء حبوب كى يسددوا بها حصة الميرى .

والملتزمون فى الصعيد ملاك بنفس الطريقة التى يتملك بها الملتزمون الآخرون فى بقية أنحاء مصر وكذلك بنفس الشروط التى شرحتها فى بداية هذه المذكرة[1] .

---

(١) لا يتطابق ما قلته هنا تماما مع المعلومات التى وردت بمقال : عن الزراعة والتجارة فى صعيد مصر « تأليف جيرار » . فقد ظن كاتب المقال المشار اليه أن بيع مساحة من الأرض ليس سوى تعاقد مؤقت لا يدوم الا الى فترة السداد . ومع ذلك فقد لمسنا أن كل الملتزمين فى كل انحاء مصر كانوا يقومون فيما بينهم بعمليات بيع مطلقة .

وكانت الاراضى فى كل قرى الصعيد الأعلى وكذلك فى كل قرى مصر السفلى حيث الارض مملوكة لكل السكان على المشاع — كانت توزع على الأهالى بمعرفة شيوخ البلد . وكان المساح يقوم بمسحها بمعرفة القصاب او حامل المقياس (القصبة) ويدون مذكرة بذلك ويخبر كل فلاح مقـــدما بما ينبغى عليه أن يدفعه مستقبلا . ويحصل المساح وقصابه معا من الفلاحين من ٦ الى ١٠ مدينى عن كل فدان من الأرض التى قاما بقياسها . والمساح فى العادة قبطى ومع ذلك فبعض منهم مسلمون وليس ثمة شاهد فى القرى التى تقاس فيها الأرض بهذه الطريقة .

وثمة قرى عديدة فى الصعيد ، كل سكانها من الأقباط ، وفى هـــذه الحالة تكون مناصب شيخ البلد فى أيدي الأقبـــاط، ولكن فى القرى التى يعيش فيها المسلمون والمسيحيون معا فان هـــذه المناصب تـــكون فى ايدي المسلمين ؟ .

وقد اغفلت أن أدخل فى تعـــداد انواع الملكيات المختلفة فى مصر السفلى تلك الملكيات التى تسمى : المسموحة لأن عـــددها هنـــاك بالغ الضآلة ، ولكنها اكثر انتشارا نسبيـــا فى الصعيد وتسمى : الحطيطة ، وهذه الملكيات فى بعض الأحيان تكون عبارة عن دخـــول نقـــدية وتكون احيانا دخول عينية عن عقار ما من الأرض ، وأحيانا تـــكون الحطيطة هى العقار نفسه ، وهى فى كل الحالات لا تـــدفع أى نـــوع من الضرائب . ويرجع السكان هذا النوع من الملكية الأصـــل يبـــدو لى طبيعيا لحـــد مـــا فيقولون أن هذه الحطيطة عبـــارة عن سرقات قام بها العـــــربان الذين استقروا عنوة فى القرى المختلفة . وأن هذه السرقات قد تنوقلت بفعل الوراثة واكتسبت شرعيتها بمضى الزمن . وهذه الملكيات — التى ليست لها اهمية بالغة — تستقر فى غالب الأحيان فى يد مشايخ البـــلاد .

وفى النهاية ، فان الضرائب فى عدد كبير من قرى الفيوم ، لم تكن تقدر حسب مساحة الأرض ، ولكن كان على القرية فى مجموعها أن تدفع مبلغا محددا . وعندما توجد قطعة من الأرض لا تصلها مطلقا ميـــاه الرى يعـــقد الفلاحون والملتزمون اتفاقا وديـــا، واذا أحس الأولون أن الاتفـــاق مجحف بهم يرفضون الزراعة ويلوذون بالفرار .

وفى مصر السفلى يوجد بعض الأمثلة على قرى بها قطع من الأرض

تدار بهذه الطريقة . ويطلق على هذه الاراضى اسم : شروه(١) .

---

(١) نجد عند هيرودت نصا يتعلق بدخل ملـوك مصر من ضرائب الاراضى عند توزيع هذه الأراضى وعند تخفيض الضرائب فى بعض الحالات وسأذكرها هنا ليس بقصد أن نعرف ما كان يحدث فى الماضى بل لكى نتعرف على ملامح التشابه التى نجدها هنا مع ما سبق أن ذكرته بخصوص نفس النشاط عن الادارة المالية وبالذات فى الصعيد أكثر منه فى الوجه البحرى . يقول هيرودت :

« وقال لى الكهنة أيضا ان الملك سيزوستريس قد أمر بتقسيم الأرض مخصصا لكل واحد قسما متساويا ومربعا يعطى له كيفما اتفق. كل وقسمته، بشرط أن يدفع للملك كل عام على الاقل ضريبة محددة تشكل دخله . واذا حدث أن أغرق النهر جزءا من أرض احدهم فانه يذهب لمقابلة الملك ويعرض عليه ما حدث فيرسل الملك الى أرض الفلاح بمساحين لقياس مانقص من العقار حتى لا يدفع الفلاح من الضريبة الا ما يناسـب ما تبقى منه » . ويضيف هيرودت :

« وهذا فيما اعتقد هو أصل حساب المثلثات الذى انتقل من هذه البلاد الى اليونان » .

واظن انه ينبغى أن نربط بين هاتين الجملتين « أغرق النهر جزءا من حصته » و« تركت من حصـته أرض لم تغرقها الميـاه » ذلك انه فى زمن سيزوستريس ، وكما يحدث الآن كان النهر دون شك لا ينزع من الأرض الا جزءا بالغ الضآلة بحيث لا يمكن ان يكون الأمر موضوعا للاحظة كما كان النهر ولابد — كما يحدث الآن أيضا — يترك فى بعض الأحيان مساحات كبيرة من الأرض دون رى .

ويخيل الى كذلك انه لا ينبغى أن نقر بشكل عام فكرة تقسيم الأرض بأجزاء متساوية بين كل الأفراد ذلك أن هيرودت نفسه يقول بأنه كان لكل واحد من المحاربين ١٢ أرورة من الأرض أى حوالى ١٠٠ تواز مربع (تبعا لحساب دانفيل الذى يحسب الذراع المصرى بـ ٢٠ بوصة و٦ شرطات لكن حساب الارورة لا يصل الى ٢٤ تواز والـ ١٢ أرورة لا تساوى مربعا طول ضلعه ٨٣ تواز . وقد خلط دانفيل ومعه كل العلماء بين الذراع العبرى والذراع المصرى وهذا ما سوف أوضحه فى مقالى عن النظام المترى عند قدماء المصريين. ا. جومار) معفاة من الضرائب . ونعرف فضلا عن ذلك عن طريق ديودور الصقلى أن النظام الكنسى كان يمتلك كذلك أراض خاصة به . ومن جهة أخرى فكيف كان يمكن أن يحصل التجار والحرفيون على نصيب ما من هذا التوزيع .

يبدو لى اذن أن هذا التقسيم لا ينبغى أن يفهم الا على انه كان يتم بين المزارعين واذا كان مما يلفت النظر الآن ان زراعة الاراضى التى تحيط بقرية ما لا يمكن أن يعهد بها عقلا الا الى سكانها انفسهم فأننا نستنتج من ذلك : ١ — ان القرى كانت تمتلك مساحة معينة من الأرض عن طريق الضريبة التى تدفعها الى الملك . ٢ — ان أراضى القرية الواحدة كانت توزع على كل الافراد من السكان بأقسام متساوية كل عام وكيفما اتفق .

٤ — عن مـال الـكشوفية أو ضريبة الكاشف

قبل أن نوضح طبيعة هذه الضريبة التى تحصـــل كلها تقريبا لصالح حكام الولايات فربما يـكون من المناســب أن نتحــدث قليلا عن هــؤلاء الحــكام .

لم يكن البكوات يحتفظون بمنصب حاكم ولاية معينة الا لمـدة سـنة واحدة . وكانت مهامهم الرئيسية حفظ الأمن وفض الخلافات التى يمـكن أن تنشب بين قرية وأخرى وتقديم الحماية للفلاحين ضد العربان وحماية الملتزمين فى تحصيل دخولهم .

وكان للبك عدد من الـكشاف يصل أحيانا الى ٢٠ كاشفا ، وهؤلاء هم ملازموه (ملازم) ، الذين يتصرفون حسب أوامره . وكان البـك يمر عادة بولايته ثلاث مرات أو أربع ويقيم فى افخم منازلها ومع ذلك فقد كان من الضرورى بالنسبة له الا يتغيب طويلا عن العاصمة خشية أن تطيح به احدى المؤامرات التى فشـل فى التنبؤ بهـا فى الوقت المناسـب ، فكان يترك على الدوام بعض كشـافه يجوبون الولاية مع مماليكهم . كما كان يوجد فى كثير من الأحيان واحد أو اثنان أو ثلاثة قائمقام ، وهذا القائمقام اما مملوكا أو سراجا ويقطن فى بيت يسمى أرض الوسية أى بيت الحاكم ووظيفته فى القرى التى يحكمها (او وظيفتهم فى القرى التى يحـكمونها) هى نفس وظيفة ومهام البك فى الولاية التى يحكمها .

وبخلاف الراتب الذى يدفعه لهم البك ، فقد كانوا يرغمون الفلاحين على مدهم بالأطعمة التى يحتاجون اليها .

= اذن فقد كانت القرى تمتلك اراض فى الماضى كما نمتلكها تقريبا قرى الصعيد اليوم . فقط لقد أوقفنا تقسيم أراضى القرى فى الوقت الحالى بين المزارعين بنفس العدالة .

واذا ما قارنا بين نص هيرودت الذى سـبق ذكره والنص الوارد فى سفر التكوين حيث اضاف موسى بعد ان قص الطريقة التى اتبعها يوسف حتى يجعل من فرعون مالكا لكل الأراضى « ومنذ ذلك الوقت وحتى اليوم يدفع الى الملك فى كل انحاء مصر ١/٥ دخول الاراضى ، ويحدث هذا كما لو كان قانونا فيما عدا اراضى الكهنة التى ظلت معفاة من هذا العبء » . واذا ما تذكرنا الراى الذى يراه المصريون المحدثون بخصوص ملكية الأرض فسوف نرى انهم كانوا معتادين منذ وقت طويل أن ينظر الى ملاك الارض فى مصر على انهم مزارعو الملك . ويمكن أن نلاحظ ايضا فى هذا النص من سـفر التكوين أن اراضى المنشآت الدينية كانت منذ قرون معفاة من الضرائب .

والخازندار هو واحد من مماليك البك . وكان الأشخاص الذين يشغلون مهام مختلفة تتصل بمالية بيت البك يشغلون فى العادة وفى نفس الوقت المهام المشابهة التي تتصل بمالية الولاية .

ويفرض جزء من مال الكشوفية على الملتزم،ويفرض الجزء الآخر على الفلاحين .

واليكم اقسام الجزء الذى يحصل من الملتزم :

مال الجهات : ويخصص عائد هذه الضريبة لمركب الترفيه الذى يسبق كل عام المحمل المسافر الى مكة . ويحصلها حكام الولايات وبعطى ليد شيخ بلد القاهرة الذى يعطيه الى اسلام باشى المكلف بمهمة التصرف فيه . ويدفع الملتزمون مال الجهات بنسبة عدد القراريط التى يمتلكونها وهو نفس ما يحدث مع الضرائب الأخرى الآتية .

خدمة العسكر : وقد تقررت هذه الضريبة فى الأصل كرواتب لجنود الأوجاقلو لكن حكام الولايات منحوها لأنفسهم .

عادة أوراق شتوى وصيفى : وكانت ترسل هذه الرسائل الى مختلف القرى لاخطار الأهالى بأن الوقت قد حان لسداد الضرائب .

واليكم الآن قائمة بالضرائب المكونة لمال الكشوفية المقررة على الفلاحين :

رفع المظالم : وتقررت هذه الضريبة على يد محمد بك أبو الذهب لكى تحل محل المظالم الهمجية . وفى هذا الصدد ثمة ثلاث طبقات من القرى : الأولى وتدفع ٢١٠بوطاقة ، الثانية وتدفع ١٥٠ بوطاقة والثالثة وتدفع ٨٠ . لكن تقرير هذه الضريبة لم يمنع المظالم الهمجية من أن تحدث كما كان الأمر من قبل .

مال التحرير : تقررت على يد ابراهيم بك لنفس الأغراض سالفة الذكر واصبحت مثلها مجرد أعباء جديدة على الفلاح . وقد قسم ابراهيم بك شأنه فى ذلك شأن محمد بك القرى الى ثلاث طبقات : الأولى وتدفع ١٥٠ بوطاقة ، والثانية وتدفع ١٠٠ بوطاقة ، والثالثة وتدفع ٥٠ بوطاقة .

مطالب حاكم الولاية : وهذه المطالب على الدوام عينية مثل الشعير والتبن.. الخ وقد تكون اطعمة للفرقة التى تصاحب الحاكم عندما يسافر، وعندما تكون هذه الفرقة كبيرة العدد تبلغ كل قرية بالجزء من المصروفات التى عليها أن تدفعها . وهذه الضريبة غير محددة .

مصاريف النابة اللازمة : وهى المصاريف التى يتكفل بها مشايخ القرى عندما يقدمون الكلفة أى الوجبات الى الكشاف والى المماليك الآخرين الذين يمرون بالاقليم . وهذه المصاريف التى لا يمكن كما رأينا أن تكون محددة كان يقسمها المشايخ على الفلاحين .

حق الطريق : وهو أجر القواسين (القواس) وان كان يدفع ايضا لصغار المماليك الذين يقدمون الى القرية حاملين الأوامر . ويحدد هذا الأجر بمعرفة نفس الشخص الذى أرسل الأمر .

وتشكل كل الضرائب السابقة بالاضافة الى المظالم والمغارم الهمجية ما يطلق عليه اسم « مال كشوفية » . ويدون ما هو ثابت من هذه الضرائب عند المباشر القبطى .

لكن عوائد مال الكشوفية لا تذهب كلها لحكام الأقاليم وحدهم ، فهؤلاء ملزمون بدفع الميرى عن مناصبهم وذلك بخلاف تسديدهم مال الجهات المخصص لحمل الحج . ويبلغ الميرى المستحق عن مناصبهم حوالى ٢٠ ، ٣٠ ، ٥٠ كيسا(١) عن الولاية ، حسب درجة ثراء الولاية نفسها . وكان عليهم كذلك فى العادة أن يقدموا مرة فى العام هدايا الى الباشا والى الكخيا والى الخازندار كما عليهم ان يدفعوا مكافأة الى كل الأشخاص المهمين فى بيت الباشا .

ولكى نقدم فكرة عن المظالم والمغارم التى كان يمارسها المماليك تجاه الفلاحين، وهى الابتزازات التى تحرم هؤلاء الفلاحين من أية ميزة كان يمكن أن تعود عليهم لو انهم اقتصروا على دفع الضرائب المنتظمة، فسوف أعرض لاثنتين من هذه المظالم كانتا تتكرران فى معظم الأحيان .

كانت القرى الواقعة على حافة الصحراء تتعرض لهجمات العربان الذين يأتون للاستيلاء على جزء من اراضيها لزراعتها وذلك بموافقة حكومة الولاية . ويحدث — عندما يحين موعد سداد الضرائب — أن يرفض العربان فى بعض الأحيان دفع هذه الضرائب . واذا لم يصل المماليك فى الموعد المناسب ليحملوهم على دفعها فان الجزء من الضريبة الذى كان عليهم أن يدفعوه عن الأراضى التى اغتصبوها يقسم على الفلاحين .

---

(١) الكيس = ٢٥,٠٠٠ مدينى .

وقد قلت فيما سبق ان الملتزمين كانوا يأمرون بقياس مساحة الأراضى التى لم تصلها مياه الرى حتى يقللوا من الضرائب بنفس النسبة ، لكن اذا ما حكم المماليك أو مباشروهم بأن بامكان الفلاحين ان يدفعوا الضريبة كلها ، فانه لا يسمح بأى تخفيض فى الضريبة المقررة .

واخيرا فان جشع المماليك لم يكن يعرف لنفسه حدا الا عندما يتبين عجز الفلاحين الكامل عن الدفع . ولم يكن هؤلاء البؤساء يستطيعون أن يلجأوا لأية وسيلة تواجه هذه المظالم الا بالهرب ، فعندما يجد فلاح ما نفسه عاجزا عن ارضاء جشع سادته ، فانه يترك حقوله ومنزله وتتبعه زوجته وأولاده ويذهب الى قرية أخرى يبحث لنفسه فيها عن أراض يزرعها وعن سادة أقل جشعا .

وبخلاف الانتهابات التى كان يقوم بها المماليك والصيارف ، فقد كان على الفلاحين أن يعانوا كذلك من غارات العربان الذين كانوا يغيرون ليغتصبوا منهم قطعان مواشيهم وكل ما أهمل الأولون ان يأخذوه .

وسأقدم هنا قائمة بالضرائب التى اضيفت الى المال الحر والتى فرضت كلها على وجه التقريب لصالح حكام الولايات ، حتى ولو كانت قد فرضت فى الأصل لأغراض مختلفة كما سنرى .

اعوادة جاويش كاشف : والجاويش هو الذى يرشد الكاشف ويقوده الى الأماكن التى يريد الذهاب اليها . فهذه الضريبة اذن مخصصة لجنود الأوجاقلو .

تسويف مقرر: وقد تقررت هذه الضريبة أيضا لصالح الفرق العسكرية.

عادة راس نوبة :

عادة مسوادة :

وهاتان الضريبتان قد خصصتا لبعض الأوجاقلو المسمين : راس نوبة ، ومسودة والذين كانت وظيفتهم حماية عملية سداد مال الجهات .

عادة خدام الرملة : وهى اجر الفرقة التى تحمل الزكائب التى تملأ بالتراب الذى يستخدم فى صنع الجسور .

عادة مسلم : والمسلم هو أحد رجال عسكر الأوجاقلو .

عادة اليازجي : أي عادة كاتب الفرقة .

عـادة تبن السلطانية : أى العـادة المخصصة لتأمين التبن اللازم لفرق السلطان .

عادة حوالة الحوالات : وهى العادة المخصصة للشخص الذى يرسل الى دائرة القرية ليحصل الضرائب .

عادة خفر المال : وهم الحراس اللازمون لنقل ناتج القرية .

عادة جسر السلطانية : وهى مخصصة لجسور التـرع التى اقيمت على حساب السلطان . ويوزع ناتج هذه العادة على أهم مشايخ البـلد المكلفين بادارة العمـل ، ويحـدث نفس الشىء بخصـوص العـادات الثلاث الآتية :

عادة جرافة السلطانية(١) : وتخصـص لدفـع اجـور أولئك الذين يعملون فى تطهير الترع الـكبرى بواسطة الجرافة .

عادة شيخ الجرافة : أى عادة رئيس الأنفار الذين يشتغلون بواسطة الجـرافة .

عادة صغار الجرافة : أى الأولاد الذين يعملون بالجرافة ، ولم يكن يدفع هذه العادة الا عدد ضئيل من القرى .

عادة مطمسين الجسور : أى حـراس الجسـور . وتخصص هـذه العادة للرجال الذين يعملون لاعـداد الطين للجسـور، والذين يقـومون بحراستها اثناء الليل .

وتخصص العادات الخمس الأخيرة لأشغال الترع التى تقام على نفقة السلطان، ولا يدفعها الا الملتزمون الذين يحتاجون الى هذه الترع لرى

---

(١) الجرافة : أداة تستخدم فى بعض أنحـاء مصر لتطهير التـرع وهى مثلثة الشكل ومصنوعة من الواح خشبية ويبلغ طول سطحها حوالى ٩٠ سم ويبلغ ارتفاع حوافها حوالى ٢٠ سم على ٢٠ سم من الجـوانب فقط . وعندما يراد استعمالها ، يبدأون بحـرث قاع الترعة ثـم يعلقون ثورين من البقر بحبال الجاروفة بحيث يتجه الجـانب الـذى لا حواف له ناحية الحيوانين ويركب رجل فوق هـذه الأداة لاعطائها بعض الثقل ثـم يساق الحيوانان فتدخل الأتربة فى الجاروفة من الجانب الذى لا حواف له وعندما تمتلىء الجاروفة يتجهون بها خارج الجسور ليفرغوها .

أراضيهم . وفى نفس الوقت فقد كان من النادر ان تلزم قرية بعينها بأن تدفع خمس ضرائب فى وقت واحد .

عادة تقرير أفندى الولاية : أى قاضى الولاية(١) .

عادة نايب ريبة : أى العادة المخصصة للشخص المكلف بحراسة الفتيات العامات (المومسات)،وقلة من القرى فقط هى التى تدفع هذه الضريبة،وهى من جهة أخرى ضريبة ضئيلة .

وقد تقررت بعض هذه الضرائب الـ ١٧ السابقة منذ وقت طويل لصالح فرق الأوجاقات ، أما بعضها الآخر فزيادات طرأت على يد نفس الفرق العسكرية.وهناك نوع ثالث من هذه الضرائب كتلك التى تقررت لصالح صغار الجرافة،وهى تبدو كما لو كانت فى الأصل مجرد اتاوات تحولت بمرور الزمن الى ضرائب قانونية .

وقد تحولت الآن كل الضرائب التى تقررت من أجل الترع وكذلك التى تقررت لصالح جنود الفرق العسكرية لصالح حكام الولايات ولم يعد هؤلاء يقومون باصلاحات تذكر الا للترع التى تبين أهميتها المطلقة مثل ترعة الاسكندرية .

ولم تكن كل قرية تدفع كافة الضرائب والعادات التى بينتها،فثمة بعض هذه العادات قد توقف فى بعض الجهات أو لم يعرف على الاطلاق فى جهات أخرى .

وكان يتم تحصيل هذه العادات وكذلك تحصيل مال الكشوفية الذى يدفعه الملتزم — على فترات مختلفة فى نفس القرية . وكان الشاهد والصراف يدونانها لكى يخصموها من المال الحر عندما يحصل الملتزم هذه الضريبة .

٥ — عن الميرى وعن الأفندية

عهد بتحصيل واستخدام الميرى الى ادارة مكونة من مسلمين يسمون الافندية ، ويقيمون بالقاهرة . وكان الأفندى الأول يعرف باسم الروزنامجى، وكان يختار من بين الأفندية ويعين لمدى الحياة بواسطة السلطان ويشغل رتبة نصف سنجق أو نصف بك . أما مناصب الأفندية فهى وراثية ويمكن

---

(١) كان القاضى يسمى كذلك افندى .

أن تباع . ولكن يشترط على الدوام أن يكون المشترى متعلما لحد كاف وأن يحصل على موافقة الروزنامجى .

ووظائف الروزنامجى هى وظائف المدير العام والجابى ، فلم يكن ثمة غيره يحصل الأموال الناتجة عن الميرى . وكانت هذه الأموال توضع مباشرة فى خزينته . ويقتصر عمل الأفندية الآخرين على مسك الدفاتر الخاصة بأنواع تحويل أو تبديل الملكيات والوظائف التى تخضع لدفع ضريبة الميرى، وكذلك عمل الحسابات سواء عما ينبغى على كل مالك أن يدفعه أو عن المصروفات التى يجب استقطاعها من عائد هذه الضريبة . وسوف يتضح كل هذا عند ذكرنا لعدد الأفندية وتحديدنا للاعمال التى يشغلها كل واحد منهم.

الروزنامجى : وقد سبق أن حددت اختصاصاته ، ويعمل تحت امرته مباشرة أربعة أفندية يسمون حلفة ويمكن اعتبارهم بمثابة كتبة له ويشار اليهم هكذا : الأول : باش حلفا ، الثانى : ثانى حلفا ، الثالث : ثالث حلفا الرابع : رابع حلفا . ويكلف الباش حلفا بعمل حسابات الميرى الذى ينبغى أن يدفعه كل ملتزم يمتلك أراض فى ولاية الجيزة وتلك التى ينبغى أن يدفعها حاكم هذه الولاية . وهو مكلف فوق ذلك بأن يؤدى نفس هذا العمل لحاكم هذه الولاية ولثلاث قرى فقط من ولاية منفلوط وهذه القرى الثلاث هى : بنى رافع ، بنى حسين الأشراف ، وقرية حيط بلا غيط .

افندى الشرقية : وتتعلق أعماله بولايات الشرقية والمنصورة وقليوب وأطفيح والبحيرة ، وهى من نفس نوع الأعمال التى يقوم بها الباش حلفا بخصوص ولاية الجيزة.

افندى الغربية : وأعماله هى نفس الأعمال السابقة ولكن فيما يتعلق بولايتى الغربية والمنوفية .

أفندى الشهر : وتنقسم مهام هذا الأفندى الى قسمين : فهو أولا مكلف فيما يتصل بولايات الوجه القبلى بكل الأعمال التى يكلف بها الأفندية الثلاثة السابقون فى دوائرهم . وولايات الوجه القبلى هى : بهنسا ، الفيوم ، اشمونين ، منفلوط ، جرجا التى تضم كذلك الواحات . وهو ثانيا يقوم بعمل حسابات الميرى الذى ينبغى أن يدفعه كل التجار الملتزمين (ملتزم) ورجال الجمارك سواء أولئك الذين يعملون بموانىء البحر أو أولئك الذين يعملون بالموانىء الداخلية مثل بولاق ومصر القديمة .

افندى الغلال : وهو مرءوس للأفندى السابق ويعهد اليه بحسابات توزيع الحبوب المحصلة لحساب الميرى .

افندى المحاسبة : لا يمكن صرف التكاليف التى تتم على نفقة السلطان مثل كميات القمح التى ترسل كل عام الى المدينتين المقدستين واصلاح الترع الكبرى والكبارى والحصون .. الخ الا بعد أن يقوم هذا الأفندى بتسوية حساباتها .

افندى اليومية : ويعد منصبه أحد المناصب الهامة فهو رئيس لعشرة افندية مكلفين بعمل حسابات المصاريف الآتية : واحد للفقراء والعجزة ويسمى كاشدى ، وآخر للأرامل والأيتام ، وثالث لعميان الجامع الأزهر ، وكبار الشيوخ .. الخ ويسمى جوادى ، والسبعة الآخرون لفرق الأوجاقلو السبع .

افندى المقابلة : وهو الذى يقوم بفحص ومراجعة كل الحسابات التى ذكرت آنفا .

الأفندى الكوريكجى(١) : وهو يقوم بحساب ما ينبغى على كل ملتزم ان يدفعه لمصاريف نقل الأنقاض من القاهرة الى بوغازى رشيد ودمياط وهذه الضريبة المتضمنة فى مبلغ الميرى تسمى مال كوركجى وهى ضئيلة بحيث لا يبلغ اجماليها فى مصر كلها الا حوالى ٢٨ كيسا .

ولكل من الأفندية التسعة الذين سميتهم — مثلهم فى ذلك مثل الروزنامجى — ٤ حلفا فيما عدا افندى المقابلة فله ٥ حلفا بسبب عمله البالغ الأهمية . ولكل واحد من نفس هؤلاء الأفندية وكذا الروزنامجى وباش حلفاه : واحد كيسه دار أو حامل الحقيبة التى تضم دفاتر الحسابات وهؤلاء الكيسه دار يعتبرون حراسا لهذه الدفاتر وهم يعرفون الكتابة ويدخلون فى عداد الأفندية .

وبرغم هذا ، فليس هؤلاء هم كل أعضاء تلك الادارة الكثيرة العدد : فثمة أربعة كتاب خزنة اثنان منهم تركيان وهما أعلى مرتبة من الآخرين اللذين يختاران من بين اليهود . وفيما مضى كان الكتاب الأربعة جميعهم من

---

(١) كورك كلمة تركية بمعنى مجداف . ويسمى الأفندى المكلف بالضريبة المخصصة لنقل الأنقاض كوركجى لأن هذا النقل كان يتم فى الماضى بواسطة القوارب .

اليهود ويقال ان هذا الوضع لم يتغير الا عندما هجر واحد من الكتاب الأربعة دينه لكى يعتنق الاسلام ، وعندما تبعه فى ذلك اثنان من ابنائه فقد اصبح هذان يعدان من الأتراك .

ويدخل ضمن اعضاء هذه الادارة اثنان من كتاب الباشا ويسميان : تذكرجى وهى كلمة تركية تعنى كاتب الأوامر . ويكتب احدهما باللغة التركية ويعتبر الكاتب الأول أما الثانى فيكتب باللغة العربية .

وأخيرا فهناك ثلاثة صرافين ملحقين بادارة الميرى ، وثلاثتهم من اليهود ويدعى احدهم صراف باشى او صراف اول ووظيفتهم عد النقود ومراجعة انواعها .

ويخضع الصيارف وكتاب الخزنة مباشرة لاوامر الروزنامجى ، لكنهم يحصلون على اجورهم — شأنهم فى ذلك شأن بقية أفراد الادارة — من قبل الميرى . وبامكان هؤلاء أن يستعينوا بأى عدد يحتاجونه من الكتاب والصيارف ، لكنهم وليس الميرى هم الملزمون فى هذه الحالة بدفع اجور هؤلاء .

وينقسم الميرى الى قسمين رئيسيين : مال شتوى ومال صيفى : وتؤخذ عوائد القسم الأول من محاصيل الفول والشعير والقمح ، وهى أهم المحاصيل وأول ما يحصد منها لذلك فهى تخصص للمصاريف الداخلية ، وهذه على الدوام شديدة الالحاح . أما عوائد المال الصيفى وهى تحصل عن الأرز فتأتى متأخرة وتخصص للانفاقات الخارجية .

وكانت حسابات الأفندية وصرف الميرى تتم اربع مرات فى العام بين كل واحدة والاخرى ثلاثة اشهر . وتتم الأولى فى الفترة التى يكون فيها النيل فى أعلى درجات ارتفاعه . وتؤخذ الثلاث دفعات الأولى من التحصيل من المال الشتوى اما الرابعة فتؤخذ من المال الصيفى . واليكم كيف كان يتم الدفع :

يرسل الافندى الى الملتزم أو الى أى مدين آخر مع واحد من خدم الديوان يسمى نشاعوس مذكرة من الميرى بأن عليه ان يسدد ما عليه . وينتقل الملتزم مع هذا النشاعوس الى الروزنامجى الذى يعطى للملتزم بعد تحصيل المبلغ ايصالا مؤقتا ثم يقوم الافندى بموجب هذا الايصال المؤقت بتحرير الايصال النهائى .

وللافندية طريقة خاصة بهم فى مسك وكتابة حساباتهم والتى يقال انها أيضا مستخدمة من قبل الافندية فى القسطنطينية . وتبدو كتاباتهم التى تسمى خط القرمة ، تبدو للوهلة الأولى مشابهة لدرجة طفيفـــة للكتابة العربية . ومع ذلك فهى لا تختلف عنها الا فى أن حروفها أقل ارتفاعا من حروف الكتابة العربية وأكثر منها اتساعا فى الاتجاه الأفقى وتسمح هذه الطريقة فى الكتابة بتضييق السطور فيما بينها . وهذا ما يجده الأفنــدية بالغ الفائدة ، ليس ثمة سواهم على الدوام يستطيع قراءتها بسهولة .

ويمسك الاقباط حساباتهم بالكتابة العربية المعتادة ويسجلون المبالغ تحت دلالات* وهذا مما يجعل من العسير القيام بعملية الجمــع لتكوين المبالغ الكلية . أما الذين تعلموا طريقة الكتابة فى القســـطنطينية فانهم يتبعون الطريقة الاوربية ويكتبون المبالغ فى نفس السطر الذى نكتب فيـــه الدلالة مع مراعاة وضع كل المبالغ التى ينبغى أن تجمع الى بعضـــها ، كلا منها تحت الأخرى ، ويبدون بالغى الكفاءة فى استخدام هذه الطريقة . وفى بلد آخر غير مصر سوف يدهش المرء حين يرى الناس لا يتبنون مثل هذه الطريقة بوجه عام وبخاصة من جانب اناس كالأقباط — فعملهم الاساسى عبارة عن القيام بالعمليات الحسابية من جمع وطــرح . ولكن فى مصر ، حيث تتغلب العـــادة ، فان مثــل هــذه الأمور لا ينبــغى أن تكون مثارا للدهشـــة .

ويقدم الروزنامجى حسابات ادارته الى الباشا والى الدفتردار(١) ، وهو دائما برتبة بك . وكذلك الى شيخ بلد القاهرة . وعندما تعتمد هــذه الحسابات ترسل الى القسطنطينية مدونة باللغة التركية وبخط القرمة . ويأمر السلطان فى بعض الأحيان بأن تراجع هذه الحســابات على يد اغا يرســله لهذا الغرض .

وعندما تخصم كل المصروفات التى ينبغى أن تؤخذ قانونا من الميرى ، فانه يتبقى بعدئذ حوالى ١٢ الف كيس . ويشكل هذا المبلغ ما يســمى خزنة عائد السلطان ، ويرسل اليه مع احد البكوات . و آخر مرة ارسل فيها هذا العائد كان فى عام ١١٧٣ هـ

---

* أى انهم يضعون فوق كل رقم الاشارة الدالة على نوعه مثــل مليم ، مرش ، جنيه ، سهم ، فدان ، قيراط .. الخ — المترجم .

(١) آخر دفتردار هو أيوب بك الصغير وقد قتل فى معركة الاهرام .

ويمكن أن تنقسم المصروفات العامة التى تؤخذ من الميرى إلى اربعه اقسام رئيسية :

١ — جامكية المصر : تندرج تحت هذا البند المعاشات والاجـــور الممنوحة فى كل انحاء مصر مثـــل مرتبات الفرق والافندية ... الــخ وكذلك معاشات الارامل والايتام وعميان الجامع الازهــر ومعاشات كبـــار المشـــايخ .. الــخ .

٢ — مصروفات الحرمين : وهى المصروفات التى تخصص لصـــالح المدينتين المقدستين مكة والمدينة .

٣— مصروفات أمير حجى (أمير الحج) : ويفهم من هذا التحديد ليس فقط ما يخصص لأمير الحج ولكن ايضا أجور الفرق التى تحمى المحمـــل وكذلك مختلف الهدايا التى تقدم الى مختلف القبائل العربية الواقعة على طريق المحمل وذلك لالزامها احترامه .

٤ — مصروفات السعرة : أى مصروفات طوارىء مثل السكر والارز التى يطلبها السلطان فى بعض الأحيان وكذلك مصاريف اصلاح التـــرع والحصـــون . ويدخل تحت هذا البند أيضا الهبات التى تقدم لبعـــض المساجد أو بعض الشـــيوخ لكنها مصاريف اختيارية أكثر منها الزامية .

وما يتبقى بعد سداد كل هذه المصروفات يكون كما قلت عائد السلطان، لكن البكوات منذ سنوات عديدة أمكنهم أن ينظموا حساباتهم بطريقة بحيث لا يعود للسلطان أى عائد . وحيث انهم كانوا يسيرون الباشا على هواهم فقد كانوا يحصلون منه على فرمان بكل مصاريفهم الوهمية أو الحقيقيـــة بحيث يكونون ظاهريا غير خارجين على القانون تجاه السلطان .

هذا ما كان بخصوص استخدام الميرى النقـــدى.ونتحـــدث الآن عن الميرى العينى : تقرر هذا المال من أجل اطعام جنود الأوجاقات السبعة وكان يوزع عليهم جزء منه فقط فى الواقع ، وبعد ذلك أصبح لبعض المنشآت الخيرية وتلاميذ مختلف المدارس وعدد كبير من العائلات مثل عائلة السادات والبكرى .. أصبح لهم حق فى هذا المال كما أصبح يحصل نصيبه منـــه كل من الأفندية والباشا وقاضى العسكر .. الخ كما كانت هنـــاك مصروفات اخرى مثل طعام صناع بارود الحكومة وطعام الابقار التى تحرك الماكينات التى تزود القلعة بالمياه وهذه أيضا كانت تؤخذ من الميرى العينى . وفى استطاعتنا أن نقدر عدد الاشخاص الذين يحصلون على نصيبهم من أطعمة الميرى العينى المجموع من الصعيد بأكثر من خمسين ألفا .

ويعهد بتوزيع الأطعمة الى واحد من رجالات أوجاق الجاويشية يطلق عليه اسم أمير الشون : أى الخازن الامين وهو مكلف بتسلم المال العينى وتخزينه بالقاهرة وتوزيعه كذلك . وكان البكوات ملزمين بحمايته وقت التحصيل ووقت النقل ، ومن أجل هذا خصوا أنفسهم بكمية هائلة من الشعير والقمح .

ولا اعتقد انه ينبغى على أن أدخل فى تفاصيل أكثر حول طبيعة المصاريف التى كان على عاتق الميرى أن يسددها،ولا أن أنشر قائمة بكل الاشخاص والمؤسسات التى كانت صاحبة حق فى المصاريف النقدية أو العطاءات العينية فليس لهذا العمل أدنى فائدة الا اذا أضيف الى كل الاجزاء الأخرى من مالية مصر بقصد تكوين حالة كاملة للدخول والانفاق فى هذا البلد قبل سقوطها فى أيدى الفرنسيين . وبالاضافة الى ذلك فاننى أقل استعدادا للحديث فى هذه المذكره عن الضريبة فى حد ذاتها وكذلك عن النظام الضريبى ، لذا فقد اكتفيت بالحديث عن الضرائب العقارية .

قلت ان الافندية يمسكون سجلات دقيقة لكل التحولات فى الملكيات العقارية حتى يمكنهم القيام بحساب الميرى المقدر كل عام على كل الذين يخضعون له ، لذا فان الأفندية — من حيث أن لديهم بهذه الوسيلة معرفة كاملة بكل الملكيات — هم أكثر الناس أهلية واستحقاقا للتوظف فى ادارة التسجيل ، لذا فقد عهد بادارة التسجيل اليهم . ويمكن أن تقسم حالات انتقال وتغيير الملكية الى ثلاث حالات :

١ — عن طريق الارث ٢ — بطريق البيع المطلق أو الوقتى ٣— بطريق الهبة .

فعندما يموت ملتزم فان أولاده أو الأشخاص الذين أوصى لصالحهم يقدمون أعلامهم الى أفندى الولاية التى توجد بها التركة . ويخبر الأفندى الباشا ليقدم الأخير موافقته الى الورثة،وهى الموافقة التى يعطيها لهم على الدوام بعد تحصيل عادة تسمى : حلوان ، يدفعونها له . وهذه العادة — وهى على الدوام غير بالغة التحديد — لا تتجاوز مطلقا مقدار ما يدعى بالفايض (الفايظ) لمدة ثلاث سنوات وهو يمثل كما رأينا الدخل الصافى والقانونى للملتزم . ويسلم الأفندى بعد ذلك الى الورثة شهادة اعلام أو تسجيل تسمى : تقسيط ، يصبحون بموجبها ملاكا شرعيين . ويحصل الأفندى ١ ٪ من قيمة ما تدفعه الأرض من مال الميرى .

ويتسلم مبالغ الحلوان صراف الباشا الذى تحدثت عنه فى البداية :

اما فى حالة انتقال الملكية عن طريق البيع او الهبة فان الأمـــر لا يستدعى الحصول على موافقة الباشا نفسه ولكن يدفع الى كتبته ٢٨ مدينى عن كل قيراط من الأرض المبيعة او الموهوبة كضريبة تثبيت . ويسجل الافندية هذا الانتقال ويحصلون ١٪ من ثمن البيع عن الاشياء المبيعة،و١٪ من اجمالى الميرى عن الأراضى الموهوبة وفى هاتين الحالتين يعطى القاضى حجة اى وثيقة شرعية ويحصل ٢٪ .

وينظر الى عملية ايقاف الأرض لصالح العائلات على انها مجرد هبات، وتخضع هذه لنفس الاجراءات ، اما عملية ايقاف الأرض لصالح المنشآت الدينية أو الخيرية فتتم أمام قاضى العسكر وتسجل بمعرفة الافندية . اما بيع الاراضى من فلاح لفلاح أو ما يســمى « بالغــاروقة » فيقــع فى دائرة اختصاص القاضى ، واخيرا فان القضاة هم الذين ينظرون عمليات التركات ومبيعات المنزل والاثاثات ويحصلون عن ذلك رسما يقدرونه بأنفسهم بعدالة وتبعا لثروة المتعاملين .

ويقوم الفلاحون كذلك فيما بينهم بنوع آخر من التبادل ، فهم يؤجرون اراضيهم لعام واحد فقط ويتم هذا التعاقد بالتراضى فيما بينهم وبدون تدخل من القاضى . وعلى العموم ، فطالما كان للماتزمين أو للفلاحين فيما بينهم ثقة متبادلة فانهم ينهون اعمالهم بحضور شهود وبدون اللجوء الى القــاضى ، وبمعنى اكثر دقة فانهم لا يطلبون من القاضى اجراء بخصوص تصرفهم فى هذا الجزء الضئيل من الثروة الذى يملكونه وذلك بقصد تقليل المصروفات .

وقد سبق لى القول فى بداية هذا المقال بأن ثروات الذين يموتون بلا ورثة تؤول الى خزانة الدولة ، واضيف هنا ان خزانة الدولة كانت تعرف باسم بيت المال وأن الثروات التى كانت تئول اليه كانت تخصص فيما مضى وفى جزء كبير منها لصالح الفقراء،وان ابراهيم بك الذى استأجر الاراضى التى آلت الى بيت المال كان يهب جزءا من دخلها ـــ وان كان ضئيلا جدا فى الحقيقة ـــ للقيام بدفن الموتى الذين تكون اسرهم بالغة الفقر لحد لا تستطيع معه توفير نفقات دفنهم .

ويتمتع الافندية فى مصر بكثير من الاحترام بســبب نزاهتهم وتعليمهم وتبعا لتقاليد هذه البلاد . وكان اغلبهم يتكلمون اللغة التركية بخلاف لغــة

بلادهم التى يعرفونها جيدا وكل من هؤلاء يمتلك ثروة تضعه فى عداد الطبقة الميسورة ، أما أولئك الذين يشغلون منهم وظائف أعلى فينظر اليهم باعتبارهم أثرياء ؛ فبخلاف الاتعاب التى يحصلونها عن كل تسجيل ، كان لهم راتب سنوى يؤخذ من مال الميرى ويبلغ ١٥٠ كيسا (اى حوالى ٩٣٫٧٥٠ فرنك) وذلك لكل هيئة الأفندية ويقتسم المبلغ فيما بينهم بحسب أهمية وظائف كل منهم .

وكان يظن أن الأتراك قد تركوا ادارة ثرواتهم فى أيدى الأقباط بسبب عدم كفاءة المسلمين لاداء عمل كهذا ، لكن هذا غير صحيح وكفى بادارة الميرى دحضا لهذا الزعم ، لكن السبب على نحو ما هو نفور الأتراك من التجديد ، وكذلك على وجه الخصوص لنفس الدافع الذى حدا بالمماليك أن يتخذوا جباة من اناس لا يحركهم أى دافع فى ادارة جهاز الدولة ، وهذا ما ينبغى أن نفسر به لماذا ظل الاقباط يديرون الملكيات الخاصة .

وانهى مقالى هذا ببعض الملاحظات التى تتعلق بوراثة الوظائف العامة بل ووراثة الحرف كذلك عند المصريين .

ليس ثمة وظيفة فى مصر على الاطلاق ينبغى ان تكون بحكم نظامها وراثية ، ومع ذلك فان الوظائف تكاد كلها ان تكون كذلك . ويعود هذا الى طابع هذه الدولة العجيبة حيث يبدو كل شىء وكأنه يتجه نحو الثبات والتقولب . ولعل طقس مصر ، وهو على الدوام متشابه بتتابع فصوله كل عام فى نفس أوقاتها وبدقة ، كما تحدث فيها كل عام نفس المجموعة من الظواهر الطبيعية ، لعل هذا الطقس هو — وعلينا أن نضع هذا فى اعتبارنا — واحد من أسباب هذا الوضع الذى طبع اهل البلاد بطابع الجمود والتقولب ، فكل ما قصه علينا الرحالة القدماء فيما يتصل بالمزاج الهادىء بل وشبه الخامل للمصريين فى ايامهم ، نجده الان فى مصريى اليوم . ولقد احتفظ المصريون كذلك بقلة الفضول والابتعاد عن الاسفار ، فهم لا يرون على الاطلاق يغادرون وطنهم فى الوقت الذى يفد اليهم عدد هائل من الغرباء ، فقد جاء اليهم عدد هائل من السوريين ومن أهالى الشاطىء الشمالى لافريقيا للاقامة هناك[1] .

---

(١) يمكن القول بأن أهل الاسكندرية وحدهم هم اقل المصريين ميلا للقعود والخمول ذلك ان العلاقات التى ربطت بينهم وبين غيرهم من الشعوب ، وكذلك كثرة عدد الجنسيات التى تقيم بينهم ، وعملهم بالضرورة بالتجارة الخارجية .. كل ذلك قد غير بالضرورة من مزاجهم نوعا ما .

وعلينا أن نضع فى اعتبارنا عند حديثنا عن هدوء طباع المصريين أن كل الثورات التى حدثت فى بلادهم وكل التغيرات التى شعرت حكومتهم بضرورتها تعود الى اجانب ، وذلك منذ اقدم الفترات التى سجلها التاريخ وان الهدوء يسيطر عليهم مادام يحكمهم امراء من بينهم .

وهذا الميل الى التقولب والثبات واضح لدرجة ادت الى نشأة قوانين معينة، فمن الواضح على سبيل المثال أن القانون الذى كا نيقضى بتقسيم المصريين الى سبع طبقات ينبغى فى داخلها أن يرث الابناء آباءهم فيمارسوا نفس مهنتهم انما يعود فى اصله الى هذا الميل . ان الأمور اليوم لم تتغير بدرجة اساسية حول هذا الموضوع ، فمازالت الحرف تشكل فى كل مدينة طوائف معينة ، ولكل طائفة منها شيخ خاص ، ومن النادر ان يخرج الابناء عن طائفة آبائهم ليلتحقوا بحرفة أخرى .

وبسبب هذا الكم الهائل من العادات التى لها سطوتها ، وبسبب هذه الفكرة المسبقة التى تحبذ ترك الأمور فى نفس حالتها فان وظائف : الشيخ، الخولى ، الشاهد .. السخ والتى قلت بانها من تعيين الملتزم او من اختيار الفلاحين انما هى فى غالب الأحيان وراثية ، وقلما يوجد سبب يقضى بخروج هذه الوظائف من العائلات التى استقرت فيها ، ولا يمكن أن يتم ذلك على الاطلاق بطريقة عشوائية .

وتبدو قوة العادة اكثر وضوحا فيما يتصل بمنصب شيخ بلد اول القرية . فهذا المنصب فى العادة يكون فى يد الشيخ الأكثر ثراء وهو الذى يكون كذلك اكثراحتراما، ذلك لان من المهم بالنسبة للشيخ — حيث هو يستمد نفوذه من المكانة التى يوحى بها — أن يحيا فى بحبوحة حتى يحتفظ بهذا النفوذ ،لذلك فنادرا ما ترى شيخ بلد يفقد سلطته ، كما أن الفلاحين يفضلون ان تؤول هذا المنصب الى ولد نفس الشيخ الذى كانوا يحترمونه ويهابونه ، فهذا افضل من أن تؤول هذا المنصب الى ايد اخرى حتى ولو كان من المحتمل أن تكون اكثر خبرة

ومع ذلك فقد كان يحدث أن يلجأ المماليك — وهم على الدوام غرباء عن مصر ، الدولة التى يحكمونها والتى كانوا يلقون بعاداتها التى لا تروق لهم تحت اقدامهم— الىانتزاع وظيفة الشيخ الأول بطريقةاستبدادية عنالشخص الذى يشغلها ليعطوها الى أحد صنائعهم أو لواحد من خدمهم يريدون مكافأته .

ويقودنى هذا الى فكرة اخيرة تتضح بشكل طبيعى ، تلك هى عدم التوافق الذى كان موجودا بين حكومات المماليك العنيفة والمدمرة عــلى الدوام وبين ما تتطلبه طباع المصريين .. انه التعارض الدائم الذى كان قائما بين مزاج هــذا الشعب كما رسمته وبين مزاج ســادته المتوثبين والطموحين .

يا له من فارق غريب فى الواقع بين هــؤلاء المصريين المذعنين بل والهيابين ، الذين يسهل اخضاعهم وبين هؤلاء المماليك المتحفزين والمحاربين، المتنافسين على الدوام فيما بينهم والذين لا تجمع بينهم اية رابطة من روابط الدم ، بل والمتنكرين لكل روابط الصداقة ، والذين لا يعملون مطلقا ومباشرة الا لصالحهم ، والذين كانت كل افعالهم استبدادية وعشوائية ، تتحكم فيها ظروف اللحظة(١) .

---

(١) قد يكون من المفيد ان نذكر هنا ان المعلومات التى كتبت على اساسها هذا المقال قد استقيتها فى كل جزئياتها من رجال مشهود لهم بأنهم على دراية كبيرة بها ، اننى لم اكتب شيئا قبل أن احصل على عدد كبير من الاجابات المتشابهة على نفس السؤال المتعلق به . وقد استشرت القضاة والأفندية وشيوخ البلد المتعلمين فى القاهرة وكبار الأقباط وبخاصة أولئك الذين لا يرقى الى نزاهته منهم شك ، وقد سألت كذلك مشايخ البلد والعرافين فى القرى كما لم أهمل سؤال الفلاحين . واضــيف هنا (ولهــذا بعض الأهمية) اننى قد حصلت على الدوام على مترجمين جيدين . ولقد اتيح لى أن اراجع الاجابات التى حصلت عليها عند اشخاص تشغلهم هذه الأمــور وحصلت منهم على كثير من النقاط التى شاءوا أن يمدونى بهــا عن طيب خاطر .

ومهما كانت العناية التى راعيتها فى جمع هذه المعلومات، ومهما كانت كثرة المعلومات التى جمعتها فاننى لا أستطيع على الدوام أن اتفاخر باننى كنت مصيبا على طول الخط . لقد تسرب بعض من عدم الدقة الى هــذا المقال ولسوف يقودنى الزمن وما ساحصل عليه من معلومات جديدة الى اكتشاف حقيقة الأخطاء التى قد اكون وقعت فيها .

كان كاتب هذا المقال ينتوى مراجعته وادخال بعض الاضافات اليه، ولكن حيث ان العناية الفائقة التى كان يبديها فى ادارة عمله ، والغاية المبتسرة والتى أبهجته أثناء قيامه بهذا العمل قد منعتاه من أن يقوم بنفسه بذلك ، فقد طبعت مقالته بالشكل الذى قراها به فى المجمع العلمى المصرى فى الأول من فريمير من العام التاسع (٢٢ نوفمبر ١٨٠٠) ا• ج •

الكتاب الثاني

النظام المالي والإداري في مصر العثمانية

تأليف / الكونت استيف

العنوان الأصلى للدراسة : ((دراسة موجزة حول مالية مصر منذ فتحها السلطان سليم الأول (١) الى أن فتحها القائد العام بونابرت))، تأليف الكونت استيف الخازن العام للتاج والضابط الحائز على وسام الشرف ، والمدير العام للموارد العامة لمصر)) .

---

(١) ضم سليم الأول مصر الى امبراطوريته فى العام ٩٢٣ من الهجرة، ١٥١٧ من العصر الحديث (الميلادى) .

مقـــــدمة

لابد لنــا ، قبل أن نقدم هــذه الدراسة ، أن نقوم بعرض سريع لنظام الحكم ولنظم الملـكية فى مصر ، فقد لا يتيسر لنــا أن نتــابع مسيرة الضرائب هنــاك دون أن نتعــرف مسبقا على تلك المؤسسات والنظم التى تشكل أساسا لهذه الضرائب ، أو التى تكون ـــ هى ـــ مادة لها .

لقد أقام السلطان سليم نظاما للادارة والحكم خاصــا بمصر ، لـــكن الموت الذى داهمه بعد وقت قصـــير من فتحه لها ، قــد حال بينــه وبين اتمام عمله الهام ، وحيث أن ابنــه وخليفته سليمان هو الذى أتم انجــاز هذا العمل فان من الواضح ـــ فيما يبدو لنــا ـــ أن ننسب الى هذا الحاكم هذا النظام الخاص بمصر ، كما ينبغى أن تنتسب اليه كل مجموعة القوانين واللوائح التى تنظم شــئون مصر ، ومع ذلك ، فان هــذا هو الأثر الذى تحدثه الانتصارات والهزائم ، اذ تظل الشعوب مأخوذة ببريقها بأكثر ممــا تلتفت الى النظم الادارية التى يكون لها الأثر الحاســم على أسلوبها فى الحياة ، وهؤلاء هم مصريو اليوم لا يتذكرون سوى السلطان سليم ، فى حين أنهم قلمــا يرد على لســانهم ذكر للواضـــع الحقيقى للقـــوانين التى يتبعونها .

عن الحكومة

يرأس حكومة مصر باشا يحد من سلطته الديوان الـكبير والديوان الصغير وتتمثل سلطة هذا الباشا فى رئاســته لهــاتين الجمعيتين وفى التصديق على قراراتهما ، وفى اعطاء الأوامر لوضعها موضع التنفيذ (١) . وكان الـكخيا والدفتردار يتلقيان الأوامر منه قبل المـداولات ثم يحيطانه علما بالقرارات التى أعقبت أوامره . وكان البــاشا يقيم بقلعة القــاهرة كما كانت وظائفه تزول بعد نهاية عام من توليته اللهم الا اذا صدر فرمان من السلطان يمد فترة ممارسته للسلطة .

---

(١) كان يحضر اجتماعات الديوانين متخفيا خلف ستارة نافــذة تطل على مقر الديوان .

ويعطى الشرقيون اسم ديوان لكل جمعية تنشغل بشئون الحكومة والادارة . وقد وكل سليمان للديوان الكبير الحق المطلق فى البت فى شئون البلاد العامة والتى لايحتفظ الباب العالى لنفسه بحق ادارتها ، أما الديوان الصغير ، أو الديوان بالمعنى الحقيقى للكلمة ، فقد وكل بتسيير الشئون الجارية بحيث تدخل كافة نواحى الادارة فى اختصاصه فيما عدا تلك التى يقتضى الأمر، بحكم أهميتها ، أن تعالج بمعرفة الديوان الكبير ، وكان الديوان الصغير يجتمع كل يوم فى قصر الباشا ، ويحضر جلساته الكخيا والدفتردار والروزنامجى وممثل عن كل أوجاق (فرقة) من أوجاقات الجيش، بالاضافة الى قائدى وكبار ضباط أوجاقى المتفرقة والجاويشية . وكان هؤلاء ، بحكم مناصبهم ، أعضاء كذلك فى الديوان الكبير ، الذى يتكون — بالاضافة اليهم — من أمير الحج ، وقاضى القاهرة ، ومن الشيوخ الهامين المنحدرين من سلالة محمد (الأشراف) ، ومن المفتين العلماء الأربعة (١) وعدد كبير من رجالات الأوجاقلو ، وكانت الأوامر الصادرة من الباب العالى توجه الى الديوان الكبير ، كما لم تكن هناك أوامر توجه لهذا الديوان الا عن طريق الباب العالى الذى يملك وحده حق عقد هذا المجلس .

وكانت الفرق العسكرية المنتصرة التى خلفها سليم بمصر تتوزع بين ستة أوجاقات ، ثم تكون من بينها أوجاق سابع (٢) بالاضافة الى المماليك الذين أفلتوا بعد دمار ملكهم والذين تعهدوا بالولاء للسلطان وطلبوا ان يخدموا فى صفوف جيشه . وقد شكلت هذه العصب التى تتمتع بامتيازات هائلة حامية مصر وطبقتها المتميزة فى نفس الوقت ، وظل هؤلاء يحتفظون بهذه الامتيازات بشكل وراثى بحيث كانت تنتقل الى ذريتهم ، وفى نفس الوقت كانت الخدمة العسكرية الاجبارية تنتقل الى هؤلاء الأحفاد ، اذ كانت هذه الامتيازات تابعة لها . وكان لكل أوجاق أفندى واحد أو عدد من الأفندية موكلين بتحصيل موارده ودفع رواتبه التى يتفاوت قدرها تبعا لسلاح الأوجاق وطبيعة الخدمة التى يؤديها ، كما كان

---

(١) هم رؤساء المذاهب السنية الذين يسيرون على نهج عمر (كذا).

(٢) وكان يشار الى هذه الأوجاقات بالأسماء الآتية : متفرقة ، جاويشية ، جامولیان ، تافكجيان ، جراكسة ، مستحفظان او انكشارية ، وأخيرا عزبان .

هؤلاء الافندية مكلفين بسداد الانفاقات العامة للفرقة . وكانت شئون كل أوجاق تعالج بمعرفة ديوان خاص به يتكون من رجاله القدامى (اختيار ، ومعناها شيخ) وهؤلاء هم ضباط وبعض ضباط الصف من مختلف الرتب . ويتلقى هذا الديوان حسابات الأفندية ، وبتصرف فى المناصب الدنيا ، ويرشح للباشا بعض الأفراد اللازمين لشغل المناصب الأعلى ، وينبغى لهذا الديوان ان يصدق فى الوقت نفسه على هذه الاختيارات اذا تمت من جانب الباشا . وكان على الأوجاقلو (أى رجال الأوجاقات) الذين ينضمون الى الديوان أن يقيموا بالقاهرة ، ولم يكن بمقدور هؤلاء أن يمارسوا اية مهمة يمكن لها أن تبعدهم عن الديوان ، وكانوا ، شأنهم شأن بقية الضباط ، يرتدون بذلة تختلف باختلاف رتبهم، ومن المفترض ان قوة هذه الأوجاقات مجتمعة بمكن لها أن تؤلف جيشا قوامه عشرون الف رجل ، وان كان من النادر ان يكتمل هذا العدد الذى حدده السلطان سليم بنفسه ، اذ برغم انه ينبغى أن تكون مصر هى مقرهم المعتاد ، فانهم لم يكونوا ليعفوا من تكوين فرق عسكرية تخدم بشكل عابر داخل الجيوش فى اقاليم أخرى من الامبراطورية العثمانية ، وكان أوجاق الانكشارية فى مقدمة من يزحفون الى اى مكان يرى السلطان من المناسب أن يستخدمه فيه ، وكان اغا هذا الأوجاق الذى تعقد له القيادة والذى كان قائدا للجيش أكثر منه مجرد رئيس احدى الفرق العسكرية ، يبسط نفوذه وسلطته على كل العسكر .

وقد أنشأ سليم ٢٤ (رتبة) بك طبلخانه (١) ، أسندت لاثنى عشر منهم مهام خاصة ومحددة ، بينما كان يوكل الى الآخرين القيام بمهام استثنائية أو أن يقوموا بمهام زملائهم الذين تزول وظائفهم بعد عام من ممارستهم لها .

---

(١) طبلخانة اى صاحب حق فى أن تصحبه فرقة موسيقية ، وهذا الحق فى تركيا هو أحد رموز السلطة ، وكان لباشا القاهرة ، شأنه شأن زملائه فى الأجزاء الأخرى من الامبراطورية ، الحق فى أن تتبعه فرقة موسيقية ، فكان هناك موسيقيون ، يقيمون على نفقته الخاصة ، يقدمون له فى أوقات محددة من اليوم حفلات موسيقية تليق بالمكانة التى يشغلها بين الباشوات ، فقد كان الباشوات يتميزون ما ان كانوا يشغلون مرتبة باشا بذيلين أو مرتبة باشا بثلاثة ذيول ، وكان البكوات يعاملون معاملة باشا بذيلين .

أما الاثنا عشر الأول من هؤلاء فهم :

كخيا الباشا .

الضباط البكوات الثلاثة الذين يحكمون جهات السويس ودمياط والاسكندرية .

الدفتردار .

أمير الحج .

أمير الخزنة .

الحكام الخمسة لولايات : جرجا ، البحيرة ، المنوفية ، الغربية ، الشرقية .

وكان الكخيا والدفتردار وأمير الحج هم وحدهم (من بين هؤلاء) الذين لهم حق دخول الديوان .

وكانت وظيفة الدفتردار تجعل منه ماسكا لسجل المتلكات ، كما أن عقود الملكية التى يعهد بها باسم السلطان (الى مستحقيها) لاتعد صالحة الا بعد أن يؤشر عليها هذا الموظف بعد تأكده من تسجيلها فى دفتره .

وكان أمير الحج يحمل الى مكة والمدينة الهدايا التى كانت ترسل اليهما سنويا باسم السلطان كما يقوم بحماية قافلة الحج التى تنضم اليه لكى تبلغ الأراضى المقدسة فى سلام .

أما أمير الخزنة فكان يحمل برا الى القسطنطينية ذلك الجزء من موارد مصر والذى ينبغى أن يدفع لخزائن السلطان .

أما ولايات القليوبية والمنصورة والجيزة والفيوم فكان يحكمها كشاف (كاشف) كان لسلطتهم نفس الزمن والمدى اللذين كانا لسلطة البكوات ، ومن جهة اخرى فقد كان ينبغى أن تحظى أعمال هؤلاء وأولئك بموافقة الشوربجية والأوجاقلو (العسكر) الآخرين الذين يكونون الديوان الخاص بالولاية .

وفيما عدا الكخيا وحكام ثغور السويس ودمياط والاسكندرية كان لبكوات الآخرون يسمون من قبل الديوان ثم يقر الباشا ، وبعد ذلك

البـــاب العالى ، هذا الاختيـــار . وفى حين كان الأولون ، وهـــم الذين يرسلون من قبل البـــاب العـــالى ، يفقدون رتبـــة البكوية حين يعودون الى القسطنطينية بعد انتهاء مهمتهم ، كان الآخرون يظلون يحتفظون برتبتهم على الدوام اذ كانت هذه الرتبة ثابتة غير قابلة للزوال برغم تغير الوظائف التى يشغلونها على مدى السنين فيما عدا وظيفة البك الدفتردار .

وهناك فـــكرة شائعة مؤداها انه كان يتم اختيار البكوات من أوجاق المتفرقة ، وكانت صلة هؤلاء بالعسكرية تنقطع بمجـــرد أن يرفعهم هـــذا الاختيار الذى وقع عليهم من جانب الديوان الى هذه الرتبة .

وقد احتفظ الباب العالى لنفسه بتدبير مهام القيادة والدفاع عن موانى ومناطق السويس ودمياط والاسكندرية ، حيث كانت هـــذه المـــدن وهى تشكل مداخل للنفاذ الى مصر التى تحميها فى بقيـــة حدودها صحراوات تفصلها عن شعوب اقل قوة — كانت تصون مصر من اى غزو خطير ، فى الوقت الذى تهيىء فيـــه منافذ عدة للقوات العثمانية فى حالة قيـــام تمرد بين اهليها ، وكانت حامية هذه الثغور ، التى تجـــدد كل عام ، ترسل من القسطنطينية مع الحكام الثلاثة الذين يتولون قيـــادتها ، وبرغم أن هؤلاء الضباط يدخلون فى عداد البكوات فانهم لم يكونوا لينتموا الى مصر الا عن طريق فترة الاقامة التى كانوا يقضونها هناك ، والا كذلك عن طريق الاعانات المالية التى كانوا يحصلون عليها من الخزانة العـــامة كرواتب ونفقـــات لفرقهم ، وفيما عدا ذلك فقد كانوا غرباء عن الباشا وديوان القاهرة ولم يكونوا يعترفون الا بأوامر السلطان .

وقد أكد خضوع مصر وهدوء الأحوال بها لمدة قرنين من الزمان حكمة ماذهب اليه سليم وسليمان ، اذ ما أن كان يتجاسر ، خلال هذه المـــدة ، باشا القاهرة على العصيان حتى يعتقله الديوان ويرحله الى القسطنطينية حيث يعاقب بالموت ، وقد خولت هذه البراهين على الولاء والاخلاص لهذا المجلس حق عزل الباشوات ، لـــكن طموح ابراهيم ورضوان كخيا اوجاقى الانكشارية والعزبان سرعان ماجاء ليهدد السلطة شبه المطلقة التى كان يحوزها الديوان بفضل هذا الامتياز ، اذ انهما ، بمجرد أن توصـــلا الى تثبيت نفسيهما فى المناصب السنوية التى شغلاها ، قد استخدما الأوجاقات لتأكيد سيطرتهما فى داخل الديوان . كما اســـتخدما ماليكهما لاخضـــاع

الأوجاقات أنفسهم . وحتى هذه اللحظة لم يكن المماليك ، وهم مجرد عبيد اشتراهم البكوات والعسكر يشكلون تنظيما عسكريا خاصا ، ولم يكن يرى منهم سوى عدد ضئيل يصل الى المراتب الأولى ولم يكن ليتم ذلك الا بعد قبولهم فى داخل الأوجاقات ، وقد أبعد ابراهيم ورضوان الأتراك من كل المواقع كى يوزعاها على هؤلاء الأجانب ، وقد كان مماليك الأول بالغى الكثرة والقوة معا حين مات سيدهم حتى أنهم قضوا على حزب رضوان وانتحلوا لأنفسهم نوعا من السيادة خالعين على رؤسائهم الجدد لقب : شيخ البلد ، اى أمير البلاد (١) .

وقد تطلع على بك بعد أن تولى هذا المنصب بعد سبعة عشر عاما من انشائه الى الحصول على استقلال مطلق (٢) ، ولعل مهارته وشجاعته كانتا تؤهلانه للوصول الى تحقيق طموحاته لولا تلك الدسائس التى جعلته يتحامل على مملوكه محمد بك ، وحين اضطر الأخير أن يجاهر بعداوة سيده دفاعا عن حياته هو ، فقد قاتله باصرار حتى ارغمه على الفرار من القاهرة واللجوء الى سوريا ، وهناك هيأ له المأوى والعون الشيخ ضاهر ، حاكم عكا ، ذلك الذى كانت المصلحة توحد بينه وبين على ، والذى كان هو الذى قدم له المثال الذى احتذاه للتمرد على سلطة الباب ، ولكن على بك الذى كان متسرعا اكثر مما ينبغى فى السعى للتغلب على نكبته ، لم يعد الى مصر الا لكى يلقى حتفه ، متأثرا بالجروح التى أصابته فى معركة الصالحية (٣) .

ولم يكن غريمه المنتصر قد اكمل بعد عامه الثالث فى الحكم حين فرضت عليه دوافعه الخاصة ، وكذلك أوامر الباب ، أن يغزو فلسطين ، فأخضع يافا وعكا ، لكن مرضا وبائيا قد جاء ليضع خاتمة لحياته ، وسيطر البكوان مراد وابراهيم ، وريثاه فى السلطة ، دون تعارض بينهما لمدة عدة سنوات .

---

(١) من الضرورى الا نخلط بين هؤلاء وبين أولئك المماليك القدامى ، والذين كانوا يعرفون بالشراكسة ، اذ توقف الدور السياسى للاخيرين منذ فتح مصر على يد السلطان سليم .

(٢) فى عام ١١٨٠ من الهجرة ، ١٧٦٧ من الميلاد .

(٣) فى عام ١٧٧٣ (الميلادى) .

وعند نهاية هذه المدة اثار اسماعيل ، المملوك السابق لابراهيم ، كخيا الانكشارية ، حين ملأه السخط بسبب ابعاده عن المشاركة فى الحكم، اثار ضدهما حزبا ارغمهما على الانسحاب الى الصعيد ، وحين طاردهما اسماعيل ، اتخذ حسن بك ، رئيس مماليك بيت على بك ، والذى كان حتى ذلك الوقت مؤتلفا مع اسماعيل اذ كانا يشكلان قضية واحدة ، جانب غريميه اللذين اتاحت لهما هذه الردة (من جانب حسن) أن يعوضا كل ما كانا فقداه . ولجأ اسماعيل ، بعد أن اضطر الى الهرب الى آسيا ، الى الباب الذى نفاه الى بروصة ، وتمتع مراد وابراهيم بعد هذه الأزمة بفترة ازدهار طويلة ، أساءا استخدامها كى يتملصا من أوامر السلطان ، ويبددا موارده من مصر كما استبدا بالناس .

وعندما ضاق السلطان بهذا السلوك الذى لا يختلف فى قليل أو كثير عن التمرد ، كلف قبطان باشا بانزال العقاب بهما (١) . ولم ينتظرالبكوان وصوله الى القاهرة ، وكان جزء من الصعيد قد احتلته من قبل قوات اسماعيل بك بعد أن انسل من منفاه ، وكان جزء آخر يحتله حسن بك بعد ان كان قد قطعصلته بهما ، وعندما هوجم مراد وابراهيم من ناحية القاهرة على يد قوات قبطان باشا ، وفى نفس الوقت هوجما من ناحية المؤخرة على يد مماليك كل من اسماعيل وحسن ، فقد قاوما كلا الفريقين . وحيث قد استدعى قبطان باشا الى القسطنطينية لقتال الروس ، فقد عقد الصلح مع هذين اللذين لم يكن قد قدر له بعد أن يلحق الهزيمة بهما ، تاركا فى حوزتهما عدة مقاطعات بالصعيد . ونال اسماعيل وحسن، اللذان تركهما حاكمين للقاهرة والدلتا وبقية الولايات المتاخمة ترحيب الباب العالى بفعل خضوع لم يبده سلفاهما على الاطلاق، وبعد مضى أربع سنوات اجتاح البلاد طاعونمميت ، اكثر هلاكا من كلطاعون مميت تعيهذاكرة البشر ، فأتى على عدد كبير من مماليك القاهرة بمن فيهم اسماعيل بك نفسه ، وعندما أيقن عثمان بك طوبال ، خليفته ، أن لديه كل مايخشاه من حسن بك ، فانه لم يجد الأمن والملاذ لرجاله الا فى دعوة مراد وابراهيم (للحكم) ، ورحب الباشا بعودتهما الى السلطة ، الأمر الذى أعد ترتيبه بمهارة بالغة حتى أن مماليك حسن ، الذين شدهتهم المفاجأة حين ظهر هذان

---

(١) فى سنة ١٧٨٦ .

البكوان على حين غرة عند ابواب القـــاهرة ، قـــد وجدوا أنفسهم يهربون دون قتال ملتمسين فى الصعيد مأوى لهم .

ولم يتوان مراد وإبراهيم ، وقد عادا الى قمة الحكم ، فى أن يجددا مساوىء السلطة التى ميزت الفترة الاولى من حكمهما ، وبدوا وكأنما هما قد حصلا على حق الاجتراء على سيدهما (السلطان) كحق مكتسب لهما، بالاضافة الى حقهما فى قهر مصر والزراية بكل البشر الى أن وضـــع قائد عظيم (بونابرت) حدا لحكمهما .

وهكذا نكون الان ، (من هذه المقدمة) قد وقفنا على تلك الأســـباب التى أدت الى انهيار تلك الحكومة التى أوجدها سليم وسليمان عندما أدت مجريات الأمور الى عودة المماليك الى مصر .

ونمضى الآن كى نعرض للمبادىء التى استقرت بخصوص نظم الملكية فى هذه البلاد .

عن الملـــكية

نستطيع أن نميز فى مصر بين ثلاثة انواع من الملكية ، هى :

ملـــكية الأراضى .

ملـــكية الوظائف .

ملكية الرسوم والضرائب على الصناعة والاستهلاك (التجارة) .

وقد اعلن السلطان نفسه المالك الوحيد ، فكل اراضى مصر ملك له، ومع ذلك فحيث قـــد انتقلت هـــذه الأرض الى مستغلين يسمون ملتزمين (ملتزم) يستطيعون أن يتصرفوا فيها ، وحيث كان محرما ابطال هذا الحق الممنوح لهم ، وحيث كان من النـــادر أن ترفض أيلولة حق الاستغلال هذا الى ورثة هؤلاء الملتزمين ، فان هذا النظام للاشياء ظل يحقق مزايا تتساوى مع نفس المزايا التى تحققها الملكية ، فقد احتفظ الفـــلاحون بحق التملك المبـــاشر والوراثى للجزء الأكبر من الأراضى التى آلت تبعيتها للملتزمين ، وان كان ذلك لايعطيهم حق بيع الأرض أو هجرها ، واذا حـــدث ان مات بعضهم دون أبنـــاء أو ورثة فان الأراضى التى كانوا يملكونها تعود لتصبح تحت تصرف الملتزم الذى يضطر لاعطائها الى فلاح آخر ، وحين يموت أحد

الملتزمين ، دون أن يخلف هو الآخر من يرثه تعود ارضـه الى السلطان الذى يعهد بها بدوره الى ملتزم آخر .

وتنقسم أراضى مصر كلهـا الى اراضى : الأثر ، الوسـية ، الرزق (رزقة) ، الاطلاق (أو الأتلاق) .

ويمتلك الفلاح أراضى الأثر .

وتؤول ملكية الوسية الى الملتزم .

أما الرزق فهى الراض أوقفت على الأعمـال الخـيرية ، وهى حرة وخالصـة من اية ضريبـة ، وقـد وجدها سليم على هـذه الحال واقر حصانتها حين امتنع عن أن يعهد بها الى ملتزمين ، وقـد ظل الأشخاص الذين حددتهم حجج انشاء وادارة هذه الرزق ، يتمتعون حتى اليوم بنفس هذه الدرجة من الاستقلال .

وهناك بعض اراض تسمى أراضى الاطـلاق ، وتتمتع بنفس هـذه الحرية ، وهـذه مخصصة لتوفير العليق اللازم لخيول الباشا والبكوات .

وقد حمل سليم كثيرا من الملتزمين بعوائد سنوية خصصها او اعترف بتبعيتها لأفراد او لمؤسسات عموميـة أو خيرية ، وتعرف هـذه العوائد باسم الأوقاف ، وقـد أخضع خلفاؤه ملتزمين آخرين لعوائد مماثلة ، وفى النهاية انشأ بعض الملتزمين أوقافا جديدة ، والزموا ورثتهم بهذه الالتزامات . وتسمى هـذه العوائد ، التى تشكل ملكيات حقيقية ، اذ تعهـد الملتزمون انفسهم بدفعها بصفة دائمة ، رزقا نقـدية ، وهى تشكل عادة ، شـأنها شأن رزق الأرض ، جزءا من عوائد الأوقاف ، واذ كان لأصحابها الحق فى النزول عنها او نقل ملكيتها للغير فقد كانت تسدد لأولئـك الذين يحصلون على الحق فيها اما عن طريق الشراء واما عن طريق الارث .

ويمكننا أن نميز نوعين من الأوقاف : الأوقاف السلطانية، اىتلك التى انشئت قبل منقبل السلاطين والأوقافالخاصة . وتتكون الأولى من عوائد نقدية أو عوائد منالحبوب يوزعها السلطان بمعرفته على الجهة المخصصة لها ، أما الأخرى فلا يقتصر تكوينها على رزق الأرض أو الرزق النقدية أو رزق الحبوب ، بل هى تشتمل كذلك علي البيوت والوكالات والحدائق التى تمتلكها فى مجموعها اما مؤسسة أو منشأة خيرية واما ذرية مؤسس هذا

الوقف او ذاك والذى لم يوجه ملكيته (التى اوقفها) لخدمة غرض دينى او خيرى ، اللهم الا اذا لم يكن قد خلف ورثة على الاطلاق . وكان مثل هذا التصرف شائعا للغاية فى مصر ، اذ كان يضع تحت حماية الدين تلك الحقوق التى ينقلها صاحب الوقف الى ابنائه .

اما الوظائف فكانت اما سنوية واما ثابتة ، وقد عين السلطان مخصصات لهذه الوظائف او تلك وهى عبارة عن امتيازات من الأرض ومن الحقوق أو الرسوم من كل نوع . ولم يكن لمن يتقلد الوظائف من النوع الأول أن يتمتع الا بميزات بسيطة تنتهى بانتهاء مدة وظائفهم . أما الوظائف من النوع الثانى فكانت لها طبيعة الملكية بمعنى أنه لم يكن يحق للسلطان ان يمنع أن يتقلد أى شخص هذه الوظيفة اذا ماباعه اياها صاحبها الأصلى أو نزل عنها لصالحه . وقد رأينا هذه الوظائف وهى تنتقل بشكل عادي الى أبناء او ورثة الموظف الذى كان يشغلها .

وتتفرع ملكية الرسوم المقررة على الصناعة والتجارة من ملكية الوظائف وهى تتمثل فى التمتع الكلى والكامل بهذا النوع من الدخول الذى أنشأه سليمان لصالح شاغلى الوظائف وآخرين ، بشكل يحصلون معه على دخل يتناسب مع مالهم من مكانة وما عليهم من التزامات .

وتشكل البيوت ورءوس الأموال والقيم المنقولة ملكيات يبدو انها كانت مجهولة من قبل الحكومة ، فكان المصريون ينتفعون بها بالبيع والشراء والهبة دون تدخل من جانب الخزانة .

الباب الأول

الضرائب العامة

الفصـــل الأول

الضرائب على الأراضى

لم يتوصل الاتراك الى اقامة نظام ثابت للضرائب فى مصر الا بعـد كثير من الجهود والأبحاث ، فحيث كانت وثائق الحكومة قد احرقت بفعل المماليك ، فقـد حاول السلطان سليم أن يستعيض عنها بمعلومات حصل عليها من موظفى الادارة السابقة ، فعرف حصيلة الضرائب عنـدما أرغم الموظفين العموميين الذين كانوا يسلمون لكل ممول بيانا بما ينبغى عليه أن يدفعه ، أن يسلموه هو سجلات عملياتهم هذه . وفى نفس الوقت ، فحيث أن المعلومات التى حصل عليها عن هذا الطريق لم تهيىء له النتـائج التى كان يرغب فى الالمام بها فقد أمر بتقسيم عام للبلاد الى ولايات أو مقاطعات، ومدن ، وقرى ، ثمقسم كل زمام بدوره الى فدادين . وعلينا منذ الآن أن نتقبل فكرة أن اعمال هذا المسح لم تبلغ الدقة المرجوة لها بشكل تام على الاطلاق ، حيث لاتزال توجد فى كل هذه الولايات تقريبا أملاك وقرى بأكملها لاتزال مساحاتها مجهولة للحكومة .

اولا : عن المـال الحر

هناك مجموعة من الرسوم أو الضرائب تندرج كلها تحت اسم المال الحر ، أى الضريبـة الخالصـة ، وتستخـدم حصيلتها التى يقوم الملتزم بجبايتها :

١ ـــ فى سداد المال الميرى .

٢ ـــ فى دفع الـكشوفية .

٣ ـــ فى تكوين الفايظ (الفائض) .

ويدفع المال الميرى الى السلطان ، أما الـكشوفية فتعطى للبـك أو الكاشف حاكم الولاية، فى حين أن الفايظ هو الدخل الخـاص الذى يبقى للملتزم .

ونقدم فيما يلى جدولا بالمبالغ المفروضة على ولايات مصر والتى تدخل

اسم الولاية	أصل الميرى	كوريكجى أعمال (تطهير) الترع
	مدينى	مدينى
قنـا	١ر٠٤٩ر١٢١	١١ر٠٤٥
اسـنا	٥١١ر٦٠٠	١ر٠٥٠
جرجا	٥ر٤٤٣ر٤٣٧	٣٦ر٠٥٨
سـيوط	٢ر١٩١ر٠٥١	٢٨ر٦٤٣
منفلوط	٨٠٦ر٨٧٠	٢٠ر٦٩٦
المنيـا	٣٢٢ر١٣٠	٢٣ر٧٣٦
بنى سويف	٣ر٤٣١ر٠٠١	٤٩ر٢٩٢
الفيوم	٢ر٢٩٣ر٠٢١	٢١ر٨١٦
أطفيح	٦٣٢ر٧٨٠	٦ر٠٣٥
الجيزة	٤ر٣٣١ر٧٧٣	٣٣ر٨٣٤
القليوبية	٣ر٨٣٨ر٤٣٤	٣٠ر٢٧٤
الشرقية	٥ر٠١٢ر٣٥٩	٣٩ر٩٨٤
البحيرة	١١ر١٤٤ر٣٢٩	٤٢ر٦٨٩
المنصورة	٩ر٤٩٩ر١٤٢	٥٢ر٥٨١
الغربية	١٥ر٤٠٠ر٥٣٥	١٢٥ر١١٢
المنوفيـة	١٢ر٤٠٣ر٩٠٨	١١٠ر٠٤٦
الإجمالى . .	٧٨ر٣١١ر٤٩١	٦٣٢ر٨٩١

ضمن هذه البنود الثلاثة وقت مجيء الجيش الفرنسى ، ونجد فى سجلات المسيو استيف تلك الوسائل التى كان عليه ان يلجأ اليها للحصول على هذا الجدول :

تذاكر جاويشية	المجموع	ملاحظات
مديني	مديني	
١٬٧٩٧	١٬٠٦١٬٩٦٣	
١٠٬٥٣١	٥٢٣٬١٨١	فى هذه الولايات التى تكون فى مجموعها بلاد الصعيد يسدد الجزء الأكبر من الضريبة عينا . لكننا لم نورد هنا إلا ذلك الجزء من الميرى الذى يسدد نقداً .
١٣٬٥٧٩	٥٬٤٩٣٬٠٧٤	
٤٬٢٠٧	٢٬٢٢٣٬٩٠١	
٩٦٦	٨٢٨٬٥٣٢	
٩٦٦	٣٤٥٬٨٦٦	
٣٧٬٦٥١	٣٬٥١٧٬٩٤٤	
٢٢٬٣٧١	٢٬٣٣٧٬٢٠٨	
٨٬١٥٦	٦٤٦٬٩٧١	
٧٧٬٦٠٠	٤٬٤٤٣٬٢٠٧	
٦٢٬٠٣٤	٣٬٩٣٠٬٧٤٢	
٩٤٬٥٨٩	٥٬١٤٦٬٩٣٢	
٩٢٬٤٧٩	١١٬٢٧٩٬٤٩٧	
١٥٦٬١١٥	٩٬٧٠٧٬٨٣٨	
٢٦٠٬٥٤٧	١٥٬٧٨٦٬١٩٤	
٢٣٠٬٨٨٦	١٢٬٧٤٤٬٨٤٠	
١٬٠٧٣٬٥٠٨	٨٠٬٠١٧٬٨٩٠	ويعادل ٨ د ١٥ س ٢و٨٥٧و٧٨١ جنيها توريا وبالفرنكات ٥٢ س ٢٬٨٢٢٬٥٠٠

اما الميرى فهو الضريبة التى خص بها السلطان نفسه ، ولم يكن الميرى المقرر على الأراضى الزراعية يبلغ فى الأصل سوى ٥٩٨ر٨٩٨ر٧ ولكن السلاطين احمد ومحمد ومصطفى قد رفعوه على التوالى حتى بلغ الاجمالى الذى أوردناه .

وهذا التقسيم الذى رأيناه لهذه الضريبة هو نفس التقسيم الذى أنشاه سليم وسليمان . وسواء أكان الأمر ناتجا عن ثغرة فى العمل او كان تفسخا او كان نتيجة لتحسن طرأ على حالة بعض الأراضى ، فقد كان هذا التقسيم او التوزيع (لضريبة الميرى) معيبا للغاية ، اذ يرى المرء فى معظم الولايات اراضى شاسعة وخصبة لكن الضريبة التى قدرت عليها اقل من تلك التى فرضت على اراض اخرى ليست لها نفس المزايا .

وأما مبلغ الـ ٨٩١ر٦٣٢ مدينى التى وردت تحت بند كوريكجى فلم يكن يدخل فيما مضى ضمن موارد الخزينة العامة ، لكنه أصبح منذ الآن فصاعدا جزءا من المال الحر ، فكان يحصله احد الأفندية من الملتزمين مباشرة ليستخدمه فى نفقات النقل والأعمال اللازمة الأخرى ليتم ارسال انقاض القاهرة الى مصبات النيل حيث كانت تلقى فى البحر . ويراقب الروزنامجى هذا العمل فى كل مراحله ويتسلم الحساب الخاص بذلك من هذا الأفندى . وعندما اساء القادة المحليون استخدام حصيلة هذا البند ، او بدأوا ينفقونه فى غير أغراضه ، منذ نحو قرن ، أمر الباب العالى بأن يدخل ضمن موارده ،وقد نتج عن توقف الانفاق على الأغراض التى كانت مخصصة لها حصيلة هذا البند قيام تلال صناعية فى ضواحى القاهرة كانت تفوح منها باستمراز روائح كريهة ، كما كانت تهب منها أتربة مزعجة وضارة بالصحة .

وقد تقررت تذاكر الجاويشية بمعرفة السلطان لتوفير أجر اضافى لأفراد أوجاق الجاويشية الموكلين بحماية تحصيل الميرى ، وكان ضباط هذا الأوجاق يحصلون بأنفسهم هذه الضريبة بشكل مباشر ، ومع ذلك ففى السنوات الأخيرة ، وحين رفض الملتزمون سدادها ، سارع الباشا الى معونة هذا الأوجاق ، الذى امسى بالغ الضعف لحد لم يستطع معه الزامهم بسدادها ، فأمر بموجب فرمان بأن يحصل هذا الرسم باعتباره جزءاً من الميرى وأن يوجه للغرض الذى حدده هذا الفرمان .

ننتقل بعد ذلك الى الحديث عن الـــكشوفية كما انشأها سليمان ، وهى التى اصبحت نتيجة لذلك جـــزءا من المـــال الحر ، لنميزها عن تلك الـــكشوفية الجديدة التى أضيفت (الى الضرائب المقررة) منذ عهد هـــذا الحـــاكم .

ويوضح لنا الجدول الآتى حصيلة هذه الضريبة وتلك .

اسم الولاية	كشوفية قديمة				كشوفية	
	مال الجهات	خدمة العسكر	كلفة	الإجمالي	رفع المظالم	
	بالمديني	بالمديني	بالمديني	بالمديني	بالمديني	
قنا	—	—	١٢٥,٦٦٤	١٢٥و٦٦٤	—	
إسنا	—	—	٩٥٤,٢٦٧	٩٥٤,٢٦٧	—	
جرجا	—	—	١,٨٧٨,٣١٦	١و٨٧٨,٣١٦	—	
سيوط	٨,٠٠٠	—	٨٥٠,٩٧٥	٨٥٨,٩٧٥	—	
منفلوط	٢٨١,٨٨٧	—	١٣٧,٧٤٨	٤١٩,٦٣٥	—	
المنيا	٥٨٢,٧٧٨	٤١٥و٠٣٣	—	٩٩٧و٨١١	—	
بني سويف	٩٦٦,٨٢٢	٤٥٨,٧٢٨	٨٢٢,٩٤١	٢,٢٤٨,٤٩١	١,١٢٨,٢٥٠	
الفيوم	١٩٤,٩٢٠	—	١٣٧,٣٤٩	٣٣٢و٢٦٩	٩٥,١٢٤	
أطفيح	—	—	—	—	—	
الجيزة	٣٢٢,١٥٧	١٠٨,٥٧٠	٤١و٦٢٥	٤٧٢و٣٥٢	٢٥٩,٦٠٠	
القليوبية	٣٨٢,٣٠٨	٢٣٥,٣٤٥	٤٣,٤٤٤	٦٦١,٠٩٧	٦٢٧,٣٦٥	
الشرقية	٦٤٧,٨٠٢	٦٠٦,٩٥٠	٩٣,٣٦٧	١,٣٤٨,١١٩	٢و٣٦٨و٨٠٠	
البحيرة	٦٠٤,٢٦٢	٤٥٦,٣٢٨	٤٩٩,١٠٠	١,٥٥٩و٦٩٠	٢و١٤٠و٩٢٥	
المنصورة	٧٤١,٨٨٣	٦٨٠,٧١٠	٣٤٠,٢٧٣	١,٧٦٢,٨٦٦	٢و٦٣٥و٠٢٥	
الغربية	١,٤٧٥,٤٨٧	٨٣٩,٢٣٩	٨٢,٩٣٨	٢,٣٩٧,٦٦٤	٤و٥٠٦,٣٢٠	
المنوفية	٧٤٢,٩٨٢	٥٩٥,٤١٠	٢٠٩و٣٠٦	١,٠٤٧,٦٩٨	٢و٥١٣و٤٣٠	
الإجمالي	٦,٩٥١,٢٨٨	٤,٣٩٦,٣١٣	٦,٢١٧و٣١٣	١٧و٥٦٤,٩١٤	١٦و٢٧٤و٨٣٩	

جـــديدة			الإجمالى العام	ملاحظات
فردة التحرير	كلفة	الإجمالى		
بالمدينى	بالمدينى	بالمدينى	بالمدينى	
—	—	—	١٢٥,٦٦٤	
—	١٢٥,٠٠٠	١٢٥,٠٠٠	١,٠٧٩,٢٦٧	
—	١٩٩,٣٦٦	١٩٩,٣٦٦	٢,٠٧٧,٦٨٢	
—	٦٣,٦٥٠	٦٣,٦٥٠	٩٢٢,٦٢٥	
—	٤٢٠,٤٢٠	٤٢٠,٤٢٠	٨٤٠,٠٥٥	
—	٢,١٠١,٩١٨	٢,١٠١,٩١٨	٣,٠٩٩,٧٢٩	
—	—	١,١٢٨,٢٥٠	٣,٣٧٦,٧٤١	
—	٢٢٠,٣٢٩	٣١٥,٤٥٣	٦٤٧,٧٢٢	
—	—	—	—	
—	١,٦٦٢,٨٠٦	١,٩٢٢,٤٠٦	٢,٣٩٤,٧٥٨	
٤٢٢,٠٠٠	—	١,٠٤٩,٣٦٥	١,٧١٠,٤٦٢	
١,٠٦١,٧٧٠	٦٩٥,٩٥٩	٤,١٢٦,٥٢٩	٥,٤٧٤,٦٤٨	
١,٧٠٨,٠٨٨	—	٣,٨٤٩,٠١٣	٥,٤٠٨,٧٠٣	ويعادل الإجمالى :
٨٨٦,٦٧٧	٨٧٤,٦٢٤	٤,٣٩٦,٣٢٦	٦,١٥٩,١٩٢	د س جـ ت
١,٦١١,٦٠٧	١,٦٥٠,٠٧٤	٧,٧٦٨,٠٠١	١٠,١٦٥,٦٦٥	٣ ٤ ٢,٧٨١,٤٤٦
١,٤٠٦,٠٥٢	٩٣٠,٤٠١	٤,٨٤٩,٨٨٣	٦,٣٩٧,٥٨١	وبالفرنسكات :
				سى ف
٧,٠٩٦,١٩٤	٨,٩٤٤,٥٤٧	٣٢,٣١٥,٥٨٠	٤٩,٨٨٠,٤٩٤	٣٦ ٢,٧٤٧,١٠٧

اما مال الجهات فهو عبـــارة عن ضريبة كانت تتم جبايتها فى كل قرى الدائرة . ويضع الملتزمون حصيلة هذه الضريبة ، التى يقع على عاتقهـــا اكبر قـــدر من مصروفات « الاسلامية » (*) تحت تصرف حكام الولايات ، ويقوم هؤلاء بسداد هذه المصروفات ، ويحتفظون بما يتبقى منها لحسابهم .

وتجبى ضريبة خدمة العسكر لحساب الشوربجية ولصـــالح ضـــباط وجنود آخرين من بقيـــة الفرق العسكرية ، وبخاصـــة من جنود أوجاقات التفكجيان والجامولیان والشراكسة المنتشرين فى الولايات للعمل هناك مكونين الديوانات (المحلية) أو باعتبارهم مراقبين للبكوات أو الـــكشاف الحكام . وكان هؤلاء العسكر يجبون هذه الضريبة مباشرة من الملتزمين طبقا لتفويض محرر من البك اوالكاشف . وعندما لاحظ محمد بك أن هذه الضريبة قـــد ازدادت بشكل كبير ، فقد أعادها الى القدر الذى حدده لها سليمان .

وتمثل الكلفة عدة عادات عينية ونقدية خصصـــتها اللوائح القـــديمة للحكام وافراد بيوتهم . وقد تحولت هذه الرسوم الى اعانات مالية ينبغى على الملتزمين أن يقوموا بدفعها . وقد أضفنا فى دراستنا الى هذه العادات عادة تعرف باسم حوالة الحوالات ، وهو تعبير عربى يعنى التعويض الذى يدفع لحملة الرسائل ، الذين يرسلون على وجه السرعة الى القرى ، لكى يخطروا الممولين بالمبلغ الذى ينبغى عليهم أن يدفعوه ، لأنه تبين لنـــا أن حوالة الحوالات كانت تضاف الى الكلفة فى كل ولايات مصر ، فيما عـــدا ولايتى الغربية والمنوفية .

وقبل وقت طويل من عهد محمدبك كان حكام الأقاليم قد منحوا أنفسهم بشكل اســـتبدادى حق زيادة الـــكشوفية ، لـــكن الملتزمين ، فى عهده ، وقد كانوا فى حالة لا تسمح لهم بتحمل هذه الابتزازات ، التى لايقف تزايدها عند حد ، قـــد أشعروه بأن من الضرورى وضع حـــد لهذه الابتزازات . وادرك محمد بك انه اذا كان من المنـــاسب أن تزيد هذه الرســـوم (أو العادات) من جهة ، فان من الظلم الصارخ من جهة أخرى أن يترك تقدير ذلك لرأى الحكام . وحين قرر قراره على الغاء كل ماكان هؤلاء الحكام

(*) رسم يحصل لصالح محمل الحج كما سيرد بعد ذلك (المترجم)

يفرضونه ، زيادة عن الـكشوفية القديمة ، فقد منحهم حق تحصيل عادة جديدة سميت باسم عادة رفع المظالم .

وقد أراد القبطان باشا حسن ، الذى حاول أن يعيد النظام الى مصر بعد الاضطرابات التى أعقبت موت محمد بك ، أن يقلص الضرائب لـكى تعود الى نفس القدر الذى حددته لوائح سليمان ، لـكن أفـكارا لاحقـة قـد أثنته عن ذلك ، فتبنى نفس الاعتبارات التى أدت الى نشأة عادة رفع المظالم ، واكتفى بأن يطلق عليها اسما جديدا هو عادة حق **البيات** (أى عادة ثمن الاقامة) .

وحين ادت الأحداث التى أعقبت رحيله الى تثبيت سلطة البكوين مراد وابراهيم ، فان حكام الأقاليم قـد بزوا أسلافهم فيما كانوا يقومون به من الابتزازات وعمليات السلب ، بحيث أصبح الأمر يقتضى أن تتحول هـذه الى بنود ضريبية جديدة ، فأضاف ابراهيم ومراد الى الرسوم أو العـادات القائمة عادة فردة التحرير .

وبعد ذلك أضيف لحق الطريق الذى أنشـأه محمد بك لـكى يتكفل بنفقات تحصيل رفع المظالم رسم جـديد لحق الطريق يلزم لجبـاية فردة التحرير ، وفى النهاية جمعت كل الأعبـاء التى فرضت بشكل استبدادى على القرى منذ موت محمد بك فى ضريبة وحيدة أشير اليها باسم الكلفة ، وذلك بسبب تطابق الرسوم (أو العادات) التى تكونها مع تلك التى كانت تدخل فى اطار هذا الاسم فى الكشوفية القديمة .

ويبين الجدول الذى نقدمه هنـا الحصة التى تعـود الى الملتزمين من الضرائب فى حالة دى كل الأراضى ..

أسماء الولايات	الفايظ	الزيادات براني قديم	الزيادات براني مستجد	الإجمالي
		المدينى	بالمدينى	بالمدينى
قنا	٣و٠١٧و١٩٧	٢٩٧و٨٢٦	—	٣,٣١٥,٠٢٢
إسنا	١و٩٤٦و٢٦٩	—	—	١,٩٤٦,٢٦٩
جرجا	١٠و٣٣٩و٧٧٠	٤و٥٤٣و٤٩٩	—	١٤,٨٨٣,٢٧٨
سيوط	١و٨٢١و٩٨٨	٣و٢٧٠و١٥٧	١١٠,٥٠٠	٥,٢٠٢,٦٤٥
منفلوط	٢و٢٨٤و٥٧٨	٥٧٩و٢٦٦	١٦٢,٨٥٩	٣,٠٢٦,٧٠٣
المنية	٢و٤٨٧و١٣٢	١و٠٣٩و١٧٠	—	٣,٥٢٦,٣٠٢
بنى سويف	١٥و٢٢٨و٠٠٩	٧١٣,٣١٥	٣,٠٩٨,٦٩٠	١٩و٠٤٠و٠١٤
الفيوم	٥و٤٢٦و٣١٠	٧٧٦و٦٧٩	٨٨٣,١٩٣	٧و٠٨٦و١٨٢
أطفيح	٤و٦٢٤و٦٩٠	٣٦٢و٠٤٤	١٨٢,٤٤١	٥و١٦٩و١٧٥
الجيزة	٨و٥٤٣و١٦٧	٩٣٧و٠٨٢	٧١٠,٩٦٣	١٠و١٩١و٢١٢
القليوبية	٩و٠٢٦و٦٢١	٥٨٩و٤٢٨	٥,٥٠٣,١٥٠	١٥و١١٩و١٩٩
الشرقية	١٢و٣٦٨و٧٢٦	٣و٢٣٢و٧٩٦	٣,٦٢٥,٩٢٦	١٩و٢٢٧و٤٤٨
البحيرة	١٩و٨٠٠و٤٤٩	١و٥٠٢و٣٤٤	١,٧١٥,٥٧٨	٢٣و٠٦٨و٣٧١
المنصورة	٢١و٦١٦و٦٦٠	٨و٦٥٨و٨٦٧	٦,٧٨٣,٣١٣	٣٧و٠٥٨و٨٤٠
الغربية	٣٩و٨٠٢و٨٨٦	١٢و٠٤٠و٨١٦	١٣,٧٦٦,١٠٣	٦٥و٦٠٩و٨٠٥
المتوفية	٢١و٨٢٤و٠٤٦	٦و٧٥٧و٣٨٤	١٢,١٧٦,١٣٣	٤٠و٧٥٧و٥٦٣
الاجمالي	١٨٠و١٥٨و٥٠٧	٤٥,٣٥٠,٦٧٣	٤٨و٧١٨و٨٤٩	٢٧٤,٢٢٨,٢٠٩

ملاحظات:

حيث كان تحصيل المال الحر فى الصعيد يتم نقداً أو عيناً تبعاً لنوع المحصول الذى يزرعه الفلاحون فى أراضيهم فقد كان لزاماً علينا أن نحول الحصيلة التى يتم سدادها عيناً كما يفعل الناس عادة بهذه البلاد إلى قيمة نقدية حتى يمكننا أن نقدر حصيلة الفايظ المستحق .

تعادل : ٧ د ٣ س ٩,٧٩٣,٨٥٠ حـ

٢٤ س ٩,٦٧٢,٩٤٦ فرنك

والفايظ (الفائض ، اى الجزء الذى يبقى) هو ذلك الجزء من المال الحر الذى خصصه السلطان للملتزم ، ولم يكن هذا الجزء محددا أو ثابتا بشكل مؤكد ، شأن الميرى أو الكشوفية ، حيث لم يكن للملتزم أدنى حق فيه الا بعد أن يفى بالتزاماته قبل السلطان وحكام الأقاليم . ولما كانت الأرض التى لا تغمرها مياه الرى معفاة بشكل مبدئى من سداد اية ضريبة، فقد نتج عن ذلك ان الفايظ كان عرضة للزيادة والنقصان تبعا لاتساع أو انحسار المساحة المروية من الأراضى التى ينبغى عليها أن تسدد المال الحر.

وقد أطلق على الزيادات التى الحقت بالفائظ هذه التسميات : برانى قديم وبرانى جديد ، مضاف قديم ومضاف مستجد . وليس ثمة اى نص رسمى يدل على انشائها ، لكن الملتزمين قد جعلوا من الهدايا والاتاوات التى يدفعها الفلاحون مقابل خدمة عارضة أو طبقا لتقليد ما رسوما واجبة السداد بشكل حتمى .

وتعود جباية البرانى القديم الى زمن بالغ القدم ، وينظر اليه اليوم باعتباره ضريبة تماثل فى انتظامها ضريبة المال الحر المبدئى .

أما البرانى الجديد (أو المستجد) فقد ابتدعه البكوات المماليك متذرعين بنفس الادعاءات التى استخدمت من قبل لتبرير جباية البرانى القديم .

واليوم ، تحصل نقدا كل الرسوم (أو العادات) التى تشكل كلا من البرانى القديم والبرانى المستجد ، وبرغم انتظامها على هذا النحو فانها لم تدون فى جداول الضرائب المقررة على القرى ، لكننا لانجد نفس الشىء بالنسبة لمختلف فروع الكشوفية الجديدة ، فحيث أن الحكومة قد أوجبت على الملتزمين ، وهم مثقلون بالفعل بدفع الكشوفية القديمة ، أن يدفعوا لقادة الولاية ضرائب رفع المظالم وفردة التحرير والكلفة الجديدة فقد كان تحصيل هذه الضرائب يتم بموجب نص من السلطة لايمكن للقرية معه أن تنكرها ، وعلى العكس من ذلك فحيث أن البرانى لم يكن ملزما للفلاحين طبقا لنص محدد ، فقد كان من الضرورى للملتزم أن يواصل التذكيربالعادات المنشئة للرسوم التى تتكون منها ضريبة البرانى هذه .

وكانت الادارة الخاصـــة بقرية ما تنشىء مصروفات تحصيل تنفقها فى الاستجابة للمطالب المحلية وفى دفع اجور الموظفين الذين عينهم السلطان فى كل وحدة (ادارية) ، ولم تكن مصروفات التحصيل هذه تدخل ضـــمن الجداول التى سبق أن أوضحناها اذ كان الذين يقومون بجبايتها ينفقونها مباشرة فى الأغراض المحددة لها ثم يخصمونها من اجمـــالى المبـــالغ التى حصلوها لحساب الملتزم .

وسنقدم قائمة طبق الأصل بالضرائب التى كانت تجبى من احدى قرى مصر على النحو الذى قدمه واحد من هؤلاء الجباة . ويقتضى نسق هـــذا المؤلف أن تدخل هذه القائمة فى ثنايا دراستنا هذه عند حديثنا عن تحصيل الضرائب وسوف تبين هذه القائمة ، بوضوح بالغ ، كل ماسبق أن ذكرناه للتو ماسا بموضوع تقسيم الضريبة على الأراضى .

ثانيـــا : عن ادارى القرى

كان الملتزم موكلا بادارة القرية وتنظيم شئونها ، ويعمل بهـــا تحت امرته قائمقام يمثله هو وموظفون يختارهم ، وكان وجود هؤلاء ، وكذلك الحال بالنسبة لوظائفهم ، يتحدد بمقتضى لوائح وضعها السلطان .

وهؤلاء الموظفون هم : الشيوخ ، الشاهـــد ، الصراف ، الخولى ، المشد ، الخفراء ، الوكيل ، الكلاف .

وكان من الضرورى أن يختار كل من الشاهد والخولى من بين سكان القرية .

أما الشيخ فكان يفتش على الأرض وعلى الفلاحين ويراقبهم ، وهو مكلف بمراعاة الا تضار مصالح الملتزم بسبب اعوجاج سلوك هؤلاء أو بسبب اهمالهم ، كما كان ملزما بأن يسدد ما على الممولين من ضرائب اذا هو لم يخطر سيده بهروبهم أو بأخطائهم . ولا تصل أوامر الملتزم الى الفلاح الا من خلاله . كما ينقل — هو — الى الملتزم مطالبهم واحتياجاتهم . ويعين الملتزم، فى بعض الأحيـــان عـــدة شـــيوخ للاشراف على الأراضى التى تقع تحت امرته ، ويمارس أول هؤلاء — ويشار اليه باسم شيخ المشايخ — بالنسبة

لزملائه نفس السلطة التى يمارسها هؤلاء ازاء الفلاحين . واذا غاب الملتزم ولم يكن له بالقرية قائمقام فان هـذا الشيخ الأول ينوب عنـه . ويختار لشغل هذه الوظائف فى العادة فلاحون يمتازون بيسرهم وحـذقهم . وفى معظم الأحيـان تنتقل هذه الوظـائف من الأب الى الابن ، مما يدفع بأبنـاء شيخ ما على الظن بأن لهم الحق فى وراثة وظيفته .

وأما الشاهـد فيمسك بسجل يبين طبيعة ومساحة كل العقـارات التى تكون زمام القرية ، ويدون بهذا السجل أسـماء سكانها وملـكياتهم وكذلك كل عمليات نقل الحيـازة الطارئة ، ويشار اليـه بصفة العـدل (أو العادل) للتأكيد على النزاهة التى لابد لها أن تحكم أعماله .

ويقوم الصراف بتحصـيل الضرائب طبقـا لتوزيعها المـدون بسجل الشاهد ، ويتأكد من وزن وحالة المسكوكات (قطع النقود) التى تقـدم له ، ثم يسلم الحصـيلة الى الملتزم ويحصـل منه على مخالصة بذلك ، وكان الصراف فيما مضى يعمل فى خدمة الشاهد ويحصل على راتبه منه .

ويلتزم الخولى أو المساح بأن يعرف بدقـة بالغـة زمامات القرية والحدود التى تفصل بين أراضى الملاك ، كما يحسم كل المنـازعات التى تنشب حول هذا الموضـوع ، ويدير أعمال وزراعة الوسية ، وتزرع هذه الأراضى بالتراضى شأنها شأن عقارات الفلاحين الذين يستخدمون لأراضيهم اجراء ، وتنحصر الميزة الوحيدة التى يتمتع بها الملتزم فيما تقـرر له من أفضلية تمنع تابعيه من أن يستخدموا عمالا فى زراعة أرضهم قبل أن تتم زراعة أرض الوسية .

والمشد هو المنفذ لأوامر الملتزم حين يريد أن ينزل العقـاب بالفلاحين عندما يخطئون أو يتأخرون (فى سداد ماعليهم) ، اذ ليس للشـيوخ أو موظفى القرية الآخرين الحق فى أن يتصرفوا بأنفسهم ضد المخالفين ، بل انهم ينشدون سلطة المشد كما أن عليهم أن يقدموا له العون عندما يطلبه أو يحتاج اليه ، وبالاضافة الى ما سبق فان المشد موكل بأن يخطر القرية بأوامر الملتزم .

والخفراء (الخفير) هم حراس القرية ، ويتفاوت عددهم بين قرية واخــرى ، وهم مكلفون بمنع السرقات ومنع كل ما يمكن أن يرتكب فى القرية مما يعــد خروجا على النظــام ، كما أنهم ينذرون القــرية عنــد اقتراب العربان . ويسهر الخفراء بصفة خاصة على حراسة بيت الوسية التــابع للملتزم والذى يستخدم مخزنا للمحاصيل ، ويدخل ضمن واجباتهم كذلك حراسة الجســور ومراعاة الا يقوم الفــلاحون باحــداث الثغرات فيها فى الأوقات التى تحرم خلالها هذه الأعمال .

ويقوم الوكيل باســتغلال أراضى الوســية ، لــكنه ملزم باستخدام الخولى عند بذرها ، كما يتولى جمع المحاصيل والتصرف فيها طبقا لأوامر الملتزم .

ويعمل الــكلاف — اى الراعى — تحت امرة الوكيل ، وهو موكل بحراسة قطعــان الماشية والعنــاية بها ، ويحصل لنفسه على منتجاتها من الصوف والزبد واللبن الخ ، ويفترض فى مهنتــه الالمام بفن البيطــار مما يعود بالفائدة على القرية كلها ، فهو ملزم بأن يقدم هــذه الرعاية لمن يلتمستها منه من الفلاحين لعلاج ماشيتهم .

وبالاضافة الى كل هؤلاء يوجد بكل قرية امام وحلاق ونجار ، وعلى الرغم من أن لوائح السلطان لم تتناول هؤلاء ، فقد جرت العــادة بأن يحصــل هؤلاء على راتب من القرية ، ويترتب على ذلك أن كل واحــد من هؤلاء ، كل فيما يخصه ، ملزم بأن يقدم خدماته لأهل القرية .

ثالثا : عن جبــاية الضرائب

فيما مضى ، وعلى الرغم من أن الصراف يدخل فى عداد الوظــائف الرسمية التى أنشأها سليمان ، فقد كان مرءوسا للشاهد ، ولم يكن له من عمل سوى أن يحصــل من كل فــلاح المبــالغ المفروضــة عليــه من قبل ديوان الجبــاية . ومع ذلك ، فحيث تعقــدت وتزايدت الرسوم التى بدأت تجبى حديثا ، مما جعل هذا العمل اكثر مشقة ، فان الملتزم والمزارع كليهما ، وقــد حارا فى تحديد حقوقهما والتزاماتهما ، قــد لجأ الى هؤلاء الذين اكتسبوا المعرفة التــامة باللوائح وبالأساليب المتبعــة عند تطبيقها.

وهكذا لم تعد هنـــاك قرية بها أرض زراعية ، لا نجد بها قبطيـــا (١) فى وضع يسمح له أن يقـــدم ادق واوفى البيـــانات عن الرســـوم القـــديمة والحديثة ، ســـواء المفروضـــة محليا ، (أى على القرية بشكل خاص) أو تلك المفروضـــة بشكل عمومى ، وســـواء كذلك المشروعـــة منها (أى التى قررتها اللوائح) أو الجائرة ، والتى تجبى من ملاك هـــذه القرية . وقـــد جعلت منه معلوماته هـــذه وسيطا لابد منـــه بين الملتزم والفلاحين، حتى أن الاخيرين يبـــادرون مذعنين بسداد المبلغ المطلوب ما ان يتلفظ به، وهم يرضخون بفعل الخوف لأتاوات لم يطلعهم عليها من قبل . وبفضـــل خبرة الأقبـــاط فى هذا المجـــال فقد اصبحوا هم المبـــاشرين للبـــكوات والملتزمين ، ونجـــد فيما بينهم نفس العـــلاقات التى تقوم بين أولئك الذين يدبرون — هم — لهم ثرواتهم ، فمبـــاشرو الملتزمين ومبـــاشرو ألبكوات يعترفون برياسة مبـــاشر البك شيخ البلد لهم ويلقبونه بالمباشر العمومى . وقبل أن يمارس هؤلاء مثل هذه الوظائف فانهم يتشربون هذه الأمور بالعمل تحت ادارة اسلافهم . وهم حريصـــون دوما على ان يحصروا داخل أمتهم هذا النظام المتبع (فى هذه الأعمال) والذى يشكل تراثا بالنســـبة لهم ، فهم لا يشركون فى أعمالهم ومعـــارفهم سوى الأقبـــاط ، ويعهـــد الملتزم بأعمال الصـــيرفة الى واحد من هؤلاء التـــلاميذ الذين يشار اليهم باســـم الـــكتبة (كاتب) . ويسترشد فى اختيـــار هذا بمبـــاشره ، ولابد أن يوافق على هذا الاختيار المبـــاشر العمومى ، الأمـــر الذى يوضـــح مكانة وسطوة هذا الأخير على ادارة مصر فيما يتصل بتوزيع الوظائف التى تتفرع عن أعماله .

- وما أن تنحسر مياه النيل عن الأراضى ويتم البـــذ ر ، حتى يتوجـــه الصراف الى القرية الموكلة اليـــه ، مزودا بالبيـــانات التى تتصل بضرائب السنوات السابقة .ومعلومات من هذا النوع ،ويفترض الا يعرفها الا من ينتمى الى أمة الأقبـــاط ، لاتذاع الا عن طريق الشخص الذى زود بها . وبمجرد وصـــوله يدعو اليه ديوان الجبـــاية وهو عضو فيه بحكم النشأة. كما يدعو المشايخ والشـــاهد ويبدأ فى عمليـــة توزيع الضرائب وجبايتها.

---

(١) الاقباط هم سلالة اهل البلاد الذين رفضوا اعتناق دين محمد ، وهؤلاء يدينون بمسيحية شوهتها جهالتهم كما اتلفتها أخطاء نسطوريوس .

أما الديوان الذى يفترض فيه أنه المشرف أو على الأقل الحكم فىهذه العملية فلم يكن سوى شاهد ، بل ان الفلاحين أنفسهم يفضلون ادارة الصراف على ادارة الديوان أو الشاهد ذلك أن حماسة الصراف التى لا تفتر والتى تسوغ ثقة الملتزم فيه لم تكن لتمنعه من أن يصطنع بعضا من اللباقة وشيئا من النزاهة فى اجراءاته ، وتسهم صفته باعتباره غريبا ، كما تسهم طبيعة عمله الذى ينتهى بنهاية العام باضفاء صفة الحيدة عليه ، فى حين يتهم المشايخ والشاهد على الدوام بأنهم أصحاب منفعة فى العوايد (أو العادات) المحلية مما يجعلها جائرة بشكل دائم .

وتتم جباية الضرائب وفاء لثلاثة أغراض متنوعة :

١ — لتحصيل المال الحر .

٢ — لتحصيل الاضافات التى تمت زيادة على المال الحر (١) .

٣ — لتحصيل المصروفات الطارئة والتى تستخدم للانفاق على احتياجات القرية .

ويستخدم سجل الشاهد ، الذى تحددت به مساحة وحالة الأرض التى يمتلكها كل ممول ، أساسا لعمل الصراف عند تقسيم وتوزيع الضرائب

وتوجد بكل قرية ، بخلاف الرزق ، والاطلاق ، والوسايا . والأثر ، أراض يطلق عليها اسم بور المناجز .

وقد سبق لنا القول بأن أراضى الرزق والاطلاق (أو الاتلاق) كانت معفاة من الضرائب . وينطبق ذلك على الأراضى غير المنتجة أو البور .

أما الأراضى من النوع الردىء ، والتى يطلق عليها اسم مناجزة ،

---

(١) وهى عبارة عن البرانى بنوعيه وعن الكشوفية الجديدة .

(*) وهى أراض أصابها الضعف ولم تعد جيدة الزراعة وهناك أيضا أراض تسمى بور الحوالى وهى التى يصيبها البوار فى بعض السنوات فلا تزرع (المترجم) .

ســـواء كانت تتبع الفلاحين أو كانت تتبع الملتزمين ، فتدفع ضريبة معتدلة، اقل من تلك التى تفرض على أراضى الوسية والأثر ، فهى تشكل درجـــة رابعة بالنسبة لــكل هذه الأراضى التى تنقسم الى أراض ممتازة ، والراض متوسطة واراض دنيا (أو : عال ، ووسط ، ودون) ، وتخضع هذه وتلك بالمثل لضريبة المال الحر ، وتسدده حسب درجة جودتها (١) .

وبخلاف ذلك تتحمل أراضى الأثر وحدها الزيادات التى أضـيفت الى هذه الضريبـــة ، وكذا المصروفات الطـــارئة والتى تتصـــل باحتيـــاجات القرية ، دون أية مراعاة لدرجة جودتها ، بل كان يكتفى بتوزيع الضريبـــة بنسب متساوية ، ولهذا كان يزيد أو ينقص مايدفعـــه فلاح ما من هـــذه المصروفات تبعا لعدد الفدادين التى يملكها .

وفى مصر العليا تعامل الأراضى من هذا النوع ، والتى تتبع المشايخ والموظفين الرسميين فى القرية بنفس الدرجة من الأفضلية التى تعامل بها ارض الوسية ، أما فى مصر السفلى فان هؤلاء الموظفين لايحصلون على هذه الميزة الا لجزء فقط من ممتلكاتهم .

وتقدر الضريبة على الزمامات التى لايتم قيـــاسها (أى غير محددة المساحة) بشكل اجمالى ، وتحدد الضريبة المقدرة عليها بمعرفـــة الصراف والادارة الداخلية للقرية ، وتسمى الضريبة من هذا النوع باسم كلالة . وهذه ، من ناحية العدد ، أكبر فى الصعيد عنها فى مصر السفلى . وقد تبست زمامات بعض القرى بين بين : وتقدر الضريبة على الجزء المقيس بواقع عدد الفدادين ، لـــكنها تقدر على الجزء الآخر بالكلالة .

وتتكون القرى عادة من عدة كفور تشكل الا دائرة وحيدة ، تحمل اسم القرية الرئيسة .

---

(١) لكى نوضح بأية طريقة عشوائبة كانت توزع هـــذه الضريبـــة ، يكفينا القول بأنها كانت تتراوح بين ٩٠ الى ١٠٠ مدينى للفدان من الدرجة الأولى ، ومن ٦٠ الى ١٥٠ مدينى لفدان الدرجة التانية ، بينما تفرض على أراضى الدرجة الثالثة وكذلك على أراضى [illegible] ضر[illegible]ة مقدارها من ٣٠ الى ١٢٠ مدينى للفدان .

وتنقسم هذه الوحدة الادارية فى مجموعها ، ومهما تكن مساحتها ، الى ٢٤ جزءا ، تتبع كلها لملتزم واحد أو لعدة ملتزمين .

ونقدم الآن بيانا بالضرائب التى سددتها دائرة قرية الأنبوطين ، الواقعة فى ولاية الغربية ، فى عام ١٢١٣ من الهجرة ،وهو العام السابع من قيام جمهوريتنا (١٧٩٨) : وسنقدم كما سبق أن وعدنا جدولا بكل الضرائب المقررة على احدى القرى ، وبصفة خاصة تفاصيل الرسوم (او العادات) التى تشكل البرانى . وحيث تتنوع هذه من اقليم لآخر ، بل بين قرية واخرى ، فقد كان علينا أن نكتفى بتقديم مثال من شأنه ان يبين لنا الضرائب المقررة والتى تعد اكثر من غيرها شيوعا .

قائمة بالضرائب المقررة على وحدة قرية الأنبوطين
بولاية الغربيـــة عن العام ١٢١٣ من الهجرة

الأنبوطين . . . . قرية **رئيسة**

بقـــلولة . . . . } كفور أو قرى تابعة لها
منية حبيش . . . . }

	الأنبوطين	بقلولة	منية حبيش	المجموع
إجمالى زمام الأراضى	١٦٢٦ ٣٢٤/٥٧٦	٤٧٦ ٢٤٤/٥٧٦	١١٠٦ ٤٠/٥٧٦	٣٢٠٩ ٢٣/٥٧٦
يخصم من ذلك : أراض معفاة من الضرائب				
رزق تابعة لأشخاص عدة	٤٥ ٣٨٤/٥٧٦	—	٢١ ٣٠٠/٥٧٦	
أراض بور ، شواطىء ، طرق الخ	١ ٤٠٠/٥٧٦	١٦ ٢٧٦/٥٧٦	—	
(مجموع المعفى)	٤٧ ٣٠٨/٥٧٦	١٦ ٢٧٦/٥٧٦	٢١ ٥٠٤/٥٧٦	٨٥ ٤١٢/٥٧٦
الباقى من الزمام والذى يخضع للضرائب ويبلغ	١٥٧٩ ١١٦/٥٧٦	٤٥٩ ٥١٤/٥٧٦	١٠٨٤ ١١٢/٥٧٦	٣١٢٣ ١٩٦/٥٧٦

	الأنبوطيين	بقلولة	منية حبيش	الإجمالى	الإجمالى العام
	مدينى	مدينى	مدينى	مدينى	مدينى
الأنبوطين : ويبلغ زمامها ٦ ٣١٦/٥٧٦ ١٥٧٩ فداناً منها ٦٠/٥٧٦ ١١٤					
مناجزة : أراض رديئة تدفع ضريبة ثابتة . .	٨٫٧٢١				
٤٤٨/٥٧٦ ١٢٦ أراض جيدة (عال) تشكل أرض الوسية وتقدر الضريبة عليها بواقع ١٠٧ مدينى للفدان .	١٣٫٥٦٥				
٣٨٤/٥٧٦ ٨٩٨ أراض متوسطة الجودة (وسط) وأراضى الأثر وتقدر الضريبة عليها بواقع ١٠٧ مدينى / فدان	٩٦٫١٥٨				
٤٤٠ أراض منخفضة الجودة (دون) وأراضى الأثر وتقدر الضريبة عليها بواقع ١٠٣ مدينى / فدان .	٤٥٫٣٢٠				
بقلولة : ويبلغ زمامها ٤٤٠/٥٧٦ ٤٥٩ فداناً . منها :					
١٧٦/٥٧٦ ٣٢ ف مناجزة . . شرحه	—	٢٫٥١١			
١٨٠/٥٧٦ ٣١ ف جيدة ، الوسية ، شرحه . . .	—	٣٫٣٥٠			
٨٨/٥٧٦ ٣٩٦ أرض متوسطة ، الأثر ، شرحه . .	—	٤٢٫٣٨٦			

خبيش : وزمامها $\frac{112}{576}$ ١٫٠٨٤ ف منها :					
$\frac{486}{576}$ ١٣ ف جيدة الوسية ، شرحه	—	—	١٫٤٧٤		
$\frac{220}{576}$ ١٫٠٧٠ ف ضعيفة ، الأثر ، بواقع الفدان ١١٥ مدينى	—	—	١٢٣٫٠٩٣		
اجمالى الزمام $\frac{196}{576}$ ١٢٣٫٣ ويسدد	١٦٣٫٧٦٤	٤٨٫٢٤٧	١٢٤٫٥٦٧		
الإجمالى المكون للمال الحر	—	—	—	٣٣٦٫٥٧٨	
الزيادات التى طرأت على المال الحر :					
— نصيب هذه القرية فى الـ ٧٫٤١٢٫٨٩٣ مدينى التى أضيفت إلى الميرى على يد السلاطين أحمد ومحمد ومصطفى	—	—	—	١٤٫٨٨٧	٣٦١٫٥٥٨
رسوم ثابتة على أراض جديده فى بقلولة . . .	—	—	—	٢٠٠	
زيادات على أراضى عربان قبيلة الأطياح(*) . .	—	—	—	٩٫٨٩٣	
الإجمالى العام . . .	—	—	—	١٫٥٥٨	

(*) أو كما وردت بالنص العربى el-Atahyâ (المترجم)

	الأنبوطين	بقلولة	ميت حبيش	الإجمالى	الإجمالى العام
	مدينى	مدينى	مدينى	مدينى	مدينى
ويخصم من ذلك :					
مصاريف محلية وادارية تدفع لمستحقين :					
الختمية ، وهى أول عادة جباها راس نوبة ، وهم صغار ضباط الأوجاقات	٢٢٤	—	—	٢٢٤	
قايمة الرملة ، وهى عادة فرضت لصالح الشخص الذى يقوم بتنظيم حسابات بعض رسوم الكشوفية . .	١٦٥	١٦٥	١٦٥	٤٩٥	
تقادم المنشور : وهى هدايا تقدم لضباط الأوجاقات	١٦٥	١٦٥	—	٣٣٠	
للعناية بالثيران اللازمة للترع	١٦٥	١٦٥	١٦٥	٤٩٥	
مقدم الولاية : موظف بالولاية يسير أمام الحاكم .	١٦٥	—	١٨٠	٣٤٥	
مسودة الولاية : موظف آخر بنفس الولاية . .	٣٣٠	—	٣٦٠	٦٩٠	
موقى الولاية : ضابط بالولاية يرشد الحاكم الى معسكرات الجنود	١٦٥	١٦٥	١٦٥	٤٩٥	
الجرافة السلطانى : لمن يقوم بالتفتيش على الجسور العمومية	١٩٥	٢٢٠	٢١٠	٦٢٥	
جسر بنو جودى : وهو جسر ينبغى أن تسهم هذه القرية فى صيانته	٧٥	١٧٠	—	٢٤٥	

البيان				
مقدم العسكر : وهو موظف بالولاية يعمل دليلا لعسكر الشوربجية	٦٠	—	—	٦٠
تسويف مقرر : وهو موظف آخر بالولاية . . .	١٨٧	٣٣٠	٣٣٠	٨٤٧
مظالم الولاية : ضابط بالولاية مهمته أخبار الحاكم بما يدور بالولاية	١٥٠	—	—	١٥٠
تقرير الأفندى : عادة للافندية الذين يقومون بتحصيل الميرى	٦٢٤	١٨٠	٩٠	٨٩٤
أغنام الضامة : وهى الخراف التى ينبغى ذبحها عند حصاد القمح	—	—	٩٦	٩٦
رأس نوبة : عادة ثانية لضابط بهذا اللقب . .	—	—	٣٨٧	٣٨٧
عادة الدعوة : وهى عادة مقررة للشخص الذى يفض الخلافات بين الفلاحين	—	—	٦٠	٦٠
نايب ريبة : وهو ضابط يقوم بالحفاظ على الاخلاق الحميدة فى الولاية	١٧٠	—	—	١٧٠
عادة الولى: وهو أحد الأولياء المحليين	—	—	٣٠	٣٠
برانى مقدم العسكر : زيادة فى العادة المقررة لهذا الموظف	٣٧	—	—	٣٧
عادة لصالح المشايخ	١١,٩١٠	٦,٥١٠	١٢,٦٠٠	٣١,٠٢٠

	الأنبوطين	بقلولة	ميت حبيش	الاجمالى	الإجمالى العام
	مدينى	مدينى	مدينى	مدينى	مدينى
لاقامة الجسور	٣٦٠	٢٤٨	٣٨٠	٩٨٨	
لحراسة المكان الذى تتم فيه عملية جباية هذه الرسوم واصطحاب الاموال الى القاهرة	٨١٦	١٦٦	٤٤٠	١,٤٢٢	
خولى الجرافة : وهو الذى يفتش على الجسور .	٢٠٢	—	—	٢٠٢	
الخفير الدوار : حارس القرية	٢٠٠	—	—	٢٠٠	
كلاف الاطوار : راعى ثيران القرية	١٠١	—	٥٠	١٥١	
للنجار الموكل باصلاح أدوات الرى	١٠٠	—	—	١٠٠	
للشيخ امام	١٠٠	—	—	١٠٠	
خولى الزرع : ويفتش على البذار وهو مساح كذلك	—	—	١١٠	١١٠	
صنغار الجرافة : أجر العاملين فى جسور الولاية .	١,٢٧٠	—	١,٠٣٨	٢,٣٠٨	
معاش لعربان قبيلة الأطياح	٤,٣١٥	٢,٠٠٠	٢,٠٠٠	٨,٣١٥	
عادة الصراف الجابى	١,٠٠٠	١,٠٠٠	١,٠٠٠	٣,٠٠٠	
رزق تدفع نقدا	٥,٠٠٠	١,٥٠٠	١,٥٠٠	٨,٠٠٠	
صيانة جسور خاصة بالقرية	٩١٧	—	—	٩١٧	
الاجمالى	٢٩,١٦٨	١٢,٩٨٤	٢١,٣٥٦	٦٣,٥٠٨	٦٣,٥٠٨
الباقى	—	—	—	—	٢٩٨,٠٥٠

ويوزع بمعرفة الملتزم ما يلى طبقا للوائح السلطان :				
الى السلطان باعتبارها ضريبة الميرى . . .	—	—	—	١٠٦,٣٣٦
الى الحاكم باعتبارها الكشوفية القديمة :	—	—	—	١٩,٠٨٩
وتفاصيلها كما يلى :	—		—	—
مال الجهـات ١١,١٤٥				
خـدمة العسكر ٦,٩٣٠				
الكلفة { تبن السلطان . . ٥١٩				
الكلفة { حوالة الحوالات . . ٤٩٥		—		
الى الملتزم باعتباره الفايظ الخاص به . . .	..	..	..	٧٢,٦٢٥
المبلغ الاجمالى(١)	..	..	..	٢٩٨,٠٥٠

(١) هذا المبلغ هو اجمالى المال الحر ، ونرى من ذلك أن المصروفات المحلية قد خصمت منه ، وتبلغ نفقات القرية ما نسبته ٢/١١٢٪ . وقد عرفنا فيما سبق أن هذه النفقات فى بقية البلاد تتراوح بين ١٠ و٣٠٪ .

	الأنبوطين	بقلولة	ميت حبيش	الإجمالى	الإجمالى العام
	مدينى	مدينى	مدينى	مدينى	مدينى
البرانى القديم					
لشراء الجمال	٨,٨٠٠	٤,٤٠٠	٨,٨٠٠	٢٢,٠٠٠	
لشراء الجديان	٢,٩٢٠	١,٤٦٠	٢,٩٢٠	٧,٣٠٠	
خراف للضيوف	١,١٦٨	٥٨٤	١,١٦٨	٢,٩٢٠	
لشراء السمن	٣,٠٠٠	٧٠٠	٣,٠٠٠	٦,٧٠٠	
كاشف الولاية	١,٩٠٧	٩٢٤	١,١٣٢	٣,٩٦٣	
قائمقام الولاية	١,٠٧٢	٥٩١	—	١,٦٦٣	
هدية أولى للمالك الملتزم	٥,٥٠٠	٢,٧٥٠	٥,٥٠٠	١٣,٧٥٠	
هدية ثانية له نفسه	٥,٥٠٠	٢,٧٥٠	٥,٥٠٠	١٣,٧٥٠	
هدية ثالثة له نفسه	٢٩,٠٠٠	١٤,٥٠٠	٣٤,٠٠٠	٧٧,٥٠٠	
حوالة الحوالات	٢,٤٠٠	١,٢٠٠	٢,٤٠٠	٦,٠٠٠	
خدم قائمقام الولاية	٢٠٠	١٥٠	٢٠٠	٥٥٠	
الاجمالى	٦١,٤٦٧	٣٠,٠٠٩	٦٤,٦٢٠	١٥٦,٠٩٦	١٥٦,٠٩٦
البرانى الجديد					
لشراء السمن	١٢,٨٠٠	—	—	١٢,٨٠٠	
لشراء الدجاج	٢,١٨٧	—	١,٦٠٨	٣,٧٩٥	
عادة التشاغوس أى حاجب الملتزم	٦٠٠	—	٤٠٠	١,٠٠٠	
عادة الملتزم	١,٣٣٣	—	٢,٠٨٠	٣,٤١٣	

عادة حوالة الحوالات	٢٤,٠٠٠	—	١٦,٥٠٠	٤٠,٥٠٠	
هدية للملتزم	٢٠,٤٠٠	—	١٣,٦٠٠	٣٤,٠٠٠	
عادة كخيا الملتـــــزم	١,٨٠٠	—	١,٢٨١	٣,٠٨١	
عادة تســـويف مقرر	٣٣٠	—	—	٣٣٠	
مصروفات على أراضى محمد الغفار	٤,٢٨٠	—	—	٤,٢٨٠	
عـ ـة مظـــالم الولاية	٨٩	—	—	٨٩	
ركبة الطـــوافة	١٥٠٠	—	—	١,٥٠٠	
زيادة الحقت بالعادة المذكورة	١٦٥	—	١,١٠٩	١,٢٧٤	
ثيران للعمل بالجســـور	٩٠٠	—	—	٩٠٠	
خراف من أجل موسم الحصاد	٣٠٠	—	—	٣٠٠	
جاويش الولاية	١٠٩	—	—	١٠٩	
نثريات محلية مختلفة تذكر للمرة الثانية	—	—	٨٢١	٨٢١	
الاجمـــــــالى	٧٠,٧٩٣	—	٣٧,٣٩٩	١٠٨,١٩٢	١٠٨,١٩٢
الكشوفية الجديدة					
رفع المظالم أو حق الطريق	١٧,٨٢٥	٦,٠٠٠	١٢,٠٠٠	٣٥,٨٢٥	
فردة التحـــرير	٦,٨٠٠	٣,٠٠٠	٤,٥٠٠	١٤,٣٠٠	
كلفة جديـــدة	٥,٠١٥	١,٧٤٣	٣,٣١٥	١٠,٠٧٣	
اجمالى الرسوم المقررة على هذه القرية .	٢٩,٦٤٠	١٠,٧٤٣	١٩,٨١٥	٦٠,١٩٨	٦٠,١٩٨

التوزيع الجديد لهذا المبلغ

			مدينى
الى السلطان .	لضريبـــة الميرى		١٠٦ر٣٣٦
الى حاكم الولاية	للـــكشوفية القديمة	١٩ر٠٨٩	٧٩ر٢٨٧
	« الجديدة	٦٠ر١٩٨	
الى الملتزم	للفايظ وهو حصته	١٧٢ر٦٢٥	٤٣٦ر٩١٣(١)
	للبرانى القديم	١٥٦ر٠٩٦	
	« الجديد	١٠٨ر١٩٢	
الاجمـــــــالى			٦٢٢ر٥٣٦(٢)
مصروفات محلية وخلافها دفعت لمستحقين			٦٣ر٥٠٨
اجمالى الرسوم التى دفعتها هذه القرية			٦٨٦ر٠٤٤

ويفسر لنـــا المثـــال الذى قدمناه للتو ، كما يتطابق مع ماســـبق أن قلناه ماسا بتقرير وتوزيع الضريبـــة . فالتفاصـــيل المتوفرة هنـــا حول البرانى القديم والجديد تؤكد بوضوح أن غرضها المبـــدئى كان ينحصر فى توفير الأناثات والعادات (العـــادة) والهـــدايا التى كانت القرية تقـــدمها للملتزم ؛ بالاضـــــافة الى تلك التى كان على الملتزم أن يقدمها لمن هم أعلى منه ولغيرهم ، وحيث انتهى الأمر بهذه العـــادات ان أصـــبحت وجوبيـــة وبشكل صـــارم ، اذ يكفى ، تبعـــا لتقليد له قوة القـــانون فى مصر ، أن يجبى مبلغ ما لمدة سنتين أو ثلاث سنوات متتاليات كى يصبح حقا واجب الأداء بشكل مطلق ، فقد أصبحت هذه العادات تدفع فى شـــكل رســـم نقدى ؛ وليس البرانى القـــديم سوى أول رسم من هذا النوع تم تحصيله، ومع ذلك ؛ فعلى الرغم من أن البرانى القديم كان ينبغى له أن يحل محل كل العـــادات التى سبقته ، فان ذلك لم يمنع الملتزم من أن يحصل لنفسه على عادات مماثلة (لتلك التى حل البرانى القديم محلها) ، ومع مـــرور الوقت نبتت هـــذه العـــادات الجـــديدة ثم أبدلت بالمثل برسم جديد عرف بالبرانى الجديد أو المستجد ، واليوم فان كليهما يدخلان ضـــمن صـــافى حصيلة الملتزم التى يستغلها كلها لحسابه الخاص .

---

(١) غير مشتمل على دخول الوسايا .

(٢) يجمع هذا المبلغ الأبواب المختلفة للمـــال الحر والزيادات التى الحقت به ، ويكون مجموع كل الضرائب المعروفـــة أو الثابتـــة . انظر الجداول الخاصة بذلك .

وبخلاف البيـــان الذى قدمناه والذى ضم المـــال الحر المبـــدئى وكذا الاضافات التى أدخلت عليه ، فقد أنشىء لكل قرية جدول خاص بالمصروفات الطارئة والاعتيـــادية ، وأدرج به كل الانفاقات التى تنجم عن زيادة رواتب موظفى مكتب القرية وعن اصـــلاح الجســـور والترع غير السلطانيـــة ، بالاضـــافة الى الأتاوات أو العـــادات التى تقدم للملتزم والبك والمبـــاشر أو لقبيلة ما من العربان ، وان كان هذا الجدول لا يشتمل على المطالب غير الاعتيادية التى يقوم بها هؤلاء من وقت لآخر .

هكذا نرى كيف يمكننا بسهولة ان نقرر أن هذه الأوضـــاع كانت هى منبعا لمطالب استبدادية لا حد لها كانت تزيد على الدوام من حقوق الملتزم على الفلاح ثم من حقوق الحـــكام على الملتزمين . وليس للبرانى القـــديم والبرانى الجـــديد والـــكشوفية القديمة والـــكشوفية الجديدة من اصـــل بخلاف ذلك ، وقد ظلت هذه الضرائب تتزايد فى الأزمنة الحديثة باصطناع وسائل مشابهة حتى اصبحت العـــادات التى يحصلها الملتزم تشكل برانى ثالثا فى نفس الوقت الذى يمكن لنـــا فيه أن نعـــد الضرائب التى كانت تجبيها الحكومة بمثابة كشوفية ثالثة .

أما المطالب غير الاعتيـــادية فـــكان يسهل تحصيلها على الدوام بفعل تواطؤ المشايخ الموكلين بجباية الأموال التى تتقرر جبـــايتها عن غير طريق الصراف ، ومع ذلك فقد كان من مصلحة الملتزم أن يداهن فلاحيـــه ، وهنا يكون بمقدور شيخ محنك أن ينـــأى بهؤلاء الفـــلاحين عن اتخـــاذ مواقف متطرفة قـــد تصبح ضـــارة بمصـــالح الملتزم ، وأن يستدرجهم فى معظم الأحيـــان لأن يسددوا ما يطلب منهم حين يبالغ فى سطوة ومكانة الشخص الذى أسس هـــذه المطالب وما له عليهم من حقوق ، وبخاصـــة عنـــدما يوهمهم بأن هـــذه المبالغ ، ما ان سددت هذه المرة ، فلن تتكرر المطالبـــة بها مرة اخرى .

ولقد كانت هـــذه العقليـــة الحاذقة والدساسة تهيىء لهؤلاء الشيوخ الوسائل العديدة لتكوين الثروات ، ففى الوقت الذى كانوا على ثقة تامة فيـــه بأنهم سيحصلون على هـــدية من جانب الشخص الذى يجبـــون له هذه المطالب ، فقد كانوا يحصلون على مكافأة مماثلة من القرية التى كانت تثق فى أن هؤلاء يعملون بحماســـة وغيرة فى سبيل مصـــالحها هى ، وهنـــاك اتهام آخر يوجه لهؤلاء يتمثل فى عدم نزاهتهم فى توزيع أعبـــاء

المصروفات التى من هذا النوع وذلك بأن يحصلوا من كل فلاح مبلغا اكبر على نحو طفيف مما كان ينبغى عليه أن يدفعه ، ومع ذلك فقد كان يتبغى عليهم ان يقتسموا عائد لصوصيتهم تلك مع الشاهد والصراف الذين لم يكن ليفوتهما أن يحيطا الملتزم علما بذلك اللهم الا اذا وجدوا أن من مصلحتهم ان يلزموا الصمت . وفى كل مرة كان يرسل فيهما الملتزم أو من ينوب عنه ، ولسبب او لغير سبب ، من يحمل أوامره الى احدى القرى ، فقد كان عليه ان يسدد الناوة حق الطريق التى كانت توزع وفقا لرتب افراد (سرية) حق الطريق ، فيحصل القواس على ٢ الى ٣ بوطاقات ، ويحصل السراج على ١٥ الى ٣٠ بوطاقة ، والجندى من ٦٠ الى ١٠٠ بوطاقة اما الكاشف فكان يحصل على ٢٠٠ الى ١٫٠٠٠ بوطاقة . وعندما جلا الفرنسيون عن الصعيد ليبدءوا زحفهم ضد الاتراك والانجليز ، لم يتجاسر مراد بك الذى بسط نفوذه على هذه البلاد التى تم الجلاء عنها على أن يجبى الضرائب الاعتيادية ، ولكنه بدلا من ذلك قد ضاعف من ارسال حاملى الأوامر دون دافع حقيقى (الا الحصول على حق الطريق) ، وفرض من الفين الى ثلاثة آلاف بوطاقة عن اى بريد يرسله .

ويحرر الصراف بالتنسيق مع الشيوخ والشاهد قائمة بالجداول المدونة أو الثابتة . ويبدأ التحصيل فى الشهر الثالث من السنة القبطية ويستصحب كل شيخ من شيوخ القرية الفلاحين التابعين له ، فيسلمهم سجلا مدونة به أسماؤهم ومبينة أمامها الضريبة التى عليهم أن يسددوها .

ولابد أن يتم السداد مثالثة (اى الثلث فالثلث فالثلث) بشكل يتطابق مع دورة المحاصيل . وبعد تحصيل الثلث الثانى يجتمع الصراف والشيوخ والشاهد من جديد لاعداد جدول بالمصروفات الطارئة والمعتادة ، وعندما لا يكون الملتزم مقيما بأرضه ، فانهم يتوجهون الى القاهرة ليضعوا الأمر تحت تصرفه ، وعندئذ يفحص سير وسلوك الشيخ بكل عناية ، ويتم فصل كل المصروفات التى سيدون بالجدول عن تلك التى ستحذف منه اما لأن هناك أسبابا تدعو لعدم اظهارها واما لأنها لا تتفق مع ما طلب الى الفلاحين سداده ، ونادرا مايوقع الملتزم قائمة الحساب هذه دون أن يحصل منه على خدمة مماثلة ، فاما أن يحصل منه على جزء من الأرباح التى حققها (الشيخ) ، واما أن يعاقبه جزاء خياناته واختلاساته ، أما اذا اهمل الملتزم هذه الوسيلة الأكيدة لزيادة دخله فانه يتظاهر بأنه انما يضع نصب

عينيه سلوك شيخه ، ذلك ان استلابه لثروة هذا الرجل ليست سوى مسألة وقت ، فلابد أنه سوف يقع ، بعد وقت طال أوقصر ، على الفرصة المواتية كى ينتزع فى يوم واحد ماظل يحصله هذا الشيخ طيلة سنوات طوال .

وعند عودة هؤلاء الى القرية يجمع الصراف الى جانب تحصيله الثلث الثالث من الضريبة جباية المصروفات الطارئة والاعتيادية التى تم للتو اقرارها . وليست القائمة الجديدة التى يسلمها للممول شيئا آخر سوى نسخة جديدة من جدول توزيع الضرائب الثابتة مضافا اليها نصيب هذا الممول من المصروفات الطارئة والاعتيادية . ويدون فى هذه النسخة الجديدة كل اقساط الضرائب التى دفعها الفلاحون ، ولا يقوم هؤلاء الذين تصرفوا بالفعل فى محصولاتهم ، بسداد ما عليهم الا على مضض ومع كثير من المشقة مع استخدام العصى والحبس والأغلال لارغامهم على ذلك .

وبمجرد أن توشك جباية الضرائب على التمام ، يرسل الصراف حصيلتها الى الملتزم او يسلمها الى القائمقام طبقا للتعليمات التى تلقاها . وفى الحالة الأولى ، فانه يعهد الىخدمه هو ،أو الى خدم الملتزم بارسالها، لكنه يصر على أن يصحبهم اثنان من شيوخ القرية ، فحيث تعد القرية مسئولة عن احتمال تعرض اللصوص لهذه الأموال أثناء الطريق ، فسوف تكون شهادتهما نافعة للملتزم لاثبات الجريمة ولارغام فلاحيه فى نفس الوقت على أن يدفعوا للمرة الثانية .

وعندما يتبين الصراف أن اجمالى الضرائب قد تم سداده ، فانه يحصل على ضعف ذلك البند من قائمة الضرائب (المقررة على الفلاحين) الذى يبقى « على بياض » بحضور الشيخ والشاهد ، والعادة هى التى ثبتت هذه الطريقة من الجباية التى لايعرف لجشعها حد ، وعندما يحصل الفلاح على المخالصة فانه يبدى فرحة طاغية تبرهن بوضوح الى اى حد تروع هؤلاء الناس تلك المعاملات السيئة التى يتعرضون لها اذا ما تأخروا فى سداد ما عليهم .

ويقوم الصراف كذلك بجباية المصروفات المحلية والادارية التى تؤخذ خصما من المال الحر ، كما يجبى كذلك عادات السكشوفية القديمة والسكشوفية الجديدة . وكان يحدث عادة أن يتصرف البكوات والملتزمون

فى دخولهم عن طريق توكيلات يعطونهـــا لدائنيهم ، ويفـــوذ هـــذا الوفاء المستعجل بالنفع على الصراف الـــذى كان يطلب استـــقطاعات من الدين تتناسب قيمتها مع السرعة التى يحققها فى اتمـــام سداده ، وحيث كانت العـــادة تخول له الحق فى تحصيل ٢ الى ٣ مدينى من كل ممول عنـــدما يسلم اليه قائمة بالضريبـــة المقدرة عليه ، وحيث كان يحصل منه على أتاوة مماثلة فى كل مره يسجل له فيها تنزيلا من الحساب ، وحيث كانت تتضاعف امثال هذه العـــادات أو الأتاوات فقـــد كان كل ذلك يهيىء له تحقيق أرباح طائلة ، وبخلاف ذلك فقد كان يعطى له ضمن انفاقات القرية ثلاثة مدينى (من كل فلاح) عنـــدما يقوم بتسليمه الشطبة أو المخالصـــة النهائيـــة .
والى جانب هذا كله كان الصراف يحقق ارباحا من قطع المسكوكات (النقود) التى كانت تسلم له عنـــد السداد ، وذلك بألا يتسلمها الا بسعر أدنى من السعر الذى تتداول به فى القاهرة . ويستغل الصراف حالة البؤس التى يرى عليها الفلاح وانخفـــاض سعر الماشيه فى القرية التى يعمل بها كى يقوم بمضـــاربات فى عمليات شراء من هذا النوع . اذ كان مركزه يهيىء له كل يوم أرصدة ماليـــة كان من السهل عليه أن يستخدمها قروضا تعود عليه بربح كبير ، هكذا كانت لديه وسائل لا حصر لها تصل بدخوله الى مبـــالغ هائلة ، ومع ذلك فحيث أن هذه الحصيلة فى مجملها معروفة لمباشر الملتزم فقد كان يؤول الى هذا الأخير جزء كبير من هذه الدخول ، وكان هذا المباشر بدوره يقتسم حصيلته من ذلك مع المبـــاشر العمومى ، بل وفى بعض الأحيان مع نفس الملتزم الذى هو تابع له .

وكانت الضريبـــة تسدد بالمدينى ، ويشكل كل ٩٠ مدينى قطعة نقد أصبحت قياســـية تسمى بوطاقة ، وفى نفس الوقت ، فحيث كان الملتزم لا يحتسب البوطاقة أو الـــ ٩٠ مدينى التى تســـدد له الا بسعر يبلغ ٨٥ مدينى فقط ، فقد نتج عن ذلك أن كانت القـــرية تدفع ٩٫٠٠٠ مدينى كى لا تسدد ســـوى ٨٫٥٠٠ مدينى ، وفيما عـــدا ولاية الفيوم ، فقـــد كانت البوطاقة تسلم الى الصراف بسعر ادنى من ٨٥ مدينى ، يتراوح بين ٨٠ و٨٥، فى حين كان الصـــيارفة يحاسبون ملتزميهم على الدوام بواقـــع ٨٥ مدينى للبوطاقة الواحدة مختصين انفسهم كذلك بالفروق الناتجة من ذلك، وهذه البوطاقة ليست شيئا آخر سوى التـــالارى Talaris او عملة الامبراطورية الجرمانية القديمة . وفى أيام الـــكخياوين ابراهيم ورضوان كانت البوطاقة تساوى ٨٥ مدينى ، وبفعل تحوير تم فى سك هذه القطعة

النقدية أمر على بك بأن تبلغ قيمتها ٩٠ مدينى ، وحيث لم يشأ الملتزمون أن يتحملوا نتائج ستؤدى الى نقص السعر الأصلى للمدينى فقد أدخلوا العادة التى انتهينا من بيانها . ومنذ على بك تضاعفت عمليات التحوير هذه (فى سك هذه العملة) حتى أن التالارى الصبح يساوى اليوم من ١٥٥ الى ١٦٠ مدينى ، ومع ذلك فحيث وجد الملتزمون الوسائل التى تعوضهم عن الخسارة الناجمة عن هذا التدهور فى سعر المسكوكات فانهم لم يغيروا فى شىء هذا الأسلوب فى الدفع .

وقبل أن ينهى الصراف عمليات التحصيل يولى اهتمامه أرض الوسية لكى يتسلم ايجارها اذا كانت مستزرعة أو لكى يحصل عوائدها من الوكيل اذا كانت مستغلة لحساب الملتزم . وينهى الصراف عملياته فى القاهرة حيث يقدم للملتزم أو الى مباشره حسابا عن كل مراحل عمله .

لدينا الآن فكرة محددة ودقيقة عن أصل وطبيعة الضرائب التى تجبى عن الأراضى ، لكن الروتين السقيم الذى اقتضى من الباب العالى أن يحجم عن أى تغيير (فى هذا النظام) قد منعه من زيادة ضريبة الكشوفية والفايظ بالنسب التى كان يتطلبها تغير الأزمان وتغير قيمة المسكوكات ، وقد أساء حكام الولايات والملتزمون الافادة من هذا الاهمال حين فرضوا بأنفسهم مالا يدخل فى اختصاصهم ، ولم يعد الأمر يقتضى الا أن نبحث فقط فيما ان كانت العدالة تبرر هذه الدخول الجديدة التى قرروها لأنفسهم . وسوف يساعدنا فى حسم هذه المسألة أن نعقد مقارنة بين الضرائب التى كانت تحصل قديما وتلك التى تحصل حديثا من قرية الأنبوطين :

		مدينى
تدفع القرية تحت بند المال الحر المبدئى		٣٦١ر٥٥٨
وتحت بند البرانى القديم	١٥٦ر٠٩٦	
وتحت بند البرانى الجديد	١٠٨ر١٩٢	
وتحت بند الكشوفية الجديدة	٦٠ر١٩٨	
		٣٢٤ر٤٨٦
وهكذا يدفع ممولو القرية اليوم ضرائب مقدارها		٦٨٦ر٠٤٤
وكانوا يدفعون فى عهد سليم وسليمان		٣٦١ر٥٥٨
وهكذا تزيد قيمة ضرائب اليوم بفرق قدره		٣٢٤ر٤٨٦

ونفحص الآن ما ان كان المبلغ الذى كان يسدد فى السنوات القريبه من فتح مصر على يد سليم يشكل فى الحقيقة قيمة أعلى من قيمة تلك المبالغ التى تحصل اليوم .

بلغت قيمة التالارى الذى قدره على بك فى عام ١١٨٥ من الهجرة (١٧٧٢ م) بتسعين مدينى ، ١٥٠ مدينى عند دخول الفرنسيين مصر . ويمكن أن نتخذ هذا التغير اساسا نقيس بمقتضاه تلك التغييرات او التحويرات التى تناولت القيمة الأصلية للمدينى خلال ٢٧ عاما ، بل ان هذا التغيير يفترض حدوث تحويرات سابقة لن نبالغ مطلقا عندما نقدرها على أساس أن التالارى أو البوطاقة لم يكن يساوى فى عهد سليمان أكثر من ستين مدينى . ويبرهن لنا هذا التقدير على أنه كانت الـ ٣٦١ر٥٥٨ مدينى التى كانت تدفع خلال عهده تساوى ٩٠٣ر٨٩٥ بالقيمة الحالية فان قرية الأنبوطين حين تدفع اليوم ٦٨٦ر٠٤٤ مدينى هى الضرائب المقررة عليها طبقا للبيانات التى لدينا ، فانها — على هذا الأساس — لم تكن لتدفع فى عهده سوى ٢١٧ر٨٥١ مدينى (*) بحساب القيمة الحقيقية للضرائب التى قدرها سليمان .

وعندما نقوم بعمليات تقريب مماثلة بالنسبة لكل قرى مصر فاننا نصل الى نتيجة لاتختلف كثيرا عن تلك التى انتهينا من ايرادها .

وهكذا ، فاذا كانت الأعباء التى تقع على كاهل المولين قد تقلصت الى تلك التى أوردنا بيانا بها ، فان ماقلناه ماسا بهذه الأعباء الأخيرة يبرهن بالتأكيد أنها زيادات مشروعة ولا ينقصها لكى تصبح كذلك الا تصديق السلطان ، وعلى ذلك فحيث لم تتضمن هذه القائمة مطلقا المصروفات التى يطلق عليها اسم طارئة أو اعتيادية ولا تلك التى لم نجدها حتى مدونة فى القائمة المنفصلة التى تحرر خصيصا لكل قرية اذ كانت تتم جبايتها على يد العسكر ، ولما كان طغيان البك وجشع الملتزم واحتياجات الحكومة وانتهابات العربان ، وهذه أمور شبه دائمة ، تصل بهذه الأعباء الى مبلغ يماثل حجم ماتصل اليه الضرائب المقررة ، فسيكون من الميسور لنا أن نتفهم ماسبق أن قلناه عن اعتدال الضرائب المدونة وما بيناه فى نفس

(*) وهو مايعادل ماتدفعه حاليا تبعا للقيمة الحالية للعملة (المترجم)

الوقت عن الحرمان والشقاء اللذين يستنزفان فى الحقيقة مزارع هذه الأرض ، التى تعد أخصب أراضى العالم .

ومع كل ماسبق ، فقد لاحظنا ، وهو أمر بالغ الشذوذ لحد لا سبيل الى تفسيره ، كيف يكون الفلاحون أقل احساسا بالسعادة وحسن الحظ حين يجود الدهر عليهم بملتزم عادل ومنصف اذ يرونه ضعيفا وأقل مهابة، وهو مايتناقض مع استجابتهم لتلك الميزة المجافية لكل عقل ، ميزة أن يكون سيدهم رجلا قويا برغم أن الأول كان يعاملهم بنزاهة وانصاف .و أن الأخير كان يبتزهم دون رحمة .

٤ — عن مصر العليا

فى مصر العليا ، أى فى ولايات قنا واسنا وجرجا واسيوط ومنفلوط والمنية وفى ثلث ولاية بنى سويف تتغير نظم الادارة بفعل أوضاع تتفق مع نظام الملكية القائم فى هذه المناطق .

وهناك تخلف أرض الأثر والوسية كل عام حيث أن الملتزمين والفلاحين يمتلكون الأرض على المشاع .

وبمجرد أن يسمح انحسار المياه ببذر الأرض ، يصل الى القرية المساح القبطى الذى عينه الملتزم ، فيقيس الأراضى القابلة للزراعة فى حضرة الملتزم وقائمقامه وموظفى الموقع . وتصبح الأرض التى تكون من نصيب الفلاحين لهذا العام هى أرض الأثر ، وتخضع لضرائب تساوى تلك التى يجبيها الملتزمون فى مصر السفلى . أما تلك الاراضى التى تخصص للملتزمين فتشكل ارض الوسية. ويدون فى احد السجلات مساحات وحالات هذه الأراضى وتلك ، كما تحدد طبيعة الضرائب التى ستقدر عليها . ويعود سبب هذا النوع من التقسيم ومن التملك السنوى الى عدم انتظام او استواء الفيضانات ، والى غرابة ماتحدثه ، حين تجعل فى بعض الأحيان أرضا كانت بالغة الجودة قاحلة ، او تجعل أرضا لم تكن تساوى شيئا خصيبة معطاء.

ويساعد كل من الشاهد والخولى المساح فى أعماله ، ويراعون أن تكون هذه الأعمال منصفة منتظمة وغير متميزة . وتتفق ألقاب ومهام بقية

موظفى مكتب القرية بشكل تام مع مثيلاتها فى التنظيم الادارى لوحدات مصر السفلى .

ومهما تكن الاختلافات التى صنعتها العادة فى تسميات الضرائب العقارية التى تجبى فى الصعيد فان كافة فروعها ترتبط اما بالمال الحر واما بالزيادات التى الحقت بها تحت اسماء كشوفية وبرانى ، وهكذا فان الضرائب المقررة هناك ليست سوى التسميات المستخدمة للتعبير عن تطبيق هذه الضرائب على هذا النوع أو ذاك من المحصولات ، فيطلق اسم نبارى على الضريبة المفروضة على الأراضى التى تزرع بالذرة أو الأعلاف عندما تروى هذه الأراضى بشكل صناعى أى بواسطة الشادوف، ويطلق على نفس هذه المحاصيل اسم بعلى اذا ما كان الفيض الطبيعى قد وفر الرى الطبيعى لها ، وفى حالتنا هذه فان الفلاح الذى قد يقوم فى بعض الأحيان بحصدة ثانية يصبح ملزما بدفع الانجر (؟) Ongre أما تلك الأراضى التى تزرع بالقمح والشعير والفول أو بغلال اخرى فتخضع لضريبة البياضى ، وذلك بخلاف ضريبة الشتوى التى يتم سدادها بمجرد أن تبدأ البذور فى الانبات .

ويدفع الفلاحون نقدا ضرائب النبارى والبعلى والأنجر والشتوى ، لكنهم يسددون ضرائب البياضى عينا فى شكل حبوب . وفى هذه الأيام ، تقدر الغلال اللازمة لسداد هذه الضريبة بـ ٤/٥ اجمالى الضرائب المقررة ، وهو الأمر الذى يبرهن على أن منتجات هذا الأقليم تتكون بصفة اساسية من الحبوب .

وفى حين تشكل المبالغ المحصلة عن الأراضى التى بذرت بالذرة والاعلاف ومحاصيل الشتوى المال الحر النقدى فان حصيلة البياضى تشكل المال الحر العينى (١) . أما الغلال التى تسدد بها هذه الضريبة الأخيرة

---

(١) يتراوح المال الحر المقدر على فدان واحد من أية درجة مزروع بالذرة أو الأعلاف من ١٠٠ الى ٢٥٠ مدينى بالنسبة لزراعات النبارى والبعلى والانجر ، أما المال الحر المقدر على فدان من أى نوع بالمثل (أى دون تفرقة بين درجات جودة الأرض) تم بذره بالحبوب فيتراوح بين ٢٠ الى ٤٠ مدينى عن الشتوى ومن ٢ الى ٤ أرادب من القمح بمكيال القاهرة عن البياضى .

فتتحول دوما الى أرادب من الشــعير بنسب متفق عليها لتثبت القيمـــة المقارنة للشعير وللحبوب الأخرى : فأردب من القمح يماثل اردبا ونصـف الأردب من الشعير ، وأردب وربع الأردب من الشعير يعادل اردبا واحدا من الفول أو العدس أو البسلة وهكذا .

وقد سبق لنـــا القول ان الميرى والــكشوفية لم يكونا يختلفان قط فى مصر السفلى ، وهو نفس مايحدث فى الصعيد حيث تحصــل هــذه الضرائب كما رأينـا للتو ، نقدا وعينا ، وفوق ذلك فان الملتزمين هنــاك ملزمون بتحصيلها بنفس القيم التى حددتها اللوائح وبالطريقــة التى يسدد بها الفلاحون المــال الحر لهم : وهكذا فعلى الرغم من أن نوع زراعـــة الأرض يحدد فى مصر العليا طبيعة الضريبة التى يحمل بها هؤلاءالفلاحون، فقد كان الأمر لايختلف بالنسبة للسلطـــان ولحكام الولايات ســـواء زرعت الأرض بالذرة والأعلاف أو زرعت بالقمح والفول والشعير الخ .

ويطلق على القبطى الجابى للضرائب فى الصعيد ، وهو الذى يسمى بالصراف فى مصر السفلى ، اسم العامل ، وهنا كذلك يحل سجل المساحة محل سجل الشاهد فى قرى مصر الدنيا، فيستخدم أساسا لتوزيع الضريبة اما النسبة التى يجب سدادها نقدا فلابد ان تسدد قبل حصد المحاصيل ، و اما تلك التى تحصل عينا فتتم جبايتها بمجرد أن يتم الحصاد .

وينبغى أن تنقل الغلال الى مخزن يقع على شواطىء النيل مهما يكن موقع أملاك المولين ، ومن المسموح أن تكون الحبوب مخلوطـــة بمقـــدار السدس بالأجسام الغريبة أو الطين او القش أو بأية مواد أخرى ، فاذا تجاوزت هذه الأشياء عديمة القيمة نسبة السدس هذه فان الفلاحين ملزمون بتعويض ملتزميهم .

وتشتمل أملاك الملتزمين فى صـــعيد مصر على عـــدة نجوع ماهولة تشكل فى مجموعها وحدة ادارية واحدة تصل أهميتها الى حد أن الاقطاعيين (الملتزمين) الذين لا يقيمون بأراضيهم يضطرون لأن يعهدوا بها الى كاشف يتبعه عدد من القــائمقامات يقيمون بالــكفور أو النجوع التــابعة للقرية الأساسية . وعندما يجد العامل (الصراف) نفســـه فى حالة لاتمكنه من الوفاء بمتطلبات العمل الموكل اليه فانه يعهد بجزء من مهامه الى مرءوسين له يسمون قوباض Qoubâd يحصل هو منهم على جبـــاياتهم وينظم لهم حساباتهم بحيث تندرج حركتهم ضمن حركته .

ولم يكن فلاحو مصر العليــا على الاطلاق قيانا (قين) للارض مثل حال فلاحى مصر السفلى ، فلم يكن الملتزم ليســتطيع ان يرغمهم على البقــاء وعلى العمل فى ارضــه ، حيث لم يكن هؤلاء ليقبلوا فلاحة الارض — وبالتالى يصبحون ممولين للضرائب — الا بموجب عقد اختيــاري يقتصر على بذر وحصد زراعات عام واحد .

وقبل سيطره علي بك كان شيخ العرب همام يحكم ولايات الصــعيد باسم باشا القــاهرة ، ولم تكن القوات العثمانية لتتوغل فى هــذه البلاد مطلقا ، بل كانمن النــادر أن يظهــر الأتراك فى القــرى التى كانوا هم ملتزمين لها . وكانت هذه الاحتياطات تهدف الىإقامة حكومة تقى بلاده من مظالم الأجنبي وذلك بقيــامه بتحصيل الميرى المستحق للباب العــالى بكل دقة وبحرصة على الا يتسبب مشايخ البــلاد فى حدوث مايمكن ان يكون موضوع شكوى سادتهم (الملتزمين) ، لــكن القضــاء على هذا الحــاكم العــادل قــد أسلم الصعيد الى نفس طغاة مناطق مصر الأخرى : ومع ذلك فان الضرائب والابتزازات هناك لم تتزايد بنفس معــدلها (فى مصر السفلى) أما بسبب المداراة والمراعاة اللتين لابد من الحرص على توفيرهما مع فلاحين قادرين على دمار ســيدهم وذلك بهجــرهم أرضــه ، واما ، وهو أكثر الأسباب احتمالا ، لأن التــدهور والخفض المســتمر فى قيمــة المسكوكات النقدية لم تكن تبرر مطلقا زيادة هــذه الضرائب هنــاك حيث تظل للضرائب العينية على الدوام نفس قيمتها . وقــد كان فــلاحو مصر العليــا يعفون من رسوم :رفع المظالم ، وفردة التحرير وكذلك من معظم العادات الداخلة ضمن مايطلق عليه اسم البرانى الجديد .

وكانت الحرية التى يتمتعون بها ، ووقت الفــراغ الذى تتيحــه لهم زراعة أقل مشقة تتوقف أعمالها طيلة ستة اشهر ابتــداء من الحصاد حتى فيض الميــاه ، كان كل ذلك يسمح لهم بالانخراط فى العــديد من ضروب الصــناعة : فهم يصنعون الأقمشة والفخاريات والحبــال والحصر ..الخ كما أنهم يمدون القــاهرة بالــكثير من العمال والخــدم وبخاصــة بوابو الوكالات الموجودة بهذه العــاصمة ، ويتوجه هؤلاء عادة الى قراهم خلال فصل الحصاد ثم يعودون الى القاهرة بعد انتهاء مشاركتهم فى الأعمــال المطلوبة .

ويدين شيوخ الصعيد لبعدهم عن مقر الحكومة وللنفوذ الذىاكتسبوه

تحت ادارة الشيخ همام بالاختصاصات (التى فى حوزتهم) وهى أبعد مدى عن تلك التى فى حوزة اخوتهم المستقرين فى مصر السفلى ، كما أن الملتزمين هناك متساهلون غير مدققين فى التمسك بامتيازاتهم ، كما أنهم يعفون الشيوخ من سداد الزيادات التى طرأت على المال الحر ويمنحونهم امتيازات أخرى اذ كان من المهم بالنسبة لهم ان يربطوا الى مصالحهم رجالا ذوى ارادة ولهم سطوة على فلاحيهم .

وسوف يوضح لنا الجدول الذى نورده فيما يلى حرفيا الضرائب النقدية والعينية التى تدفعها طهطا التابعة لولاية أسيوط خلال عام ١٢١٣ من الهجرة ، العام السابع من قيام جمهوريتنا (١٧٩٨) ، وسوف ينطبق مع كل ما انتهينا من قوله ماسا بأسلوب الادارة ووسائل جباية الضرائب المقررة فى الصعيد .

بيان بالضرائب المقررة على أراضى طهطا
بولاية سيوط عن عام ١٢١٣ من الهجرة

طهطا : قرية رئيسة

المدمر — العتامنة — الواقات — كوم العرب — الهلة — الساحل — القبيصات — الحومدية (*) — الطليمات — نزة — فزارة — جهينة — القرنة — الخضر — عنيبس — أولاد اسماعيل — الحرافشة — بنى عمار — كوم اشقاو . ← **نجوع أو قرى أخرى تابعة لها .**

مساحة الأراضى المحملة بالضرائب مع بيان توزيعها :

ق	ف	البـــــارى	مدينى	مدينى
١٩	٦	زرعت لأول مرة بمحصول النيلة بواقع الفدان ٣٦٢ مدينى	٢٫٤٥٩	
٩	٤	زرعت لثانى مرة بمحصول النيلة		

(*) هكذا فى النص الفرنسى el Houmdyeh وان كان الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن يوردها فى كتابه الريف المصرى فى القرن الثامن عشر وكذلك الاستاذ محمد رمزى فى قاموسه الجغرافى باسم الحريدية والتشابه بين الاسمين ممكن فى الكتابة بخط القرمة الذى كان متبعا فى ذلك الوقت (المترجم) .

ق ف مدينى مدينى

بواقع الفدان ١٨١ مدينى . . ٧٩٢

١ ١٫٨٢١ زرعت بالذرة والأعلاف بواقع الفدان ١١٠ مدينى . . . . ٢١١٫٣١٥

١٢ ٢١٤ زرعت بالذرة والأعلاف بواقع الفدان ١١٠ مدينى . . . . ١٢٫٥٩٥

١٧(١) ٢٫٠٤٦ ٢٢٧٫١٦١

الشتوى

ق	ف		
١٦	٩٤٢	المدمر	
١٨	٣٧١	العتامنة	
١٨	٦٢	الواقات	
٠٨	١٫٧٣٢	الهلة والساحل	
١٢	٣٫١٠٩	بواقع الفدان ٢٢١/٤ مدينى	٦٨٫٧٩٨
١٤	٣٤٦	طهطا	
٠٠	١٥٠	القبيصات	
٠٠	١٢٠	الحومدية	
٠٠	٥٠٠	الطايحات	
٠٠	٤٢٠	نزة	
٠٠	٢٥٠	فزارة	
٠٠	١٫٤٠٠	جهينة	
٠٠	١١٠	القرنة	
٠٠	١٢٠	الخضر	
٠٠	٥٧٠	عنيبس	
٠٠	٢٥٠	أولاد اسماعيل	
٠٠	١٢٠	الحرافشة	
٠٠	١٣٥	بنى عمار	
١٤	٤٫٤٩١	بواقع ٢٢١/٤ م/ف (٩٩٫٩٣٨)	

٠٢ ٧٫٦٠١ ١٦٨٫٧٣٦

١٩ ٩٫٦٤٧ تدفع الضرائب نقدا .

١٢٥ فدانا تابعة لكوم العرب وقد خربت عن آخرها .

٠٨ ٥ خصومات سابقة .

٠٨ ١٣٠

٠٣ ٩٫٧٧٨

الاجمالى المكون للمال الحر المبدئى ٨٩٧٫٣٩٥(٢)

(١) مقام هذه الكسور هو ٢٤ (ومعروف أن الفدان يساوى ٢٤ قيراطا) .

(٢) لايغيب عن بالنا أن هذا الاجمالى يختلف من عام لآخر تبعا لنوع المحاصيل التى تبذر بها الأرض .

يخصـــم من ذلك :

انفاقات محلية ومصروفات ادارية دفعت الى مستحقين :
خصومات لمشايخ القرى عن الأراضى التى يزرعونها بالمحصولات
النبارى ومساحتها ٨ق ٥٤ف بواقع ١١٠م/ف ٩٧٧ر٥
خصومات للمذكورين عن الأراضى التى يزرعونها بالحبوب :
٢ق ٧٩٩ف بواقع ٢٢١/٨م/ف ٦٨٠ر١٧
٠٦ق ٦٤٢ف بواقع ٢٢١/٤م/ف ٢٩٠ر١٤
٩٧٠ر٣١

للنجارين الذين يقومون باصلاح أدوات الرى	٤٤٠
لجامع أبو دومه فى طهطا لشراء الزيت والحصر	١١٠ر٠
للمشايخ : محمد	٢٢٠ر٠
عبد الله	١١٠ر٠
سليمان النصيرى	٨٠٧ر٠
عمر	٥٠٠ر٠
موسى عبد الكريم	٢٢٠ر٠
عبد الرحمن العربى	٣٩٧ر٠
عادة لشيوخ من الصوامعة	٠٠٠ر٦
عادة لشيوخ من الهلة	٥٠٠ر١
عادة لشيوخ من المدمر	٧٠٠ر١
للشيخ ابراهيم العاجز	٨٥
لحراس المرفأ الذى ترسو عنده المراكب	٣٠٠ر٠
للشيخ بكرى الزواقى	٠٠٠ر١
الى أبناء وهيلة (*)	٨٠٠ر٠
	١٣٦ر٥٢
البـــاقى	٧٦١ر٣٤٣

ويوزع هذا الباقى بمعرفة الملتزم على النحو الآتى :
— الى السلطان : ضريبة الميرى، وكان المطلوب هو
٤٣٩ر٥١٤ مدينى ولكن لايخصص من ذلك هنا الا ٠٩٧ر٢١٢
فحيث أن حصيلة المال الحر لم تتجاوز ٧٦١ر٣٤٣
فانه لا يتبقى ما يزيد عن ذلك بعد سداد
الكشوفية التى سيأتى بيانها . وفى حالتنا هذه

(*) أو الوهلة أو الوهيلة ونعتذر لصعوبة التحقيق . **(المترجم)** .

لايوجد اى فايض ويضطر الملتزم لأن يستقطع من حصيلة البرانى مايكفى لسداد الميرى المقرر (أنظر بعده) .

— الى حاكم الولاية عن ضريبة الكشوفية :

. مصاريف الولاية	٨٦ر٧٨٨	
. حق الطريق	٦ر٠٠٠	١٣١ر٦٦٤
. الكلفة	٣٨ر٨٧٦	
المبلغ الاجمالى		٣٤٣ر٧٦١

مضاف قديم او برانى قديم

مال المغارم المسمى مال شتوى ومال صيفى :

الجهة الشمالية	٦٧ر٠٨٦	١٩٢ر٧٤٧
الجهة الجنوبية	١٢٥ر٦٦١	
مال المراعى		١٣ر٣١٦
مال الجروف		١ر٩٦٦
حملة الكوبيات (الصرافين)		١٠ر٤١٢
غرامة العشر (ضريبة للاحسان)		٣ر٧٠٠
عادات قديمة مستحقة على قريه المدمر		٥ر٤٠٥
غرامة العشر على الخرفان		١ر١٠٠
خرفان الموسم		٠ر٢١٠
عادات (أو عوائد) على المقاييس		٠ر٥٤٣
عادات على السوق المقام كل سبت فى الهلة (*)		٢ر٥٠٠
عادات متنوعة		٠ر٢٤٠
من قرية نزة		٤ر٤٠٠
من ابراهيم الضبيبة		٠ر٤٠٠
كلفة الملتزم (وهى عادة عينية تحولت الى نقدية)		٢٠ر٤٧٨
عادة حوالة الحوالات		١٠٠ر٠٠٠
ثمن نقدى لعجول قررتها العادة		٢٠ر٤٤٠
القيمة النقدية للضرائب المستحقة على كوم العرب نظرا لخرابها **		٤٢ر٥٠٠
عادات على سوق طهطا		٨٥ر٠٠٠
الاجمالى		٥٠٥ر٣٥٧

(*) نجد فى القاموس الجغرافى قرية باسم المحلة ولعلها هى نفس القرية لكن الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن يورد من يسمون عربان هلة لذلك آثرت ترك الاسم على النحو الذى ورد به . (المترجم) .

(**) أى أن هذه الضرائب توزع على بقية القرى بسبب خراب هذه القرية (المترجم) .

ويحصم من ذلك ما خفض عن أو دنع الى متفرقين :

حصة كوم اشقاو التى لم تعد تابعة لالتزام طهطا	١ر٥٦٠	
حصة كوم العرب التى خربت	٠ر٩٠٥	
حصة كوم اشقاو عن حوالة الحوالات	٦ر٢٥٠	
حصة كوم العرب التى خربت	٢ر٨٠٣	
حصة كوم اشقاو عن اجمالى ثمن المعجول	١ر٢٧٧	
حصة كوم العرب	٤٢٥	
مخصصات للعربان	٧٣ر٣٧٥	
عادات لمتفرقين من عادة حوالة الحوالات	١٠ر٨٥٠	
تنزيل قـــديم	٢٩ر٨٥١	
عادة قائمقام طهطا	٤٤ر٤٣٤	
اجمـــالى الخصــــومات		١٧٣ر٧٣٠
وبذلك يكون صافى حصيلة المضاف القديم هو (*)		٣٣١ر٦٢٧
وبذلك يكون صافى اجمالى الضرائب المقررة هو :		٦٧٥ر٣٨٨

مضاف مستجد ، او برانى جديد

عادات السردارية عن زراعات النبـــارى بواقع ١٠م/فدان	١٩ر٨٩٧
على مختلف القرى :	٣٨٢ر٤٧٤
هدايا للملتزم من زبد وخلافه	٣٠٣ر٠٦٥
مبالغ فرضت على هذه القرى كضريبة فردة	٢٩٦ر٠٠٠
اجمالى المضاف المستجد	١ر٠٠١ر٤٣٦

ويخصم من ذلك مادفع لمستحقين :

هدايا معتادة لمتفرقين	٢٦٩ر٨٤٧		
كسوة (هدية من الملابس لـــكبار الشيوخ عندما يجلبون العـــادات للملتزم)	١٠٠ر٠٠٠		
كسوة لصغار المشايخ (شرحه)	٣٢ر٦٦٧		
اجمـــالى الخصـــومات		٤٠٢ر٥١٤	
اجمالى صافى المضاف المستجد			٥٩٨ر٩٢٢
وبذلك يبلغ اجمالى الضرائب المقررة على هذه القرية			١ر٢٧٤ر٣١٠

(*) اضطررت لادخال تعديلات طفيفة فى تنسيق هذه الجداول زيادة فى الايضـــاح (المترجم) .

ويتم التوزيع الجديد لهذا المبلغ على النحو الآتى :

الى السلطان : ضريبـــة الميرى	٤٣٩ر٥١٤
الى حاكم الولاية : ضريبة الـكشوفية	١٣١ر٦٦٤
الى الملتزم { البرانى القـــديم ٣٣١ر٦٢٧ / البرانى الجديد ٥٩٨ر٩٢٢ } ٩٣٠ر٥٤٩	

ويخصم من هـــذه الحصـــيلة مادفعه الملتزم من ماله لاستكمال الميرى ويبلغ	٢٢٧ر٤١٧	
فيكون صـــافى حصـــيلة الملتزم		٧٠٣ر١٣٢
فنحصل على نفس المبلغ المطابق		١ر٢٧٤ر٣١٠

انفـــاقات محليـــة وخلافها تدفع لمستحقين :

خصما من حصيلة المال الحر	٥٢ر١٣٦	
خصما من البرانى القديم	١٧٣ر٧٣٠	
خصما من البرانى الجديد	٤٠٢ر٥١٤	
ويبلغ اجمالى هذه الانفاقات		٦٢٨ر٣٨٠(١)
وبذلك يبلغ اجمالى عام الضرائب النقـــدية التى تســـددها هذه القرية		١ر٩٠٢ر٦٩٠

جدول بالضرائب العينيـــة (المسددة فى شكل حبوب)

والمقررة على نفس هذه القرية

ق	ف	
٢	٧ر٦٠١	تخضع لضريبة الشتوى وتدخل هذه ضمن حساب الضرائب النقدية ، لـــكنها تسدد عادة ضريبة البياضى

ويخصم من هذه المساحة :

ق	ف	ق	ف	
٢٢	١١٨	٠٠	٧٠	يزرعها الملتزم لماشيته وخيوله
		٢٢	٤٨	احترقت محاصيلها خلال عملية عسكرية دارت بين المماليك والفرنسيين

ق	ف	
٤	٧ر٤٨٢	باقى المساحة وتسدد الضريبة بواقـــع ٢١/٤ أردب من القمح لكل فدان ٢١(*) ١٦ر٨٣٤ اردبا من القمح

---

(١) ونرى من ذلك أن الانفاقات تبلغ ٤٩ ، جملة الضرائب التى تسددها هذه القرية .

(*) سبق أن أوضح المؤلف أن مقام الكسور هو على الدوام ٢٤ .

زيادات فى المـــال الحر

ق ف

٦ ٢٤٨ { ٦ ٢٩٨ رزقة هى برك المدمر والهلة
٥٠ نقص قـــديم }
وهذه المساحة تسدد الضريبة بواقع
٢ أردب قمح / فدان ١٢ ٤٩٦
٧٦ رزقـــة بركة الأســـدارية بواقـــع أردب
و١٦ / فدان ١٦ ١٢٦ {
نقص قـــديم ٧٦ } ١٦ ٥٠

ضرائب على أراضى العمار والغرق
فى المدمر والواقات ١٢ ٤٤٥
نقص قـــديم ٣ ١٢ ٤٤٢
عن رزقة خميس فى الهلة ٨ ١١٣
٨ ٣٣ أراضى غائبة (لم يتيسر تحديدها) فى الهلة
بواقع ٢ أردب / ف ١٦ ٦٦
٠٠ ٧٩ رزقة القلاليج فى جهينـــة بواقع الفـــدان
١٦ ١ أردب ١٦ ١٣١
اجمالى الزيادات ٨ ١٫٣٠١
اجمالى المال الحر بالأرادب بمكيال البلد ٥ ١٨٫١٣٦
فـــرق مكيـــال باحتســـاب زيادة قدرهـــا ٨٠٪
كى يتم التقدير تبعا لمـــكيال القاهرة ٢١ ١٤٫٥٠٨

اجمـــالى عام للمـــال الحر المســـدد بالحبوب طبقـــا لمـــكيال
القـــاهرة (قمحـــا) ٢ ٣٢٫٦٤٥

ويخصم من ذلك انفاقات محلية ومصروفات ادارية دفعت الى مستحقين
تخفيضات لصـــالح الشيوخ كعادات لهم

ق ف

بمكيال البلاد بمكيال القاهرة

٢ ٧٩٩ } ٨ق ١٫٤٤١ف زرعت بمعـــرفتهم
٦ ٦٤٢ } بواقـــع ٢/١ ٢ أردب لـــكل فـــدان ٣٫٢٤٣

لشيوخ فى قرى مختلفة ١٣ ٢٫٢١٩ ٤ ٥٥
للشيخ عثمان ١٢ ٧
« عمر طـــه ٠٠ ١٠
« محمد النصيرى ٠٠ ١٠
« أحمد ابو السعود ٠٠ ٢٠
« أبو زيد النحاس ٠٠ ١٥

« تابع »

للشيخ احمد عمر ١٠
« عبد الفتاح الحاجرى ٥٠
« مسعود ٣٠ ..
« محمد الجابى ٧ ١١
« غانم ١٠ ..
« محمد ٢٠ ..
« القشير ٣٠ ..

عادات مخصصة منذ زمن قديم للاشراف
والعلماء ٢١١/٢ ٨٠٧

عادات المطمسين (العمال المشرفين على
الجسور) ٢١ ..

لحراس الجسور ٢١ ..

ايجارات مخازن الحبوب ١٠٥

عادات قائمقام طهطا ٣ ٨٤
للقائم بتسلم الحبوب فى المخازن ٢ ٤٣
١٥١/٢ ٦ر٤٨٨

وتزيد هذه عند تحويلها الى مكيال
القاهرة بواقع زيادة قدرها ٨٠٪ ١٨ ٥ر١٩٠ } ٩١/٢ ١١ر٦٧٩

اجمالى الخصومات ١٢١/٢ ١٢ر٠٢٠
أردب قمح

وبذلك يكون صافى حصيلة المال الحر ١٣١/٢ ٢٠ر٦٢٤
أردب قمح

وباتخاذ الشعير أساسا للتعامل فان هذه الكمية بمكيال القاهره
تعادل باعتبار أن أردب القمح = ١١/٢ أردبا من الشعير ٢٠١/٤ ٣٠ر٩٣٦
وهذه توزع بمعرفة الملتزم على النحو الآتى :

الى السلطان : ضريبة الميرى ٨ر٠٧٣
الى حاكم الولاية : كمصروفات للولاية وعليق ١٣. ٤ر٥٢٠
زيادة فى المكيال بواقع ٤١/٦ لـ ٨١/٢ ١٨٨
كلفة أثناء جولاته :

لطعامه (بالقمح)	٦٠
للبرغل	٨
للعدس	٨
لطعام الخيول	١٠٠
اجمالى الكلفة	١٧٦
الفرق عند تحويله الى شعير	٣٤

وبذلك يكون الاجمالى فقط بالشعير ٢١٠

وهكذا يكون اجمالى مايخص حاكم الولاية ٢١ ٣/٤ ٤ر٩١٨
الى الملتزم وهو الفايض الخاص به ٢٢١/٢ ١٧ر٩٤٤
وهى نفس الكمية المطابقة ٢٠١/٤ ٣٠ر٩٣٦
أردبا من الشعير بمكيال القاهرة

براني يحصل لصالح الـكاشف ويرسله اليه الملتزم
مقابل حكم القرية وتوابعها :

جراية السردارية : عادات لطعام السردار ولطعام خيوله خلال
مدة اقامة تبلغ ٢٧ ليـلة
تخصم منها حصـة كوم اشـقاو التى لم تعـد تابعـة لهذه
القريه وتبلغ ١ ٣/٤ ليلة

فيكون الباقى بعد ذلك ٢٥ ١/٤ليلة توزع كما يلى :

٧ ليالى فى الهلة)
٥ ١/٤ ليالى فى طهطا) ٢٥ ١/٤ ليلة بواقع الليلة ١٩ ١/٤ أردبا = ٢ ٤٨٦
١٣ ليلة فى جهينة)
عادات على قرى مختلفة ٧٥٠
عادات على كيالى الحبوب ٣٠
عادات على الرزق الآتيـة :

ف ف
رزقة العلقية ومساحتها ١٨٤) ٢٣٤ بواقع الفـدان
رزقة الربوة ومساحتها ٥٠) ١ ١/٢ اردب ٣٥١

	٢	١٦١٧ر١
الزيادة مقابل الفرق بين المكيال ومكيال القاهرة	١٤	١٢٩٣ر١
اجمالى برانى الـكاشف	١٦	٢٩١٠ر٢

وباتخاذ الشعير أساسا للتعامل فان هذه الكمية تعـادل
باعتبار أن أردب القمح = ١ ١/٢ أردبا من الشعير ٤٣٦٦ر٤

يخصم منها مادفع لمستحقين :

حصة كوم العرب ، وهى قرية خـربة خصـما من غذاء
الكاشف وخيوله (بالقمح) ١٠ ١١ بمكيال البلاد
مخصصات لحساب المشايخ وتسمى هبة المشـايخ وتؤخـذ

خصما من حصته	٨	٧١١
هبـات لمتفرقين فى قرية عنيبس	٠٠	٨١
الاجمـالى	١٨	٨٠٣
يضـاف اليها الفـرق بين مكيال البـلاد ومكيال القاهرة بواقع ٨٠٪	٢٢	٦٤٢
الاجمالى بمكيال القـاهرة	١٦	١٤٤٦ر١

وباعتبـار أن أردب القمح يساوى ١ ١/٢ أردبا من الشـعير
فان هذه الـكمية تساوى بأرادب الشعير ٢١٧٠ر٢

وبذلك يكون اجمـالى الضرائب العينيـة التى تسددها
هذه القرية ٢٠ ١/٤ ١٣٢ر٣٣
أردبا من الشعير

ويتم التوزيع الجديد لهذه الـكمية على النحو التالى :

الى السلطان : ضريبـة الميرى مقدرة بأرادب الشعير مكيال القـاهرة		٨ر٠٧٣
الى حاكم الولاية : ضريبـة الـكشوفية	٢١ ١/٢	٤ر٩١٨
الى الملتزم : الفايظ (او الفايض)	٢٢ ٣/٤	١٧ر٩٤٤
الى الكاشف : البرانى الخاص به مقابل حكم القرية		٢ر١٩٦
وهى نفس الـكمية المطابقـة	٢٠ ١/٤	٣٣ر١٣٢

مصروفات محلية وخلافها دفعت لمستحقين :

على نفقة المال الحر ، قمح ١٢ ١/٢ ١٢ر٠٢٠ اردبا

(عليق) وتساوى (بالشعير) ١٩ ٣/٤ ١٨ر٠٣٠ } ١٩ ٣/٤ ٢٠ر٢٠٠ (١)
على نفقـة البرانى ٢ر١٧٠

اجمـالى كميـة الحبوب التى دفعتها هـذه القـرية بأرادب الشعير	١٦	٥٣ر٣٣٣

	مقـدرا بأرادب الشعير مكيـال القاهرة
يبلغ الميرى من الغلال المحصلة من مصر العليا	٣٦٥ر٠٧٣

وبسبب نقص المعلومات الكافية فنحن لانستطيع أن نبين هنا على وجه الدقة حصيلة الفروع الأخرى من الضريبة ، فاذا ماقدرناها طبقا للنسبة القائمة بين الميرى النقدى الذى يبلغ ١٢ر١٥٨ر٤٦٧ مدينى والميرى من الغـلال فسوف نقـدر :

الـكشوفية القديمة والجديدة والتى تبلغ حصيلتهما النقدية ٩ر٢٧٠ر٦٠٢ مدينى بـ	٢٧٨ر٣٦١
الفايظ والبرانى القـديم والجديد والتى تبلغ حصيلتها نقدا ٣٩ر٥٣٩ر١٨٥ مدينى بـ	١ر١٨٧ر٢١٣
وبذلك يصل الاجمالى ، غير شامل للانفاقات المحليـة التى تخصم مباشرة من حصيلة القرى لتنفق مبـاشرة فى الأغراض المخصصة لها ، الى	١ر٨٣٠ر٦٤٧

---

(١) تعد هذه القرية واحدة من القرى التى تبلغ المصروفات المحليـة بها حد الاسراف ، اذ نلاحظ كيف انها تبلغ ٦١٪ (من الحصيلة) .

وتعادل هذه الـكمية اذا ما حولناها الى حنطة ، طبقا لمكيال القاهرة ٤٣١ر٢٢٠ر١ اردبا ، تساوى اذا قدرنا سعر الأردب بـ ١٠ جنيهات أو ٢٨٠ مدينى ، وهو متوسط سعر أردب القمح فى هذه الأيام ٣١٠ر٢٠٤ر١٢ جنيها توريا (*) أو ٦٨٠ر٧٢٠ر٣٤١ مدينى ، وهو ما يعادل بالفرنكات ٦٣٩ر٠٥٣ر١٢ فرنكا و ٥٠ سنتيما .

وبمقابلة هذا المبلغ بالضرائب التى تحصل نقدا فى هذه المنطقة التى لايدخل فيها الا ١/٢ ولاية بنىسويف و ١/٤ ولايةاطفيح ، ذلك أنثلثى الولاية الأولى وكذلك ثلاثة ارباع الولاية الثانية تتبع مصر السفلى ، نتبين أن قيمة الضرائب العينية تزيد على حصيلة الضرائب النقـدية بنحو خمسة أمثال مما قد يؤكد أن قائمتنا لم تبتعد عن الحقيقة حيث أننا نستخدم هذه النسبة عادة عند حساب الضريبة العينية التى تسددها مصر العليا ، بالمقارنة بما تدفعه من ضريبة نقدية .

ويوضح لنا الجدول الذى سنعرضه فيما يلى استخدامات الميرى المحصل عينا . أما استخدام حصيلة الـكشوفية ، والذى لم نستطع أن نورد قائمة به هنا ، بسبب عدم كفاية معلوماتنا فانه يتم فى نفس الأغراض التى تخصص لها الانفاقات النقدية ، التى تقع على عاتق البكوات أو الـكشاف حكام الولايات ، وهو ماسنتناوله بعد ذلك فى بقية هذه الدراسة .

(*) تورى Tournois صفة لنقد فرنسى قديم كان يضرب فى مدينة تور على الطراز الملكى (المترجم) .

جدول باستخدامات الميرى المحصل فى شكل حبوب

البيان		شريحة = ١٢ أردبا من القمح و ١٨ أردبا من الشعير		شريحة من الشعير = ١٥ أردبا		المجموع بأرادب الشعير
الى البــاشا		٢٣١		٦٥١		١٣,٩٢٣
الى الأوجاقات						
الى خمس من هذه الفرق العسكرية	١٢/٢٤	٥٣	١٤/٢٤	٧١	١٨/٢٤	٢,٠٣٦
الى نفس هــذه الفــرق نظــير الذهاب لاستقبال المحمل		١٠		١٧		٤٣٥
الى كيخيات (كيخيا) هذه الفرق الخمس		٩	١٦	٢١	١٨	٤٨٠
الى أوجاقات تفكجيــان ، جمولييــان ، شراكسة	—	—	٨	٢,٠١٧		٣٠,٢٦٠
الى الــ ٧٤ شوربجى بالأوجاقات		٧٤		٧٤		٢,٤٤٢
الى حاميات القلاع (أو الطوابى)	١٢	٣٣٥		٣١٩		١٠,٨٢٤
الى حراس القــلاع على طريق القــاهرة ــ مكة		٥٨		٣١٩		١,٠٤٤
الى البكوات :						
الى أمير الحج للتزود بالمؤن أثناء الطريق	٦	٣٢٤	٣٠	٤٧٣		١٢,٩٤٤
إلى دفتر دار البك		٤١	١٠	٣٣	٦	١٢٣٩
إلى فرق البكوات		٣٨٠		٦٠٨		١٥٩٦٠
الى البكوات القباطنــة الثــلاثة السويس والاسكندرية ودمياط والى قائد رشيد		١٢٩		٦٠٨		٣,٣٢٢
الى قائد السويس		٢٠		٣٢		٨٤٠
الى قاضى القــاهرة	١٦	٢٠		١٦		٦١٢
الى افندية الديوان		٦٦	١٨	١٠٥	٦	٢,٧٧٤
الى خدم الديوان		٢٩	١٨	١٠٥		٥٢٢
الى كتبة سجلات الغلال		١٣	١٨	١٠٥		٢٣٤
الى صناع البارود اللازم للحكومة		٩		٣٠		٦١٢
لطعام الثيران المستخدمة فى مجرى العيون بمصر العتيقة		—	١٢	٣٠٩	١٢	٤,٦٤٢
الى المؤسسات الخيرية الآتى بيانها :						
الى المسجد الكبير المسمى بالجامع الأزهر						
الى العميان ومرضى المارستان						
الى المغاربة وطــلاب آخرين يدرســون بجامعة الأزهر					٤	١٥٤,٣٣٩
الى موظفى وخــدم الجــامع المسمى الامام الشافعى						
الى الأوقاف الاسلامية بمصر						
عادات لعائلتى البكرى والسادات وغيرهما						

	شريحة = ١٢ أردبا من القمح أو ١٨ أردبا من الشعير		شريحة من الشعير = ١٥ أردبا		المجموع بأرادب الشعير	
أوقاف متفرقة لصالح مشايخ القاهرة		—	١٢	١٠	١٢	١٥٧
وقف ابراهيم باشا لصالح جامع اثر النبى	١٢	٢٥	٦	٣	١٨	٥٠٧
وقف اسماعيل باشا لصالح :						
قارىء القرآن بالقلعة		٥	٥	—	٣	٩٣
المفتين العلماء الأربعة	١٢	١٢		—		٢٢٥
ارساليات الى مكة والمدينة :						
الى شريف وخدم الحرمين بمكة والمدينة	١٢	٣,٥٥٨		—		٦٤,٠٥٣
الى قضاة هاتين المدينتين		٤٨		—		٨٦٤
الى بحارة المراكب التى تنقل الغلال الى مكة	١٢	٧٥		—		١,٣٥٩
نثريات يتحملها البكوات كنفقات للاشراف على التحصيل		—		—	٢٣	٣٩,٢٢٦
اجمالى مطابق لحصيلة الميرى من الغلال						٧٣٠,٦٣٥

وتدين الاراضى القابلة للزراعة فى مصر بوجودها لفيضانات النيل، فلو لم تروها مياه النيل لابتلعتها الرمال . وحيث لاتسقط الأمطار مطلقا فى هذه البلاد فان درجة فيضان النيل تعد الاساس الأوحد لقياس الأعمال والمحاصيل ، وبشكل مبدئى ، فان الضريبة لاتكون واجبة الأداء على الفلاحين اذا لم تغمر الفيضانات الأرض ، ومع ذلك ، فحدث بكفى ان تفتح الحكومة الخليج حتى يصبح الفيضان كافيا بشكل شرعى وكافيا لكى تتقرر الضريبة . فانه يترتب على ذلك ان عدم حدوث فيضان كاف لم يكن لبعفى الارض فى كل الأحوال من الضرائب . ولم يكن الباب العالى يؤجل مطلقا تحصيل الميرى . كذلك قلما كانت الحكومة تنقص من قيمة ضريبة الكشوفية . ومع ذلك فعندما يكون الفيضان مدمرا أو زائدا عن الحد مما يؤدى لأن تصبح المحاصيل ضعيفة أو سيئة فان على الملتزم أن يوقف تحصيل الفايض ، ولكنه كان يفرض جبايته فى العام التالى بالاضافة الى الفايض المقرر هذا العام . ولم تكن هناك اية لوائح ترغم البكوات أو الملتزمين على انقاص الضرائب عندما تسوء احوال المحاصيل ، لكن

مشاعرهم الانسانية او بالأحرى كان عجز مموليهم فى معظم الأحيان ، كان يحدد قيمة التخفيضات التى كانوا يقررونها فى بعض الأحيان الفلاحين .

خامسا : عن الأوقاف

سبق لنا أن شرحنا المقصود بكلمة أوقاف ، ويبقى علينا الآن أن نوضح ماتشتمل عليه دخولها :

العوائد النقدية من الأوقاف السلطانية :

دشيشة الكبرى	١ر٩٠٧ر٧٦٥ مدينى	على سبيل التذكرة
المحمدية	١ر٢٠٦ر٢٧٤	
الأحمدية	٥٨١ر٠٣٣	
المرادية	٩٦٩ر٨٥٧	
الحرمين	٦٣٨ر٦٧٠	

الميرى المقرر على ناظر وقف **دشيشة** الكبرى ٥٠ر٠٠٠ **مدينى**

الميرى المقرر على الأوقاف الخصوصة :

وقف سليمان باشا	١٠٢ر٠٠٠
« السلطان الغورى	٣٧ر٥٠٠
« السلطان الأشرف	٢٥ر٠٠٠
« السلطان بيبرس	٢٠ر٠٠٠
« الوزير خاير باى	٣٠ر٠٠٠
« قايتباى	٣٠ر٠٠٠
« عبيد الله	١٥ر٠٠٠
« الوزير حياظ باى	١٢ر٥٠٠

وكانت هذه الأوقاف الثمانية تسدد فيما مضى
علاوة على ذلك مبلغا قدره ١٢٠ر١٧٨
وهو مايسدد الباشا الآن بالنيابة عنها لأن أحد
اسلافه قد أعفاها منه . وبذلك يبلغ اجمالى عوائدها ٣٩٢ر١٧٨

اجمالى العوائد النقدية للأوقاف بنوعيها : ٤٤٢ر١٧٨

وتعادل بالجنيهات التوربة ١٥ر٧٩٢ جت اس ٥د

وبالفرنكات ١٥ر٥٩٧ ف ١١س

وقــد كان السلطان محمد بك شراكسة ، حاكم مصر الأسبق ، قــد اسس وقف دشيشة الــكبرى واحترم تصرفه هذا السلطان سليم ، حتى ان ملتزمى الأراضى التى عينها هذا السلطان لايزالون يدفعون حتى اليوم الضرائب المستحقة على هذا الوقف الى ناظــره ، وعلى التوالى انشــأ السلاطين محمد وأحمد ومراد ، خلفاء سليم الذين اعتلوا عرش القسطنطينية من بعده ، الأوقاف التى تحمل اسماءهم بدون أن ينتقصوا من قيمة الموارد العــامة ، ذلك أنهم عندما جددوا عقود الأراضى اخضـــعوا الملتزمين الجدد لضرائب (أخرى) تكون (أو تعادل) عوائد هــذه الأوقاف . ويعود وقف الحرمين الذى انشاه احد السلاطين ، واقر سليم تصرفه هذا ، الى أصل مشابه لأصل وقف دشيشة الــكبرى ، وان كان يختلف عنه فقط فى عدم وجود ناظر له ، وفى ان عوائده تحصل وتدار بمعرفة الروزنامجى ، فى حين أن لــكل من هذه الأوقاف ناظــرا موكلا بادارتهــا تحت رقابة هــذا الموظف المــالى .

وتشكل المبــالغ التى أوردناها كافة الموارد النقــدية لهــذه الأوقاف الخمسة ، وحيث لم يكن لهــذه المبالغ الا ان تنتهى الى يد الروزنامجى ، الذى كان ينفقها كلية فى الأغراض المخصصة لها دون أن يشير الى ذلك فى سجلاته ، وحيث كانت تبدو هذه المبالغ وكأنما تنتمى لممتلكات خاصــة وليست جزءا من الضرائب او الانفاقات العامة فاننا لم نوردها هنا الا على سبيل التذكرة .

وبخلاف هذه المبالغ فان للأوقاف السلطانية عوائد عينية من الغلال ومواد الأغذية الأخرى خصصت بدورها لنفس هذه الأغراض ، وكان يعهد بالنقود والحبوب التى تم تحصيلها ، بعد سداد كل المصروفات ، الى أمير الحج الذى يحملها الى مكة والمدينة حيث كانت توزع طبقا لوصية المؤسسين (منشىء الوقف) .

أما الأوقاف الخاصـــة (أو الأهلية) التى أشرنا اليها فكانت قائمة بمصر بالفعل عندما فتحها سليم . ومع اقرار هــذا السلطــان لتصرفات مؤسسيها فقد أخضعها لضريبة الميرى التى لم ينقطع نظارها عن دفعهــا لخزينة الروزنامجى ، لــكننا لم نقدم هنــا اية اشارة لتلك الأوقاف التى انشاها السلاطين والباشوات منذ عصر هذا الحاكم بسبب كثرة عددها ، ولأنها لم تكن تخضع لدفع أى ميرى .

الفصـــل الثـــانى

الضرائب على الوظـــائف

حيث كان الضباط الذين يعينهم السلطان يحصلون على دخولهم على هيئـــة تحويلات على الميرى فى القرى ، ولاسيـــما فى هيئة ضرائب غير مباشرة كان يعهد اليهم بجبايتها ، فقـــد كان هؤلاء يدفعون للسلطـــان ضريبة الميرى التى نشير اليها باعتبارها ضريبة على الوظائف ، حيث كانت هذه الضريبة تفرض على مجموع دخول الواحد منهم وليس على هـــذه او تلك من الضرائب او العادات التى كان يتمتع بها .

ويوضح لنا الجدول الآتى أصحاب الوظائف الخاضعين لدفع الميرى :

البـــاشا	٠٠٠ر٦٢٥ر١ مدينى
الدفتردار	٧٩٤ر٢٦
البكوات والـــكشاف حكام الولايات الآتيـــة :	
قنـــا	
اسنـــا	
جـــرجا	٠٩٦ر٨٣٠ر١
سيـــوط	
منفـــلوط	
المنيـــه (١)	
بنى ســـويف	٦٤٠ر٣١٩
الفيـــوم	٩٨٠ر٣٥١
اطفيح	٢٤٢ر٢٠٣
الجيزة	٠٤٠ر١٠٧
القليوبيـــة	١٩٥ر١٥٤
الشرقيـــة	٠٧٨ر٦١٩
البحـــيرة	٧٤٠ر٣٦٢
المنصـــورة	١٦٨ر٣٩٦
الغربيـــة	٢٤٠ر٨٦٩
المنوفيـــة	٩٣٠ر٦٠٧
. . . .	٣٤٩ر٨٢١ر٥

---

(١) كان يحكم هذه الولايات الست بك واحد .

الروزنامجى		٢٧ر٢٩١
مترجم الديوان		٧٥ر٠٢٤
امين الضربخانة (دار سك النقود)		٥٨٢ر٤٤٧
اغوات أوجاقات :		
المتفرقة	٥٣ر٥٩١	
الجاويشية	٢٨١ر٣٤٢	
جامولیان	١٠٧ر١٨٢	
تفكجيان	١٠٧ر١٨٢	
شراكسة	١٠٧ر١٨٢	
مستحفظان	٤٥ر٣٨٢	
عزبان	٤٨ر٢٣٠	
. . . .		٧٥٠ر٠٩١
الكخياوات الثلاثة لأوجاقات جاموليان وتفكجيان وشراكسة(١)		٦ر٠٠٠
كتبة الأوجاقات :		
المتفرقة	٥٥ر٩٧٠	
الجاويشية	٥٨ر٩٤٦	
الجامولیان	٣٧ر٥١٣	
التفكجيان	٣٢ر١٥٥	
الشراكسة	٢٦ر٧٩٤	
المستحفظان	٦٤ر٣٠٩	
العزبان	١٥ر٠١٨	
. . . .		٢٩٠ر٧٠٥
المعمرجى باشى		٥١ر٧٩٤
الجيبجى باشى		٦٦ر٩٩٣
القافلة باشى		٦٩ر٠٠٠
أمير احتساب (٢)		٤٤٣ر٦٣٨

---

(١) فى الأزمنة الأخيرة كان الباشا يسدد الميرى المقرر على هؤلاء .

(٢) لم يكن يدفع فى الأزمنة الأخيرة سوى ٢٦٩ر١١٩ مدينى ، حيث قبل الباشا طلب هذا الموظف وبدأ يدفع بدلا منه الـ ١٧٤ر٥٢٨ مدينى الباقية .

أمين عنبر		٢٩٤ر٣٣٢
اغا المشاقة		٢٤ر٢٠٩
سردار جــرجا		١٥ر٦٠٠
اغــوات قـــلاع :		
الاسكندرية	٢١ر٨٤٠	
سارى احمد بالاسكندرية	٧ر٢٨٠	
الروخنة بالاسكندرية	٩ر٨٨٠	
أبى قير	١٦ر٦٤٠	
رشـــيد	٢٧ر٠٤٠	
القرين	٤ر١٦٧	
. . . .		٨٦ر٨٤٧
شـــيخ الدلالين		٣٠ر٠٠٠
الـــولاة (١)		
والى القـــاهرة	١٥ر٤٦٤	
« مصر العتيقة	١٥ر٤٦٤	
« بولاق	١٥ر٤٦٤	
. . . .		٤٦ر٣٩٢
الأفنـــدية :		
أفندى الشرقية	٧٤ر٨١٤	
« الغربية	٧٨ر٩٧٤	
« الشهر	٧١ر٧٥٠	
« الغلال	٨٢ر٠٣٦	
« غلال الميرى	٢١ر٤٣٦	
« الكوريكجى	١١ر٧٨٦	
« كشيدة	١٣ر٣٩٨	
« الأيتام الخ	٦١ر٩٤٣	
« الجوالى	٩٩ر٦٩٤	
. . . .		٥١٥ر٨٣١

---

(١) فى الأزمنة الأخيرة حل الباشا محل هؤلاء الولاة الثلاثة فى دفع الميرى المستحق عليهم .

أفندى الرزق			٢١٫٤٣٦
الاجمـــــالى			١٠٫٨٧٠٫٧٧٣
وهو يعادل	١٠د	١٧س	٢٤١٫٣٨٨ جـ ت
وبالفرنكات		٧٩س	٣٨٣٫٤٤٨ ف

وكان الباشا ، وهو الذى يحتل أسمى هذه المناصب ، هو الشخص الذى تؤول اليه عادة الحلوان ، فعند موت أحد الملتزمين ، لم يكن لوريثه أن يحصل على الحجة اللازمة لكى يخلفه فى أرضه ووظيفتـــه وحقوقه الا بعد أن يدفع للسلطان عوائد ثلاث سنوات من صافى دخوله ، ومع ذلك فلم يكن يلتزم عند وراثته لاحدى القرى الا بأن يسدد ثلاثة أمثـــال فايظه بشكله المحدد (*) وفى مصر ، نزل السلطان عن هذا الحق الى الباشا الذى كانت له زيادة على ذلك عادات على الغـــلال والأطعمـــة وعلى كل الأشخاص الذين ينبغى ، اذا مارشحوا لتقلد احدى الوظائف ، ان يتقـــدموا كى يحصلوا على خلعة منه هى الجبة أو القفطان .

أما الدفتردار فـــكان يتمتع بأتاوة قدرهـــا ١٫٠٠٠ مدينى عن كـــل كيس (**) من ثمن اية أرض تعطى لملتزم جديد ، وكان الدفتردار يسلم هذا الملتزم تقسيطا ، هو عقد ضرورى لكى يمارس حقوقه سواء كان هذا التغيير (فى شخص الملتزم) قـــد تم عن طريق الارث أو عن طريق البيع والشراء .

وكان البكوات أو الـــكشاف حكام الولايات يحصـــلون على رواتب من الخزينة العـــامة ، كما كانوا يحصلون على مورد كبير نحوا ما عن طريق النسبة المقررة لهم من عادات الـــكشوفية التى كانوا يحصلونها لحسابهم الخـــاص .

ويتمتع الروزنامجى بخصم (يستبقيه لنفسه) من مجموع كل بنـــد من بنود حصيلته المالية ، كما كان يحصـــل على هـــدايا أو بالأحرى على

(*) اى بدون احتساب البرانى . (المترجم) .

(**) يساوى الكيس ٢٥٫٠٠٠ مدينى (المترجم)

معاشات سنوية من الباشا والأوجاقات ، بالاضـــافة الى عادة كان يجبيها من كل من كان ينبغى عليه ان يتعامل معه .

كما كان مترجم الديوان يحصـــل على عادة (أو أتاوة) من كل من يتلقى قرارا بتنصيبه فى احدى الوظائف .

أما مدير الضربخانة أو مدبر سك النقود فكان يعين من قبل البـــاب العالى . وكانت الفوائد التى تؤول اليه عن طريق صنعه للقطع النقـــدية هى التى تشكل راتبه ، ومع ذلك فقد كان يدفع ، بخلاف الميرى المقرر على وظيفته ، خمسة عشر كيسا الى الباشا ، ولم يكن له عمل محدد (بلوائح معينة) اذ كان عليه فقط أن يحرص على أن تكون المسكوكات التىيصدرها تتفق مع الشكل المطلوب . ومنذ عهد على بك ، ترك هذا المنصب لبـــاشا القاهرة الذى كان يسدد الميرى المقرر عليـــه والذى كان يبيع التزامه على الدوام الى البك ، شيخ بلد القاهرة .

أما الأغوات ، أى قادة الأوجاقات السبعة فـــكانوا يتمتعون بحقوق مختلفة داخل فرقهم العسكرية ، وحيث كان أغا الانـــكشارية هـــو الذى يشرف على كل العسكر ورجال الشرطة فى مدينة القاهرة فقد كان يحصل منهم على اتاوات مضاعفة عن الأطعمـــة التى كان هو يحدد اســـعارها أما أغا الجاويشية فـــكان يحصـــل على مبلغ مساو للمبلغ الذى يحصـــل عليه الدفتردار ، أى ۱٫۰۰۰ مدينى عن كل كيس ، فى كل مرة يتملك ملتزم جديد أرضـــه .

وكان الـــكخياوات الثلاثة ، أى الباش اختيارية (باش اختيار) ، أو ملازمو اوجاقات الجامولیان والتافكجيان والشراكســـة يحصـــلون على رواتبهم من الباشا . وفى الأزمنة الأخيرة كان هذا الحاكم هو الذى يسدد الميرى المقرر على هذه المناصب الثلاثة ، اذ أنه ، جريا على سنة استنها احد اسلافه ، لم يعد يقوم بدفع الرواتب المقررة لهذه الوظائف ، واصبح هؤلاء اليوم يحصلون على معاشاتهم من فرقهم العسكرية .

وكان للأفندية عريفى (*) الأوجاقات السبعة حصة يستقطعونها من الأموال التى تمر بين أيديهم ، وعلاوة على ذلك فقد كانت فرقهم تصرف لهم رواتبهم .

اما المعمرجى باشى فكان موكلا بادارة كل المبانى العمومية ، وكان يحصل فى اليوم الواحد على زرمحبوب واحد عن كل منشأة يأمر بالعمل فيها مع مراقبة هذا العمل،ومن هنا نجد انه كان المشرف على الهندسة المدنية والعسكرية .

وكان الجيبجى باشا موكلا بامداد الترسانات بالبارود والذخيرة ، وكان يحصل على ثمن ذلك من الخزينة العامة فيما عدا ما كان يستخدم من بارود فى الألعاب النارية الثلاث التى كانت تتم مرة عند وصول الباشا ، واخرى عند رحيل المحمل ، وثالثة عند ارسال الخزنة (مال السلطان) الى القسطنطينية . وكان يراس كل العمال الذين يصنعون البارود . وتتكون موارده المالية من عادات مختلفة تتم خصما من الميرى ومن عادات أخرى يحصلها من قريتين من قرى القليوبية .

أما القافلة باشى أو مفتش القوافل التى ترحل من مصر أو تلك التى تجتازها فكان له حق شبه مطلق فى توفير المرشدين أو الأدلاء وكذا الجمال التى تلزم لهذه القوافل ، وتدفع له كل قافلة أتاوة . وفوق ذلك فقد كان يحصل ٤/١ بوطاقة عن كل فردة (**) من البن تنقل من السويس الى القاهرة .

وكان امين الاحتساب يراقب التجار ويلاحظ ما ان كانوا يغيرون فى الموازين أو المكاييل كى يغشوا الناس . ويتكون راتبه من عادات مقررة لصالحه على التجار ، وعندما وجد أن الميرى المقرر على وظيفته بالغ الضخامة ، فقد انقصه أحد الباشوات : ١٩ر١٧٤٥ مدينى كان يدفعها (أى الباشا) نفسه . وكان على خلفاء هذا الباشا أن يحذوا حذوه اذ لا يمكن لدخول السلطان أن تقل .

(*) فى الأصل الفرنسى **quartiers - maitres** ومعناها العريف البحرى أو ادنى درجات البحرية .

(**) بالة تزن ١٨٥ ك.ج (المترجم) .

أما امين عنبر ، فـــكان بحكم وظيفته كمدير للمخازن العمومية يحصل على العادات المقررة لصـــالحه نقـــدا وحبوبا من الملتزمين الذين يسددون ضرائبهم عينا ، وكان كل الموظفين العـــاملين تحت امرته يحصـــلون على رواتبهم منه . وكان مخولا له عند استلامه الغلال من المولين أن يستخدم مكاييل أكبر حجما على نحو طفيف من تلك التى يستخدمها عند تسليمه هذه الحبوب لتوزيعها على الجهات التى حددتها اللوائح .

اما أغا المشاق ومهمته توفير مشناقة الـــكتان فـــكان يحصل لنفسه من الملتزمين فى مصر السفلى على ٢٠ الى ١٠٠ مدينى عن كل قرية هناك، وكان ملزما بأن يرسل الى القسطنطينية كمية المشاقة التى تطلب منه . وكان يحصـــل على ثمن اثاثاته شريطة أن يحصل على شـــهادة من قاضى بولاق تحدد كمية هذه الأثاثات وأثمانها .

وكان سردار جرجا ، هو ملازم البك حاكم الصـــعيد ، وكان هـــذا المنصب يمنحه قرية بندار التبينـــات وراتبـــا يحصـــل عليه خصـــما من دخول البك .

وكان اغوات القلاع او الطوابى يحصـــلون على راتب من الخزينـــة العـــامة كما كانوا يفرضـــون اتاوات مختلفـــة (عادات) على المـــأكولات والأغذية التى تباع فى المناطق التى يديرونها ويتولون حمايتها .

أما شيخ الدلالين ، اى رئيس السماسرة والوسطاء فى القـــاهرة ، فكان يفرض اتاوة على كل الدلالين الذين يبيعون فى الأســـواق العـــامة الأسمال والبياضات والملابس .. الخ وبخلاف ذلك فقد كان كل واحد من هؤلاء الشيوخ (شيوخ الدلالين) يستطيع أن يبيع بنفسه ذلك أن وظيفـــة الدلالين فى الأسواق لا غنى عنها ، وكان عـــدد هؤلاء الشـــيوخ اثنين : أحدهما تركى والآخر مصرى .

وكان الولاة الثلاثة : والى القـــاهرة ، ووالى بولاق ، ووالى مصر العتيقة مكلفين بالقيـــام بتفاصـــيل أعمـــال الشرطـــة تحت رقابـــة أغا الانكشـــارية . وكانت لهؤلاء عادات أو أتاوات يفرضـــونها على التجـــارة وعلى المخالفات ، وكانوا يحصـــلون على راتب يدفعـــه البـــاشا ، ومنذ نحو سبعين عاما ، امتنع هـــذا الأخير من دفـــع هـــذه الرواتب ، وأرغم والى القـــاهرة على استرضاء زميليه ، وان ظل هو نفسه ملزما بدفع الميرى

المستحق على هؤلاء الضباط الثلاثة ، وادى هذا الوضع الى جعل والى بولاق ومصر العتيقة تابعين له ، وكان يتمتع بالاضافة لما سبق براتب مقرر على الخزينة العامة . كما كان ملحقا بخدمة الديوان حيث كان يشغل وظائف تماثل مايقوم به الحاجب او الشخص الذى يحضر للجلسات .

ويمسك افندى الشرقية وافندى الغربية وافندى الشهر بسجلات الميرى المقرر نقدا على كل الولايات ، فكان الأول موكلا بولايات مصر السفلى فيما عدا ولايات الدلتا التى كانت تدخل فى اختصاص الثانى أما الثالث فكان مختصا بولايات مصر العليا . وكان هؤلاء يحصلون على رواتبهم من الخزينة العامة ويفرضون عادات على الملتزمين الداخلين ضمن دوائرهم . أما افندى الغلال فكان يمسك بسجل لكل الأراضى التى تسدد الميرى فى شكل حبوب ، وكان يحصل على راتبه بنفس طريقة اقرانه . وكان الأفندى المشرف على حبوب الميرى يراقب أعمال امين العنبر ، وكان يمسك سجلا بكل الغلال التىتدخل الصوامع (مخازن الحبوب) الهامة كما كان يمسك سجلا ينظم عمليات استخدامها . ولم يكن بمقدور أمين العنبر أن يتصرف فى شىء دون أن يشركه فى ذلك ، وكان الباشا والروزنامجى يشتركان فى دفع راتبه ، وكان يحصل بخلاف ذلك عادات على التوزيعات التى تتم بمعرفة أمين العنبر . اما افندى السكوريكجى فكان يمسك بالنسبة لهذا الفرع من فروع الميرى المقرر على الأراضى سجلا يبين الضرائب الواجبة السداد على كل قرية. أما اتعابه فكان يشارك فى دفعها كل من الوالى والروزنامجى والملتزمين. وكان افندى السكشيدة طواشيا مكلفا بدفع الرواتب المقررة لأقرانه الذين كان السلطان ينفيهم الى مصر ، وهو التكدير الذى كان يطبق على هؤلاء التعساء حين يفقدون حظوتهم عند سيدهم . أما افندى الأيتام .. الخ فكان يمسك بسجل المعاشات التى خصصها السلطان للأيتام والأرامل والشيوخ وغيرهم ، وكان يحصل على راتبه هو من الباشا كما كان يحصل على أتاوة من كل طرف مستفيد من هذه المعاشات . والأفندى الجوالى هو الكاتب الذى يستخدمه الاغا الذى ترسله القسطنطينية سنويا لتحصيل الخراج اى الضريبة المقررة على الرعايا غير المسلمين. ويدبر الأغا راتب هذا الأفندى من حصيلة هذه الضريبة . وكان

كل هؤلاء يسيرون شئون وظائفهم تحت اشراف الروزنامجى ، وهو الأمر الذى كان يعرض بعض هؤلاء للعزل (*) .

ويمسك افندى الرزق بسجلات الأراضى او الأملاك العقارية التى يطلق عليها هذا الاسم (رزقة) . وكان يقوم بعمله مستقلا عن سلطة الروزنامجى ولا تدخل أعماله فى اطار أعمال الأخير ، وكان الباشا يجرى له راتبا ، كما كان يحصل علاوة على ذلك رسما عند أية عملية احلال أو ابدال تتم بخصوص هذه الرزق .

هؤلاء هم شاغلو الوظائف التى كانت خاضعة لضريبة الميرى . وقد لمسنا كيف انها لم تكن تشكل دخولا تضاف الى الخزينة العامة بقدر ما كانت تشكل أتاوات او عادات على الأراضى والأشخاص .

الفصل الثالث
الضرائب العامة على الصناعة والتجارة

اولا — الجمارك

انشأ السلطان سليمان اربعة جمارك رئيسة فى مصر هى :
جمرك فى بولاق ومصر العتيقة ،
« فى الاسكندرية ،
« فى دمياط
وجمرك فى السويس .

وكانت عوائد هذه الجمارك تؤول الى الجهات التى سيأتى ذكرها مع مراعاة تسديد ضريبة الميرى على النحو التالى :

(*) فى حين أن اللوائح تقرر أن الوظائف ثابتة على نحو ما سبق وروده فى الدراسة (المترجم) .

	مدينى
الى أوجاق الانكشارية : عوائد جمركى بولاق ومصر العتيقة اللذين ضما معا وكانا يدفعان ميرى واحدا قـــدره	٤ر٣١١ر٨٧٢
الى نفس الفرقة العسكرية : عوائد جمرك الاسكندرية مقـابل ميرى قـدره	٦ر٧٤٤ر٣٩٦ (١)
الى نفس الفرقة العسكرية : عوائد جمرك دمياط مقابل ميرى قـدره	٢ر٣١٨ر١٦٢
الى الباشا : عوائد جمرك السويس مقابل ميرى قدره	٦ر٠٧١ر٠٥٦
الاجمـــالى	١٩ر٤٤٥ر٤٨٦

وهو مبلغ يمـــادل	١٠د ١٢س	٤٨١ر٦٩٤ جـ ت
وبالفرنـــكات	٨١س	٩٠٧ر٦٨٥ ف

وحيث أن روح الاســـلام تستهجن وتحرم كافـــة ضروب الربح التى تتحقق عن غير طريق العمل والاحتراف ، وحيث أن الأرباح التى تأتى عن طريق الجمـــارك بعيـــدة عن هذه النشأة ، فقـــد كان يعهد بتحصيل هذه الضريبة فى العـــادة الى مسيحيين أو الى يهود أصبحوا هم ملتزميها .

ويدل الموقع الجغرافى للجهات التى انشئت بها مكاتب الجمارك على البلدان التى كانت ترد منها الواردات أو تلك التى ترسل اليها الصادرات، اذ كانت تجارة ســـنار وممالك دارفور وفزان الخ تتم بواسطة قوافل تصل الى مصر القديمة ، أما تجـــارة تركيا وأوربا وآســـيا فـــكانت قسمة بين ثغرى الاسكندرية ودميـــاط ، وكانت الاسكنـــدرية تقوم بصـــفة أساسية بتجـــارة أوربا وبلاد البربر (المغرب) ، أما السويس فكانت تتولى تجارة الجزيرة العربية والهند .

---

(١) لم يكن البكوات الذين استأثروا لأنفسهم بكل الجمـــارك يدفعون فى الســـنوات الأخيرة كضريبـــة ميرى على جمرك الاسكنـــدرية ســـوى ١٤٧ر١٣٤ر٥ مدينى ، لأن الباشا ، ونتيجة لمطالبـــات مستمرة من أوجاق الانكشارية ، كان يسدد بدلا من هذا الأوجاق (عنـــدما كان يدير الجمارك لحسابه) حصة قدرها ١ر٣٣١ر٢٤٩ مدينى .

وبقدر ما توضح لنا التعريفة الآتية المنتجات التى تزود بها هذه البلدان مصر، وتلك التى تستوردها منها ، فستدلنا كذلك على قيمة الرسوم الجمركية التى كان ينبغى عليها أن تدفعها وفقا للوائح السلطان سليمان .

الواردات — تجارة سنار ودارفور وفزان الخ

السلعة	الرسوم التى تخضع لها عند وصولها لجمرك مصر العتيقة
الشيشم (عقار طبى) (وهو حبوب سوداء تشبه حبة العدس الجافة)	١٠ مدينى للجوال الصغير ٩٠ مدينى للجوال الكبير
السكرابيج (سياط من الجلد)	١٠٪ من السلعة عينا
سن الفيل	٧ مدينى عن كل حمولة جمل
العبيد :	
الذكور	١٢٠ مدينى عن الواحد
الاناث	١١٠ مدينى عن الواحدة
الطواشى	٢٤٦ مدينى عن الواحد
الصمغ العربى	٨ مدينى عن كل حمولة جمل
الدرة (أنثى الببغاء)	١٥ مدينى عن كل قفص + درة واحدة ضريبة عينية
ريش النعام	١٠٪ من السلعة عينا
تراب الذهب	لاشىء
التمر هندى	٤٠ مدينى للقنطار و٨ مدينى عن حمولة الجمل

تجارة أوربا وآسيا ودول البربر

أسماء السلع	الرسوم الجمركية في الاسكندرية (١)						
	من بلاد السلطان	من بلاد البربر	من مارسيليا	من البندقية	من ليفورنو وتريستا	من انجلترا	من أوربا عن طريق أزمير
	٪	٪	٪	٪	٪	٪	٪
مشمش	١١	—	—	—	—	—	—
صلب	٥	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٥
أبر	٥	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٥
ثوم	—	—	—	—	—	—	—
شبة	٥	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	—	٥
صوفان (اسفنج طبي)	١١	—	—	—	—	—	—
لوز	١١	—	٣—٥	—	٣—٥	—	—
عنبر أصفر	—	—	—	—	٣—٥	—	٥
هلب للمراكب	—	—	—	—	—	—	—

(١) فى معظم الأحيان ، كانت السلع الواردة من بلاد السلطان وكذلك الواردة من بلاد البربر تسدد عينا تلك الرسوم التى كانت تخضع لها فى جمرك الاسكندرية ، أما تحصيل الرسوم التى كانت مفروضة على الواردات الآتية من مارسيليا والبندقية وليفورينو وتريستا وانجلترا . ثم من كل هذه البلاد عن طريق أزمير ، فكان يتم نقدا ، وفقا لتعريفة نسبتها أدنى على الدوام من النسبة الى الثمن الحقيقى للسلع المستوردة .

(٢) لم تكن الرسوم فى جمرك دمياط تتغير مطلقا تبعا للأمة التى تأتى منها السلع كما هو الشأن فى الاسكندرية ، وكانت الرسوم التى

التى كانت تخضع لها					
فى دمياط(٢)	فى بولاق(٣)				
من أوربا وآسيا وبلاد البربر	من بلاد السلطان وبلاد البربر		من بلاد النصارى		اشتراها تجار مصريون فى الاسكندرية
	الى تجار مصريين	الى تجار أوربيين	الى تجار مصريين	الى تجار من غير المصريين	
٪	٪	٪	٪	٪	مدينى
طازج ١٠ جاف ١٢ معجين ١ مدينى لكل الفه	١٠	—	—	—	٦ لكل قنطار
١٠ ٪	٤	٢	١	٣	٣٨ للصندوق
١٠ ٪	٤	٢	١	٣	٦٠ للبرميل
١٢	١٠	—	—	—	
—	١٠	٢	١	٣	٣٠ للصندوق
١٢	٤	—	—	—	١٨ للقطعة
١٢	١٠	—	١	٣	٦ للقنطار
١٢	٤	٢	١	٣	٦٠ للصندوق
١٢	١٠	—	—	—	

يحصلها هدا الجمرك والتى تفرض بشكل متساو على سلع أوربا وآسيا وبلاد البربر تسدد فى جزء منها نقدا وفى الجزء الآخر عينا ، كما كانت الرسوم النقدية تتحدد وفق تقييم خاص وقريب من الواقع بالنسبة لقيمة السلع ، وكان يتم ذلك بمجرد اتمام عملية الانزال .

(٣) كانت السلع القادمة من الخارج والتى تصل الى القاهرة تخضع لرسوم مقررة فى جمرك بولاق بخلاف تلك التى سبق لها أن سددتها فى ثغرى الاسكندرية ودمياط .

أسماء السلع	الرسوم الجمركية — فى الاسكندرية — من بلاد السلطان	من بلاد العرب	من مارسيليا	من البندقية	من ليفورنو وتريستا	من انجلترا	من أوربا عن طريق أزمير
	٪	٪	٪	٪	٪	٪	٪
فضة خام فى شكل سبائك	—	—	—	—	—	—	—
زئبق	٥	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٥
أسلحة	٥	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٥
سلفور الرصاص	٥	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٥
زرنيخ	—	—	—	٣—٥	٣—٥	—	٥
زهور الخزامى	—	—	٣—٥	—	٣—٥	—	٥
برادق فخارية	—	١٠	—	—	—	—	—
برنس (معاطف صوف)	—	١٠	—	—	—	—	—
جوارب	٥	—	—	—	—	—	—
سمن	—	١١	—	—	—	—	—
مجوهرات	٥	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٥
اسبيداج أبيض	—	—	—	٣—٥	٣—٥	—	٥
عجول	—	—	—	—	—	—	—
خشب للوقود	١٠	—	—	—	—	—	—
خشب للبناء	٧-١٤	—	—	—	١١	—	—
خشب فرنامبوك	٥	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٥
قلنسوات حمراء	—	١٠	٣—٥	٣—٥	٣—٥	—	٥
شمع	—	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٥
وبر لباد من بروصة	٤	—	—	—	—	—	—
حرير ووبر الحرير والقطن	١٠	—	—		—	—	

التى كانت تخضع لها

فى دمياط	فى بولاق				
من أوربا وآسيا وبلاد البربر	من بلاد السلطان وبلاد البربر		من بلاد النصارى		اشتراها تجار مصريون فى الاسكندرية
	إلى تجار مصريين	إلى تجار أوربيين	إلى تجار مصريين	إلى تجار من غير المصريين	
٪	٪	٪	٪	٪	مديني
١٠	—	—	—	—	
١٢	٤	٢	١	٣	٨٩ لكل ٧٥ رطلا
١٠	٤	٢	١	٣	١٢ للقطعة
١٢	٤	٢	١	٣	١٠ لكل ١٢٠ رطلا
—	٤	٢	١	٣	٥١ للبرميل
—	٤	٢	١	٣	٥١ للبالة
١٠	٤	—	—	—	٦ للواحد
١٠	٤	٢	—	—	٥ للواحد
—	٤	—	—	—	٢ لكل ١٠
١٢	١٠	—	—	—	٦ إلى ٣٠ للجرة
١٠	١٠	٢	١	٣	٨٠ للصندوق
١٢	٤	٢	١	٣	١٢ لكل ٧٥ رطلا
١٨٠ مديني للواحد	—	—	—	—	
١٢	٤	—	—	—	
١٣½ ومن ١١ إلى ٣١ مديني لكل ١٠٠ قطعة	١٠	—	—	—	٨-٥٠ مديني لكل ١٠٠ قطعة
١٢ ٪	٧	٢	١	٣	٦٠ للقنطار
١٠ ٪	٤	٢	١	٣	١ للزوج
١٢	٤	٢	١	٣	٣٠ للصندوق
—	٤	—	—	—	١٠ - ٣٠ للواحد
٦٠ مديني للقطعة	٤	—	—	—	٣ - ٣٠ للقطعة

أسماء السلع	الرسوم الجمركية – فى الاسكندرية – من بلاد السلطان	من بلاد المغرب	من مارسيليا	من البندقية	من ليفورنيو ومارسيليا	من انجلترا	من أوربا عن طريق أزمير
	٪	٪	٪	٪	٪	٪	٪
قطران	١٤	—	—	—	—	—	—
منسوجات خشنة لصنع الملابس	—	—	—	—	—	—	—
بن	—	—	—	—	—	—	—
كراوية	—	١١	—	—	—	—	—
خروب	١١	—	—	—	—	—	—
أطواق وإطارات	—	—	—	—	—	—	—
جلود خرفان وماعز	—	—	—	—	—	—	—
لحم مملح	١١	—	—	—	—	—	—
شيلان	١٠	—	—	—	—	—	—
شيلان صوف	—	١٠	—	—	—	—	—
خمارات	٥	—	٣ — ٥	٣ — ٥	٣ — ٥	٣ — ٥	٥
شال أنقرة	٥	—	—	—	—	—	—
شموع	—	—	—	—	—	—	—
فحم	—	—	—	—	—	—	—
كستناء	—	—	—	—	٣ — ٥	—	٥
خيول	—	—	—	—	—	—	—
صنوبر	٥	—	٣ — ٥	٣ — ٥	٣ — ٥	—	٥
ورنيش خام	١٠	١١	—	—	—	—	—
مسامير	—	—	٣ — ٥	٣ — ٥	٣ — ٥	٣ — ٥	٥
قرمزية (للصبغة الحمراء)	٥	—	٣ — ٥	٣ — ٥	٣ — ٥	٣ — ٥	٥

التى كانت تخضع لها

في دمياط	في بولاق				
من أوربا وآسيا وبلاد البربر	من بلاد السلطان وبلاد البربر		من بلاد النصارى		اشتراها تجار مصريون فى الاسكندرية
	إلى تجار مصريين	إلى تجار أوربيين	إلى تجار مصريين	إلى تجار من غير المصريين	
٪	٪	٪	٪	٪	مدينى
١٠ — ١٣½ ٪	١٠	—	—	—	٢٣ للجرة
١٠	—	—	—	—	٨ للبالة
٥	—	—	—	—	
—	١٠	—	—	—	٥٠ للبالة
١١	١٠	—	—	—	٧ للقنطار
٢ مدينى لكل ١٠٠ إطار	٤	—	—	—	١ لكل ١٠٠ طوق
١٠	١٠	—	—	—	٨ للبالة
١٢	١٠	—	—	—	١٢ للبرميل
١٠	٧	—	—	—	٥ للواحد
١٠	٤	٢	—	—	٢ للواحد
١٠	٤	٢	١	٣	١٠ للقطعة
١٠	١٠	—	—	—	١٥ للقطعة
١٢	٤	—	—	—	٢٥ للصندوق
١٠ مدينى لكل قفتين	—	—	—	٣	
—	٤	٢	١	٣	٦٠ للقنطار
١٨٠ مدينى للحصان	—	—	—	—	
—	٤	٢	١	٣	٩٣ لكل ٧٥ رطلا
—	٧	—	—	—	١٨ للقنطار
١٠	١٠	٢	١	٣	٢٠ للبرميل
١٠	٥	٢	١	٣	١ للأقة

أسماء السلع	الرسوم الجمركية						
	فى الاسكندرية						
	من بلاد السلطان	من بلاد البربر	من مارسيليا	من البندقية	من ليفورنيو ومارسيليا	من انجلترا	من أوربا عن طريق أزمير
٪	٪	٪	٪	٪	٪	٪	٪
ثمار جوز الهند	—	—	—	—	—	—	—
قلفونية	—	—	—	—	—	—	—
حلويات	١٠	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	—	٥
	—	—	—	٣—٥	٣—٥	—	٥
	—	١١	—	—	—	—	—
مرجان	—	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٥
مرجان فالصو	—	—	—	٣—٥	٣—٥	—	٥
حبال	١١	—	—	—	—	—	—
زغب القطن	١١	—	—	—	—	—	—
زرد	—	—	—	—	—	—	—
سكاكين خشنة	—	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٥
ملاعق خشبية	١٠	—	—	—	—	—	—
جلود ثيران	—	—	—	—	—	—	—
جلود فاسى	—	١٠	—	—	—	—	—
نحاس جديد مصنوع	٤—٥	—	—	—	—	—	—
نحاس خام	٥	—	—	—	—	—	—
نحاس قديم	٥	—	—	—	—	—	—
سن الفيل	—	—	—	—	—	—	—
أوراق مذهبة	٥	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٥
جوخ	٥	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٥
عقاقير طبية	٥	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٥

التى كانت تخضع لها

في دمياط	في بولاق				
من أوربا وآسيا وبلاد البربر	من بلاد السلطان وبلاد البربر		من بلاد النصارى		اشتراها تجار مصريون في الاسكندرية
	إلى تجار مصريين	إلى تجار أوربيين	إلى تجار مصريين	إلى تجار من غير المصريين	
٪	٪	٪	٪	٪	مدينى
١٠	١٠				
١٢	١٠	—	—	—	٥٠ للبرميل
١٢	١٠	٢	١	٣	٢٥ للصندوق
١٠	٤	٢	١	٣	٩٠ للبرميل الكبير
—	١٠	—	—	—	٥٠ للبالة
١٠	٤	٢	١	٣	٦٠ للصندوق
١٠	٤	٢	١	٣	٢٥ »
١٢	٤	—	—	—	١٠ لكل ١٢٠ رطلا
١٢	٤	٢	—	—	٢٣ للقنطار
١٢	١٠				
—	٤	٢	١	٣	٥٠ للبرميل الكبير
١٢	١٠	—	—	—	٨ للبالة
١٠					
١٠	٤	٢	—	—	٤ للواحد
١٠—١٢	١٠	—	—	—	٦٠ للقنطار
١٢	١٠	—	—	—	٥٣ للقنطار
١٢	١٠	—	—	—	٦٠ للقنطار
١٠					
١٠	٤	٢	١	٣	٩٠ للصندوق
٥	٤	٢	١	٣	٢٥ للقطعة
١٢	١٠	٢	١	٣	٥٠ للبالة

أسماء السلع	الرسوم الجمركية في الاسكندرية: من بلاد السلطان	من بلاد البربر	من مارسيليا	من البندقية	من ليفورنيو ومارسيليا	من انجلترا	من أوروبا عن طريق ازمير
	٪	٪	٪	٪	٪	٪	٪
ماء القرنفل	—	—	—	—	—	—	—
مشروبات روحية	—	—	—	—	—	—	—
اسفنج	—	—	—	—	—	—	—
عبيد	—	—	—	—	—	—	—
قصدير	٥	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٥
أقمشة	٥	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٥
« من حلب	—	—	—	—	—	—	—
« من الأموى	—	—	—	—	—	—	—
« من تركيا	٤	—	—	—	—	—	—
خزف	—	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٣ ٥	٥
فاصور (عقار طبي)	—	١١	—	—	—	—	—
حديد	١١	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٥
زنك	٥	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٥
كتل من الحديد	٥½	—	—	—	—	—	—
سنابك الخيل	٥½	—	—	—	—	—	—
دوبارة	—	—	—	—	—	—	—
أسلاك	—	—	—	—	—	—	—
أسلاك من الحديد والنحاس الأصفر	—	—	—	٣—٥	٣—٥	—	٥
فناجين	١٠	—	—	—	—	—	—
فانلات مصبوغة	—	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٥

التى كانت تخضع لها

فى دمياط	فى بولاق				
من أوربا وآسيا وبلاد البربر	من بلاد السلطان وبلاد البربر		من بلاد النصارى		اشتراها تجار مصريون فى الاسكندرية
	الى تجار مصريين	الى تجار أوربيين	الى تجار مصريين	الى تجار غير مصريين	
٪	٪	٪	٪	٪	مدينى
١٠	١٠				
١٠					
١٠	٤	--	--	--	١٥ للبالة
١٤٦ مدينى لكل أربعة					
١٢٪	٤	٢	--	٣	١٣١ للبرميل
١٠	٤	٢	١	٣	١٥ - ٦٠ للقطعة
٣٠ مدينى للقطعة	٥	--	--	--	٥ ٪
٤٠ » »	٥	--	--	--	٥ ٪
١٠ ٪	٤	--	--	--	٨ - ٥٠ للقطعة
١٠	١٠	٢	١	٣	٢٥ للصندوق
--	١٠	--	--	--	٥٠ للبالة
١٠ -- ١٢	٤	٢	١	٣	١٧٨ لكل ١٠٠ قضيب
١٠	٤	٢	١	٣	٣٥ للبرميل
--	١٠	--	--	--	٤٠ للقنطار
--	١٠	--	--	--	٤٠ للقنطار
١٢	٤	-	--	--	٨ للقنطار
٦٢ ½ مدينى لكل ١٠٠ رطل	٤	--	--	--	١٥ للقنطار
--	٤	٢	١	٣	١٢ للقنطار
١٠٪	١٠	--	--	--	٨ للصندوق
--	٤	٢	١	٣	٨ للقطعة

أسماء السلع	الرسوم الجمركية في الاسكندرية: من بلاد السلطان	من بلاد البربر	من مارسيليا	من البندقية	من ليفورنيو ومارسيليا	من انجلترا	من أوربا عن طريق أزمير
	٪	٪	٪	٪	٪	٪	٪
فوة (عقار طبى)	١١	—	—	—	—	—	—
جبن	١١	—	—	—	—	—	—
فواكه جافة	١١	—	—	—	—	—	—
عفصة	١١	—	—	—	—	—	—
جدارى (للصياغة)	—	١١	—	—	—	—	—
جيا قلو «	—	١١	—	—	—	—	—
قرنفل	٥	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٥
صمغ من سوريا	—	—	—	—	—	—	—
قطران	٥	—	—	—	—	—	—
بذور الخيار	—	—	—	—	—	—	—
بذور النيلة	—	—	—	—	—	—	—
بذور البطيخ	—	—	—	—	—	—	—
رمان	—	—	—	—	—	—	—
حشيش[١]	—	—	—	—	—	—	—
حشيش مفرط	—	—	—	—	—	—	—
فاصوليا	—	—	—	—	—	—	—
أحرمة(حرام)من كل نوع	—	١٠	—	—	—	—	—
حرام حرير	—	١٠	—	—	—	—	—
قطع غيار الساعات	٥	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٥

(١) وهو نبات القنب الذى يستخدم فى اعداد عقارات مسكرة او يدخن مخلوطا بالتبغ .

التي كانت تخضع لها

في دمياط	في بولاق				
من أوربا وآسيا وبلاد البربر	من بلاد السلطان وبلاد البربر		من بلاد النصارى		اشتراها تجار مصريون في الاسكندرية
	الى تجار مصريين	الى تجار أوربيين	الى تجار مصريين	الى تجار من غير المصريين	
٪	٪	٪	٪	٪	مديني
—	١٠	—	—	—	٥٠ للبالة
١٠ — ١٢	١٠	—	—	—	٦ للقنطار
١٢	١٠	—	—	—	٥ — ٩ للسلة
١٢	١٠	—	—	—	١٨ للقنطار
—	١٠	—	—	—	٥٠ للبالة
—	١٠	—	—	—	٥٠ للبالة
١٠	٤	٢	١	٣	٤٥ للقنطار
١٠					
١٢	٤	—	—	—	٧½ للقفة
٧ مديني للربع					
٨ مديني للجوال	٤	—	—	—	٨٠ للجوال
١½ مديني للربع	٤	—	—	—	٦٠ للجوال
١٢	٤	—	—	—	١٤ للبالة
٣ مديني للآفة	٤	—	—	—	١٤ للبالة
١٢ ٪	٤				١٤ للبالة
١٢	١٠				
١٠	٤	٢	—	—	٤٠ للواحد
—	٤	—	—	—	٥٠ للواحد
—	٤	٢	١	٣	١٠ للصندوق

أسماء السلع	الرسوم الجمركية		في الاسكندرية				
	من بلاد السلطان	من بلاد البربر	من مارسيليا	من البندقية	من ليفورنير ومارسيليا	من انجلترا	من أوربا عن طريق أزمير
	٪	٪	٪	٪	٪	٪	٪
زيت	٧	٢ - ٣م للجرة	—	—	—	—	—
زيت للصباغة	٥	—	—	—	—	—	—
النيلة	—	—	—	—	—	—	—
جرار مليئة بالسماد	—	٤ م للواحدة	—	—	—	—	—
العرقسوس	—	—	—	—	—	—	—
كلكاب أو قبقاب للسيدات	١٠	—	—	—	—	—	—
صوف	١١	١١	—	—	—	—	—
نحاس أصفر	٥	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	—	٥
رقائق فضية وفالصو	٥	—	—	٣—٥	٣—٥	—	٥
مصابيح زجاجية	—	—	—	—	—	—	—
مشروبات روحية	—	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٥
محلب (نوى الكريز)	٥	—	—	—	—	—	—
رخام في شكل كتل وأعمدة وبلاط وموائد	—	—	—	—	٣—٥	—	٥
سلع من الهند	—	—	١٠	١٠	١٠	١٠	١٠
صمغ المصطكاء	٥	—	—	—	—	—	—
خردوات	٥	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٥
رحى طواحين	—	—	—	—	—	—	—
عسل	١١	١١	—	—	—	—	—
زنجفر (أكسيد الرصاص الأحمر)	—	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٥

التى كانت تخضع لها

فى دمياط	فى بولاق				
من أوربا وآسيا وبلاد البربر	من بلاد السلطان وبلاد البربر		من بلاد النصارى		اشتراها تجار مصريون فى الإسكندرية
	الى تجار مصريين	الى تجار أوربيين	الى تجار مصريين	الى تجار من غير المصريين	
٪	٪	٪	٪	٪	مدينى
١٢	٧—١٠	—	—	—	١٢ للجرة
١٢	٧	—	—	—	٣ للجرة
١٢	١٠				
—	—	—	—	—	٢ للواحدة
١٠	١٠	—	—	—	٦٠ للصندوق
١٠	١٠	—	—	—	٨ للبالة
١٢	٥	—	—	—	١٢ للبالة
١٢	٤	٢	١	٣	٤٥ للبرميل
١٠	٤	٢	١	٣	٣٠ للصندوق
٨٠ مدينى للقفص	—	—	—	—	٢٤ - ٤٤ للبالة
١٠ ٪	٤	٢	١	٣	٢٥ للصندوق
—	١٠	—	—	—	١٤ للبالة
—	—	—	١	٣	٢¼ للقطعة
١٠	١٠	١٠	—	—	١٠ ٪
—	١٠	٢	—	—	٢٠ للصندوق
١٠	٤	٢	١	٣	٣٠ »
٨٦ مدينى للواحدة	٢٧م للواحدة	—	—	—	٢٧ مدينى للواحدة
١٢ ٪	١٠٪	—	—	—	٦ - ٦٠ للجرة
—	٤	٢	١	٣	٧٦ للبرميل

أسماء السلع	الرسوم الجمركية في الاسكندرية: من بلاد السلطان	من بلاد الجزر	من مارسيليا	من البندقية	من ليفورنيو ومارسيليا	من انجلترا	من أوروبا عن طريق أزمير
	٪	٪	٪	٪	٪	٪	٪
مرايا	—	—	—	٣—٥	٣—٥	—	٥
هاونات	—	—	—	—	—	—	—
مناديل سيدات	—	١٠	—	—	—	—	—
موسلين	١٠	—	—	—	—	—	—
موسلين مطبوع	٤	—	—	—	—	—	—
خراف	—	١١					
اماء سوداوات	—	—	—	—	—	—	—
بندق	٧	—	—	—	—	—	—
جوز	٥½ - ١١	—	—	—	—	—	—
جوز لصنع النارجيلات	١٠	—	—	—	—	—	—
بيض السمك المسمى كافيار	١٠	—	—	—	—	—	—
بصل	—	—	—	—	—	—	—
زيتون	١١	١١	—	—	—	—	—
ذهب لميع	—	—	—	٣—٥	٣—٥	—	٥
كافورية	—	١١	—	—	—	—	—
قرب	—	—	—	—	—	—	—
ورق	٥	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٥
بطيخ من يافا	١٠	—	—	—	—	—	—
جلود ماعز	—	—	—	—	—	—	—
أمشاط خشبية	١٠	—	—	—	—	—	—
جلود وفراء	٥	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	—	٥

التى كانت تخضع لها

في دمياط	في بولاق				
من أوربا وآسيا وبلاد البربر	من بلاد السلطان وبلاد البربر		من بلاد النصارى		اشتراها تجار مصريون في الاسكندرية
	الى تجار مصريين	الى تجار أوربيين	الى تجار مصريين	الى تجار غير مصريين	
٪	٪	٪	٪	٪	مدينى
—	١٠	٢	١	٣	٦٠ للصندوق
١٢	١٠	—	—	—	٢ للواحد
—	٤	٢	—	—	٥ — ١٠ للواحد
١٠	١٠	—	—	—	٣ — ٤٠ للقطعة
١٢	٥	—	—	—	٣ — ٤٠ »
—	—				
١٨ مدينى للواحدة	—				
١٢٪	١٠	—	—	—	٦ للقنطار
١٢	١٠	—	—	—	٦ »
١٠	١٠	—	—	—	٨ للصندوق
١٢	١٠	—	—	—	٣٠ للبرميل
١٥ مدينى للقفة					
١٢٪	١٠	—	—	—	١٢ للجرة
١٠	٤	٢	١	٣	١٢ للعلبة
—	١٠	—	—	—	٥٠ للبالة
٣ مدينى للواحدة	١ م للواحدة	—	—	—	١ للواحدة
٢ - ٣ مدينى للرطل	٤٪	٢	١	٣	٣٩ — ٧٦ للبالة
١٠٪	١٠	—	—	—	١ للواحدة
١ مدينى للجلد الواحد	٤	—	—	—	١ — ٣ للجلد
١٢٪	١٠	—	—	—	٨ للبالة
—	٤	٢	١	٣	١٧ — ٣٣٠ للقطعة

أسماء السلع	الرسوم الجمركية						
	فى الاسكندرية						
	من بلاد السلطان	من بلاد العرب	من مارسيليا	من البندقية	من ليفورنو ومارسيليا	من انجلترا	من أوربا عن طريق أزمير
	٪	٪	٪	٪	٪	٪	٪
صوانات البندقية	—	١١	٣—٥	—	٣—٥	—	٥
ألواح وعوارض خشبية	—	—	—	٣—٥	٣—٥	—	٥
رصاص	٥	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٥
شعر ماعز	١٠	—	—	—	—	—	—
كثرى من عربان الطور	—	—	—	—	—	—	—
سمك مجفف ومملح	—	١١	—	—	—	—	—
فلفل بالقرنفل	—	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٥
تفاح	—	—	—	—	—	—	—
خزف	—	—	—	٣—٥	٣—٥	—	٥
رصاص بنادق	—	—	—	—	—	—	—
بودرة رصراص (للصق)	—	—	—	—	—	—	—
برقوق	٥½	—	—	—	—	—	—
قتيب (عقار طبى)	—	١١	—	—	—	—	—
ذيول الخيل	١٠	—	—	—	—	—	—
خردة وحدايد من كل صنف	٥	—	٣—٥	٢—٥	٣—٥	٣—٥	٥
عنب فى صناديق	—	—	—	—	—	—	—
عنب طازج	١٠	—	—	—	—	—	—
عنب جاف	١١	—	—	—	—	—	—
مواقد طينية	—	—	—	—	—	—	—
عرقسوس	١١	—	—	—	—	—	—

التى كانت تخضع لها

فى دمياط	فى بولاق				
من أوربا وآسيا وبلاد البربر	من بلاد السلطان وبلاد البربر		من بلاد النصارى		اشتراها تجار مصريون فى الاسكندرية
	إلى تجار مصريين	إلى تجار أوربيين	إلى تجار مصريين	إلى تجار غير مصريين	
٪	٪	٪	٪	٪	مدينى
—	٤	٢	١	٣	٣٠ للبرميل الكبير
٢٩ مدينى لكل ١٠ ألواح	٤	٢	١	٣	١ — ١٥ للواحد
١٢ ٪	٤	٢	١	٣	٧ للكنتلة
١٢	٤	—	—	—	٥٠ للبالة
—	١٠	—	—	—	
—	١٠	—	—	—	٦ للقنطار
—	٤	٢	١	٣	٦٠ للبرميل
٣٠ مدينى للصندوق	١٠	—	—	—	١ للواحدة
١٠ ٪	١٠	٢	١	٣	٦٠ للصندوق
١٢	—	—	—	—	——
١٢	٧	—	—	—	١٨ للبالة
١٢	١٠	—	—	—	٥ — ٩ للسلة
—	١٠	—	—	—	٥٠ للبالة
—	١٠	—	—	—	٨ »
١٠	١٠	١	١	٣	٣٨ للصندوق
٣٦ مدينى للصندوق	١٠	—	—	—	١٥ »
١٠ ٪	١٠	—	—	—	١٠ للسلة
١٢	١٠	—	—	—	٥ — ٩ للسلة
١٠	١٠	—	—	—	١ لكل موقد
١٢	١٠	—	—	—	١٣ للبالة

أسماء السلع	الرسوم الجمركية — فى الاسكندرية: من بلاد السلطان	من بلاد البربر	من مارسيليا	من البندقية	من ليفورنيو ومارسيليا	من انجلترا	من أوروبا عن طريق أزمير
	٪	٪	٪	٪	٪	٪	٪
زيت	—	٥	—	—	—	—	—
صلب	—	—	—	—	—	—	—
صابون عجين	١٠	١١	—	—	—	—	—
صابون سائل	—	١١	—	-	—	—	—
فرشاة للصاغة	—	—	—	٣ — ٥	٣ — ٥	—	٥
مناشير	—	—	—	—	—	—	—
ملح البارود	—	—	—	—	—	—	—
سروج للركاب ، إلخ	١٠	—	—	—	—	—	—
مناشف (فوط)	٥	—	—	—	—	—	—
شراب السكر (شربات)	—	—	٣ — ٥	٣ — ٥	٣ — ٥	٣ — ٥	٥
حرير	٥	—	—	—	—	—	—
حرير وارد بروصة	٤	—	—	—	—	—	—
حرير مطبوع وقيطان حرير	—	—	—	—	—	—	—
حراير	٥	—	٣ — ٥	٣ — ٥	٣ — ٥	٣ — ٥	٥
منفاخ	١٠	—	—	—	—	—	—
كبريت	—	١١	٣ — ٥	٣ — ٥	٣ — ٥	—	٥
أحذية	٥	١٠	—	—	—	—	—
لاوندة	—	—	—	٣ — ٥	٣ — ٥	—	٥
سليمانى	—	—	—	٣ — ٥	٣ — ٥	—	٥
سكر	—	—	—	—	—	—	—
ودك (شحم الأمعاء)	—	—	—	—	—	—	—

التى كانت تخضع لها

فى دمياط	فى بولاق				
من أوربا وآسيا وبلاد البربر	من بلاد السلطان وبلاد البربر		من بلاد النصارى		اشتراها تجار مصريون فى الاسكندرية
	إلى تجار مصريين	إلى تجار أوربيين	إلى تجار مصريين	إلى تجار غير مصريين	
٪	٪	٪	٪	٪	مدينى
—	١٠	٢	—	—	٥½ للرطل
١٢	٤	—	—	—	١٨ للصندوق
القادم من سوريا ٣٠٪ م للبالة الصغيرة ومن دمشق ١٠٪	٤	٢	—	—	٣ – ٣٠ »
	٤	٢	—	—	٣ – ٣٠ »
٥٪	٤	٢	١	٣	٢٥ للقطعة
١٠	١٠	٢	—	—	٤٠ للصندوق
١٠	—	—	—	—	
١٠	١٠	—	—	—	٨ للبالة
—	١٠	—	—	—	١ – ٣ للواحدة
—	٤	٢	١	٣	٢٥ للصندوق
١١ – ٢٠ مدينى للرطل	٤	—	—	—	٢ – ٧ للرطل
—	٤	—	—	—	٢ – ٧ »
١٢٪	١٠	—	—	—	٥ للعلبة
١٠	٤	٢	١	٣	١٥ – ٦٠ للقطعة
١٠	١٠	—	—	—	٨ للبالة
—	٤	٢	١	٣	٦ لكل ١٦٥ رطلا
١٢	٤	—	—	—	٢ لكل زوج
—	١٠	٢	١	٣	٩٨ البرميل الكبير
—	٤	٢	١	—	٨٠ لكل ٧٥ رطلا
١٢					
١٢	١٠	—	—	—	٦٠ للقنطار

أسماء السلع	الرسوم الجمركية — فى الاسكندرية — من بلاد السلطان	من بلاد البربر	من مارسيليا	من البندقية	من ليفورنيو ومارسيليا	من انجلترا	من أوربا عن طريق أزمير
	٪	٪	٪	٪	٪	٪	٪
أحزمة سرج صوفية	—	—	—	—	—	—	—
تبغ	١١	—	—	—	—	٣—٥	—
سجاجيد للأرائك	٥	—	—	—	—	—	—
« من كل نوع	—	١٠	—	—	—	—	—
دردى	—	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٥
لوازم النسج	٥	—	—	—	—	—	—
أقمشة من بيروت وغيرها	—	—	—	—	—	—	—
Taiole	٥	—	—	—	—	—	—
أقمشة من الضهور وبغداد وغيرها	—	—	—	—	—	—	—
أقمشة من الهند	١٠	—	—	—	—	—	—
« حريرية	٥	—	—	—	—	—	—
« منقوشة	—	—	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٣—٥	٥
تنباك (نوع من التبغ)	—	—	—	—	—	—	—
خراطيم النارجيلة	٥½ - ١٠	—	—	—	—	—	—
مصنوعات زجاجية	١٠	—	—	—	—	—	—
« « وكريستال	—	—	—	٣—٥	٣—٥	—	٥
نبيذ	—	—	—	—	—	—	—
خل	—	—	—	—	—	—	—
أملاح معدنية	—	—	—	٣ ٥	٣ - ٥	—	٥
أحذية قديمة	١٠	—	—	—	—	—	—

التى كانت تخضع لها

فى دمياط	فى بولاق				
من أوربا وآسيا وبلاد البربر	إلى بلاد السلطان وبلاد البربر		من بلاد النصارى		اشتراها تجار مصريون فى الاسكندرية
	من تجار مصريين	إلى تجار أوربيين	إلى تجار مصريين	إلى تجار غير مصريين	
٪	٪	٪	٪	٪	مدينى
١½ — ٢½ مدينى للسرج	٤	—	—	—	٣ - ١٢ للواحد
من تركيا ١٠٪ ، من سوريا ٢ - ٤ للأقة؛ للسعوط ١٢٪	٤	٤	١	—	٢٧ للبالة
١٠	٤	—	—	—	٢ - ٥ للواحدة
١٠	٤	٢	—	—	٥ - ١٢ »
—	٤	٢	١	٣	٩٠ للبرميل
١٠	٥	—	—	—	٣-١٥ للقطعة
٥	٤	—	—	—	١ - ٥ للقطعة
١٠٪	٤	٢	—	—	١ لكل أربعة
١٠	٤	—	—	—	١ - ٥ للقطعة
١٠	١٠	—	—	—	٣ - ٤٠ »
١٠	٤	٢	—	—	١ - ١٢ »
١٠	٥	٢	١	٣	٤ - ٢٠ »
١٢	١٠	—	—	—	٢٨ للبالة
١٠	١٠	—	—	—	٨ »
١٠	١٠	—	—	—	٨ »
١٠	٤	٢	١	٣	٧ للقنطار
١٠	—	—	—	—	—
٥٠ مدينى للبرميل	—	—	—	—	—
—	٤	٢	١	٣	٧٥ للبرميل الكبير
١٠٪	٤	—	—	—	٢ للزوج

اسم السلعة	الرسوم التى تخضع لها فى جمرك السويس مقر وصولها
ألوة (صبر)	١٦٥ مديني للقنطار
عنزروت	١٦٥ » »
حتليت	٩٩ » »
مرهم من مكة	١٦٥ » »
صمغ جاوة (لبان جاوة)	١٦٥ » »
خشب هندى	٩٩ » »
خشب عطرى	لا يسدد أى رسوم
خشب الصندل	١٦٥ مديني للقنطار
خشب فرنامبوك	٦٦ » »
بن من موخا	٤٠٠ مديني للفرد
بن بقشره	٨٢ » »
قرفة	١٦٥ » »
قاقلة (بذور تنتج زيوت عطرية)	٣٤٠ مديني للقنطار
أحزمة	قطعة عينا عن كل ١٠ قطع
شيلان	شرحه
ششم	٦٦ مديني للقنطار
جوز الهند	٢٥ » »
حلويات	لا تسدد أى رسوم
كوبال (صمغ للطلاء)	١٦٥ مديني للقنطار
البوصير (ثمرة سم السمك)	٦٦ » »
غزل قطن هندى	لا يسدد أى رسوم
—	٩٩ مديني للقنطار
سن السمك	٢٦ » للاردب
—	لا يسدد أى رسوم
—	شرحه

اسم السلعة	الرسوم التى تخضع لها فى جمرك السويس مقر وصولها
بخور	٢٣ مدينى للقنطار
أقمشة	قطعة عينا عن كل ١٠ قطع
—	١٦٥ مدينى للقنطار
أقمشة قطنية	قطعة عينا عن كل ١٠ قطع
تنباك (نوع من التبغ)	لا يسدد أى رسوم
زنجبيل	٦٦ مدينى للقنطار
صمغ	لا يسدد أى رسوم
صمغ	١٦٥ مدينى للقنطار
صمغ لك(عصارة راتنج لصبغ الجلود)	٣٢ » »
بذور سوداء	لا تسدد أى رسوم
حب الملوك (بذور مسهلة)	٢٩٦ مدينى للقنطار
أصابع هرمس	٦٦ » »
نيلة وارد الهند	١٩٨ » »
خولان (عقار طبى)	١١٠ » »
كركم	٦٦ » »
—	٦٦ » »
ليف	لا يسدد أى رسوم
موسلين	قطعة عينا عن كل ١٠ قطع
إهليلج	٦٦ مدينى للقنطار
مر (أو صبر)	١٦٥ » »
جوز ضد القيء	٣٢ » »
جلود ماعز وخراف	لا يسدد أى رسوم
جالونات وارد الهند	٦٦ مدينى للقنطار
فلفل	١٣٢ » »
فلفل بالقرنفل	٩٩ » »
خزف	قطعة عينا عن كل ٢٠ قطعة

اسم السلعة	الرسوم التى تخضع لها فى جمرك السويس مقر وصولها
جذور (نبات) لتنظيف الاسنان	لا تسدد أى رسوم
راوند	٩٩ مدينى للقنطار
ريتة (ثمرة شجر الصابون)	٣٢ « «
زرنيخ أحمر	١٦٥ « «
قاتل الدود (دواء)	٩٩ « «
سنامكى	لا يسدد أى رسوم
لاوندة هندى	٦٦ مدينى للقنطار
تربد (جذور عشب مسهلة)	٩٩ « «
جذور الزعفران	٦٦ « «

الصـــــادرات

تجـــارة ســـنار ودارفور وفـــزان

السلع	الرسوم التى تخضع لها عند خروجها من جمرك مصر العتيقة	السلع	الرسوم التى تخضع لها عند خروجها من جمرك مصر العتيقة
عنبر مرجان سن السمك مذهبات أجواخ أقمشة حريرية قرنفل	١٢ مدينى لحمولة الأتان و ٢٤ مدينى لحمولة الجمل	نصال سيوف محلب مرايا ذهب لميع خردةوحدايد لاوندة أقمشة قطنية	١٢ مدينى لحمولة الأتان و ٢٤ مدينى لحمولة الجمل

تجـــارة أوربا وآســــيا وبلاد البربر

السلع	الرسوم التى تسددها فى الاسكندرية[١]: إلى ولايات السلطان	إلى بلاد البربر	إلى بلاد النصارى	فى دمياط[١]: إلى بلاد السلطان والبربر وأوربا
	٪	٪	٪	٪
الصلب	—	—	—	١٠
ألوة (صبر)	٥	٢٢ مدينى للقنطار	٣	١٠
ينسون	—	—	—	١٠
حلتيت	٥	٣٣٠ مدينى للقنطار	٣	١٠
أطباق من الخزف	—	—	—	١٠
مرهم من الهند	١٠	—	—	—
قمح	—	—	—	—
خشب الألوة	١٠	—	—	
خشب هندى	—	—	—	١٠

(١) كانت الرسوم التى تحصل فى الاسكندرية ودمياط تفرض دون تمييز على التجار من كل الجنسيات وكانت تتم جبـايتها طبقـا لتقدير السلع المصـدرة أدنى من قيمتهـا الأصلية .

السلع	الرسوم التى تسددها فى الاسكندرية			... فى دمياط
	إلى ولايات السلطان	إلى بلاد البربر	إلى بلاد النصارى	إلى بلاد السلطان والبربر وأوربا
	٪	٪	٪	٪
خشب عطرى وخشب للصباغة	—	—	—	١٠
خيوط وبر	—	٢ مدينى للقطعة	—	—
مشاقة (وبر) حرير	—	٣٠ » »	٣ ٪	—
وبر صنع القاهرة	—	١٥ » »	٣	—
وبر عادى	—	٢٥ » »	٣	—
وبر أحمر	—	٣ » »	—	—
بن	٣٠ مدينى للقنطار	١٦ ½ مدينى للقنطار	٣	٣ مدينى للقنطار
قاقلة	٥ ٪	٣٣٠ مدينى للقنطار	—	١٠ ٪
رماد الصودا	٢ مدينى للقفة	—	٤٠ مدينى للقفة	—
أطواق (إطارات)	—	—	—	٢٠ مدينى لكل ١٠٠ إطار
شيلان صوف من الفيوم	٣ مدينى للواحد	—	—	٣ مدينى للواحد

السلع	الرسوم التى تسددها فى الاسكندرية			٠ ٠ ٠ فى دمياط
	إلى ولايات السلطان	إلى بلاد البربر	الى بلاد النصارى	إلى بلاد السلطان والبربر وأوربا
	٪	٪	٪	٪
شيلان وأقمشة من الهند	١٠	—	—	١٠
خمارات (خمار)	—	—	—	١٠
ششم	٥	٣٣ مدينى للقنطار	—	٦٠ مدينى للقنطار
مسامير (حجم كبير)	—	—	—	١٢ ٪
القرمزية	—	—	—	١٠
ثمار جوز الهند	٥	—	—	١٠
٠ ٠ ٠	—	٣٣ مدينى للبالة	—	—
كوبال (صمغ للطلاء)	٥	٨٦ ٪	٣	١٠
ثمرة البوصير (سم السمك)	٥	١٢٠ مدينى للقنطار	٣	١٠
قرون الثيران والماعز	—	—	—	١٠
قطن على هيئة لوزات	—	—	—	١٠

السلع	الرسوم التى تسددها فى الاسكندرية: الى ولايات السلطان	الى بلاد البربر	الى بلاد النصارى	٠٠٠ فى دمياط: الى بلاد السلطان والبربر وأوربا
	٪	٪	٪	٪
قطن فى شكل رزم	—	٢٧ ½ مدينى للقنطار	٣	١٠
غزل قطن من الهند	١٠	—	٣	—
غزل قطن أحمر	—	٣٠٠ مدينى للقنطار	—	—
غزل قطن أزرق	—	٢٠٠ » »	—	—
غزل قطن أبيض	—	٥٥ » »	٣	—
أغطية حمراء	٤ مدينى للغطاء الواحد	—	—	—
أغطية وسجاجيد من الهند	—	٢٠ مدينى للقطعة	—	—
أغطية من سوريا	—	٦ » »	—	—
شعر عرفة الخيول	—	—	—	١٠
جلود جاموس	٤ مدينى للجلد	٦ مدينى للجلد	٣	٣ مدينى للواحد
جلود بقر وجمال وثيران	٢ » »	٦ » »	٣	٣ مدينى للواحد
عجوة	٣ مدينى للقفة	١٣ مدينى للقنطار	٣	٢ مدينى للقفة

السلع	الرسوم التى تسددها فى الاسكندرية			... فى دمياط
	إلى ولايات السلطان	إلى بلاد البربر	إلى بلاد النصارى	إلى بلاد السلطان والبربر وأوربا
	٪	٪	٪	٪
بلح مجفف (تمر)	١٢—١٣ مدينى للقنطار	١٣ مدينى للقنطار	٣	٤٥ مدينى للقفة
سن سمك	٥ ٪	٣٣٠ مدينى للقنطار	٣	—
ديميتى منقوش وهو أقمشة قطنية تسمى نانكين أو بازان ويسميها الإنجليز ديميتى	—	٢ مدينى للقطعة	٣	—
ماء الزهر	—	—	—	١٠ ٪
بخور	٥	٣٠ مدينى للقنطار	٣	١٠
عبيد سود	٢٥ مدينى للواحد	—	—	—
عقاقير طبية من كل نوع	٥	٦ مدينى للقنطار	٣	١٠
قصدير	—	—	—	١٠
أقمشة صوفية تسمى زعبوط		—	—	٥ مدينى للقطعة
أقمشة حريرية من الاسكندرية والمحلة الكبرى	—	—	—	١٠

السلع	الرسوم التى تسددها فى الاسكندرية			٠٠٠ فى دمياط
	الى ولايات السلطان	الى بلاد البربر	الى بلاد النصارى	الى بلاد السلطان والبربر وأوربا
	٪	٪	٪	٪
زنك	—	—	—	١٠
حديد على هيئة قضبان	—	—	—	١٠
زنجبيل	٥ ٪	٨٦ مدينى للقنطار	—	٦٠ مدينى لكل ١٠٠ رطل
صمغ	٥	٢٦ مدينى للقنطار	٣	—
صمغ الك	—	٣٣٠ مدينى للقنطار	—	١٠ ٪
بذور كمون	—	—	—	١٥ مدينى للأردب
كتان خشن	—	—	—	٢ مدينى لكل حمولة
حناء (لصبغ أظافر وشعر النساء)	٤–١٦ مدينى للجوال تبعاً لحجمه	٦½ مدينى للبالة	—	٨ مدينى للبالة الصغيرة
أصابع هرمس	—	٣٣٠ مدينى للقنطار	٣	١٠ ٪
النيـــلة: درجة أولى	—	—	—	٨٠ مدينى للقنطار
النيـــلة: درجة ثانية	—	—	—	٦٠ مدينى للقنطار
النيـــلة: درجة ثالثة	—	—	—	٤٠ مدينى للقنطار
عاج	٥ ٪	١٢٥ مدينى للقنطار	٣	١٠ ٪

السلع	الرسوم التى تسددها فى الاسكندرية: الى ولايات السلطان	الى بلاد البربر	الى بلاد النصارى	... فى دمياط: الى بلاد السلطان والبربر وأوربا
	٪		٪	٪
كلخ	—	١١٠ مدينى للقنطار	—	١٠
خولان (عقار طبى)	—	١١٠ » »	—	١٠
كركم	٥	٨٦ » »	٣	١٠
صوف	—	٢٧ » »	٣	١٠
خضروات وحبوب وعلف	—	١٦ مدينى للإردب	١٦ مدينى للإردب	١٠٠ مدينى للإردب
كتان	٥	٤ مدينى للبالة	٣	١٨ مدينى لكل ١٠٠ رطل
كتان مغزول	—	٦ مدينى للبالة الصغيرة	٣	٢٦½ » » » »
حواشى جوخ	—	—	—	١٠ ٪
قدور فخارية	—	—	—	١٠
موسلين من الهند	١٠	—	—	١٠
اهليلج	٥	٨٦ مدينى للقنطار	٣	٦٠ مدينى لكل ١٠٠ رطل
مر	٥	٨٦ مدينى للقنطار	٣	١٠ ٪

السلع	الرسوم التى تسددها فى الاسكندرية			. . . فى دمياط
	الى ولايات السلطان	الى بلاد البربر	الى بلاد النصارى	الى بلاد السلطان والبربر وأوربا
صدف لؤلؤ	—	٦٦ مدينى للبالة	٣ ٪	—
ملح النطرون	—	٣٣ مدينى للبالة	٤٠ مدينى للقفة	—
حصر	—	—	—	٢ مدينى للواحدة
بندق	—	—	—	١٠ ٪
بندق من الهند	١٠	٨٦ مدينى للقنطار	—	٦٠ مدينى لكل ١٠٠ رطل
جوزة القيء	٥	٨٦ » »	٣	١٠ ٪
جلود	١ مدينى لكل جلد	—	--	١ مدينى لكل جلد
جلود رقيقة	٨ » » »	—		٣ مدينى لكل جلد
ريش النعام	٥ ٪	—	٣	١٠ ٪
حمص	—	—	—	٩ مدينى للإردب
سمك مملح	٤١ مدينى للبرميل الكبير	—	—	—
سمك مجفف	٨ مدينى للبرميل	—	—	—

السلع	الرسوم التى تسددها فى الاسكندرية: الى ولايات السلطان	الى بلاد البربر	الى بلاد النصارى	. . . فى دمياط: الى بلاد السلطان والبربر وأوربا
	٪	٪	٪	٪
فلفل	٥	٨٦ مدينى للقنطار	٣	٦٠ مدينى لكل ١٠٠ رطل
خزف	١٠	—	—	—
رصاص بنادق	—	—	—	١٠ ٪
مسحوق لصباغة الخيول	—	—	—	٣٠ مدينى لكل ١٠٠ رطل
أرز	—	٤ مدينى للأردب	١٣٣ مدينى للأردب	٧٠ مدينى للأردب
عباءات صوفية للفلاحين	٢ مدينى للواحدة	—	—	٣ مدينى للقطعة
زهور جافة	—	٢٧½ مدينى للقنطار	—	—
زعفران	—	—	—	٦ مدينى لكل ١٠٠ رطل
ك ك —	٥	١٣ مدينى للبالة	٣	١٠ ٪
ملح	—	—	—	٢٥ مدينى لكل ١٠ أرادب
ملح النوشادر	٥	٣٠ مدينى للقنطار	٣	١ مدينى للرطل
ملح البارود	—	—	٣	١٠ ٪
بذور اليسر	—	٢٦ مدينى للقنطار	٣	—

السلع	الرسوم التى تسددها فى الاسكندرية			. . . فى دمياط
	الى ولايات السلطان	الى بلاد البربر	الى بلاد النصارى	الى بلاد السلطان والبربر وأوربا
	٪	٪	٪	٪
سنامكى	٥	—	٣	١٠
خيش	—	١ مدينى للقطعة	—	—
مناشف (فوط) صنع دمشق	—	٦ - ١٢ مدينى للقطعة	—	—
مناشف (فوط) صنع القاهرة	—	٦ مدينى للقطعة	—	—
كبريت	—	—	—	١٠
سكر	٥	٢٠½ مدينى للقنطار	٣	١٠
سكر مكرر	٥	٤١ مدينى للقنطار	—	١٠
تبغ	١٠	—	—	١٠
بودرة تبغ (سعوط)	—	—	—	١٠
تفتاز	—	—	—	١٠
تمر هندى	٥	٤٥ مدينى للقنطار	٣	١٠
مناخل (منخل) ناعمة	—	—	—	١٠
فناجين من الخزف	—	—	—	١٠

السلع	الرسوم التى تسددها فى الاسكندرية			... فى دمياط
	إلى ولايات السلطان	إلى بلاد البربر	إلى بلاد النصارى	إلى بلاد السلطان والبربر وأوربا
	٪	٪	٪	٪
لوازم النسج	—	٣٧ ½ مدينى للقنطار	٣	—
أقمشة همايونى	—	٤٠ مدينى للقطعة	—	—
صلصال لصنع النارجيلات	—	—	—	٥
أقمشة عاتكى	—	١٥ مدينى للقطعة	—	—
« زرقاء	—	٣ « «	٣	—
« ضابولى من القسطنطينية	—	٢٠ « «	—	—
« « من مصر	—	٥ « «	—	—
« « عادية	—	١٠ « «	—	—
« من القطن	—	—	٣	٣٠٠ مدينى للبالة
« « الكتان	—	—	٣	—
« « « للقمصان	٢ مدينى للقطعة	—	—	—
« من الهند	—	—	٣	١٠

السلع	الرسوم التى تسددها فى الاسكندرية			. . . فى دمياط
	الى ولايات السلطان	الى بلاد البربر	الى بلاد النصارى	الى بلا السلطان والبربر وأوربا
	٪	٪	٪	٪
أقمشة ملونة	—	٦ مدينى للقطعة	٣	—
« فيتللى { درجة أولى	—	٤٠ « «	—	—
« فيتللى { عادية	—	٣٠ « «	—	—
« فيتللى { شعبية	—	٢٠ « «	—	—
« حبشى	—	٣ « «	—	—
« للأرائك	—	٤ « للبالة	٣	—
« للقلاع	—	—	—	١ مدينى للقطعة
« سهن	—	٣ مدينى للقطعة	—	—
عمائم	—	٣٠ « «	—	—
خراطيم نارجيلات على شكل أعواد	—	—	—	١٠
جذور الزعفران	٥	٢٦ مدينى للقنطار	٣	١٠

السلع	الرسوم التى تسددها فى جمرك السويس	السلع	الرسوم التى تسددها فى جمرك السويس
صلب	لم يكن تصديرها يخضع لأى رسوم	أسلاك نحاس أصفر	لم يكن تصديرها يخضع لأى رسوم
ابر		نصال سيوف	
عنبر أصفر		عدس	
سلفور الرصاص		مرايا	
زرنيخ		ذهب لميع	
قمح		ورق ناعم مصقول	
مواسير بنادق		قروش أسبانية	
قرمزية		رصاص	
ومصنوعات زجاجية من كل نوع		أرز	
أجواخ شعبية		جنيهات ذهبية من البندقية	
حديد		كبريت	
فول		تالارى (ريال) امبراطورى	
أسلاك حديد		نحاس قديم	
		أملاح معدنية	

وكانت الواردات القادمة من ممالك سنار ودارفور وفزان تبلغ النيل عادة عند أسوان أو سيوط . وقد لا يكون بوسعنا أن نضفى أية صبغة من الشرعية على الرسوم التى قررت العادة سدادها فى الولايات التى تعبرها هذه الواردات قبل أن تصل الى القاهرة ، ولقد أدى سلوك الحكام الذين فرضوا هذه الرسوم بشكل استبدادى الى نشأة مبدأ خلاصته أن من المستحيل أن يدع واحد من البكوات قافلة تمر بولايته دون أن يخضعها لأداء ضريبة له . ولقد تحولت هذه المطالب التى كانت تعسفية فى الأصل ، بسبب تقادمها وبسبب مراعاة أولئك الذين قرروها لعدم المبالغة فى مقدارها حرصا على مصالحهم ، وحتى لا تؤدى الى توقف التجارة التى تتحملها — تحولت فى السنوات الأخيرة الى أتاوات مستقرة ومعترف بها . ومن المعروف ، أنه بخلاف الرسوم التى كانت تسدد فى جمرك مصر العتيقة :

كان يدفع عن أي عبد أو أمة	٤٨٠	مدينى
والجمل المحمل بالصمغ	٩٠٠	«
« « بريش النعام	١٫٩٨٠	«
« الذى لا يحمل شيئا	٢٤٠	«

ومنذ أصبحت مصر فريسة للانقسامات الداخلية ، ومنذ أصبح الصعيد هو مأوى الحزب الذى تدور عليه الدوائر ، وجرجا هى المقر المعتاد للبك الموكل بأمر احتواء هذا الحزب ، بدأت القوافل التى كانت تصل الى أسوان لتعبر على التوالى الولايات التى يحتلها كلا الحزبين المتنافسين تتعرض لسداد ضعف الرسوم المعتادة .

وبخلاف هذه القوافل ، كانت هناك قوافل أخرى تصل الى بولاق ، قادمة من الطور ومن وسط أفريقيا ومن سوريا .

وكانت الأولى ، وهى تتألف من عربان يقطنون جبل سيناء ، تنقل الى القاهرة والى كل مصر السفلى الصمغ والفحم والكمثرى ، وكانت هذه السلع تخضع لرسوم دخول مقررة فى جمرك بولاق (١) .

(١) لم يكن الفحم يدفع أى رسوم .

أما الغرض الرئيسى للقـــافلة فكان هو الحج الى مكة ، وكانت تبدأ من اقاصى امبراطورية مراكش متخذة طريقها الى القاهرة ، ضامة اليها فى طريقها حجاج الجزائر وتونس وطرابلس ثم تكمل رحلتها مع قافلة مصر سابقة اياها أو متخلفة عنها بمسافة مسيرة يوم واحد .

وكانت هذه القافلة تضم بعض التجار يحملون الى الجزيرة العربية سلعا صـــغيرة الحجم مثل الأجواخ والقرمزية الخ ، ويجلبـــون منها البن المشهود له بأنه أجود أصـــناف البن ، وذلك بسبب عدم مروره بالبحر ، كما يجلبون كذلك الشيلان والبخور ، وبصفة عامـــة كل ماخف حمله وغلا ثمنه . ولم يكن هؤلاء التجار يسددون أى رســـوم جمركية ، ذلك أن كل السلع التى تصـــدر أو ترد مع قافلة الحج ، كانت معفاة من كل الرسوم.

وعندما تكون الملاحة خطرة ، كانت تصل من سوريا بعض القوافل ، حاملة نفس السلع التى تمد بها هذه البـــلاد مصر عن طريق دميـــاط ، وفى هـــذه الحالة كانت صـــادرات مصر الى سوريا تصل اليها عن نفس الطريق ، وكانت رســـوم الدخول والخروج تقتصر على تلك التى تحصل فى جمرك بولاق .

وكانت التجارة مع اوربا تنهض مستقرة على أسس اتفاقيات تحـــدد الرسوم التى ينبغى عليها أن تسددها،وتعود أقدم هذه الاتفاقيات طرا ، وهى تلك التى عقدت مع الفرنسيين والبنادقة ، الى فترة قريبة من وقت فتح مصر على يد السلطان سليم ، وبعد ذلك تمتع بنفس هذه الامتيـــازات كل من الألمـــان والانجليز ، ثم على التوالى كل الأمم الأوربية التى تحالفت مع العثمانيين ، ويكفى أن نقـــارن الرســـوم التى كان رعايا السلطـــان يدفعونها ، بتلك الرسوم بالغة الاعتدال والتى تحصل من الأوربيين ، كى نتبين المزايا التى كان الأخيرون يتمتعون بها ، ولم تكن ثمة ســـوى حالة واحدة يحظى فيها المصريون أو الأتراك بمعاملةأفضل من معاملةالأوربيين، هى حالة شرائهم السلع من الاسكندرية بقصـــد ارسالها الى القـــاهرة ، فقد كانوا عندئذ يخضعون لسداد رسم ثابت بسيط عن كل بالة أو قطعـــة ، يؤدونه فى بولاق ، فى حين كان الأجنبى الذى يفعل نفس الشىء يدفع رسما قدره ١ أو ٢٪ ، وهو نفس الرسم الذى يخضع هو له حين تصـــله نفس هذه السلع من اوربا أو تركيا .

لكن ذلك لا يحول بيننا وبين ان نبين الى اى حد كانت التجارة الاوربية تحت السيطرة الاستبدادية للماليك ، تتعرض للابتزازات وللمعاملات السيئة ، وقد يكون تقدير السلع لايزال حتى اليوم أدنى من قيمتها الفعلية ((عند تقدير الرسوم) ، ومع ذلك فان مطالب التجار التى تنهض على اسس اتفاقيات تسليم تتعارض مع كل تغيير فى السلع لم تكن لتحول دون تقييم هذه السلع بشكل يتناسب مع قيمتها المالية ، ولقد كان من المتفق عليه بجلاء ان السفينة الأفرنكية ((الأجنبية) التى تسدد الرسوم فى احد ثغور الامبراطورية (العثمانية) تتمتع باعفاء كامل فى بقية الثغور بمجرد ابرازها التذكرة ((تذكرت) التى حصلت عليها من الجمرك هناك ، ومع ذلك فلم يكن هناك من يعترف بهذا البند فى الاتفاقيات ، فكانت المراكب الأوربية القادمة من ولايات السلطان تعامل وكأنها حملت فى الموانى التى قدمت منها ، سواء أبرزت او لم تبرز « تذكرت » الجمارك .

وكان محظورا تصدير الغلال والأرز والبن على السفن الأوربية وكذلك على السفن اليونانية برغم انها من رعايا السلطان ، وان ظل التدليس يهيىء على الدوام لهذهالسلع ان تدخل ضمن حمولات هذه السفن مقابل بعض الهدايا ، لكن تصدير القمح والأرز كان اكثر من ذلك صعوبة ، وكان الأمر يتطلب خرقا اكبر للوائح التى تمنع تمام ذلك عن طريق سفن مسيحية حتى ولو كانت هذه الحبوب متجهة الى احدى ولايات الامبراطورية ((العثمانية) ، ومع ذلك فحيث امكن استصدار فرمان خول لنا حق نقلها بحرا فى حالة انعدام وجود سفن مسلمة ، فقد توصلنا عن طريق هذه الحيلة الى نقل هذه الغلال الى أوربا بعد أن كانت سفننا تقوم بجولة لواحد من الثغور التركية . وهكذا امكن لفرنسا خلال عام ١٧٩٣ والأعوام التالية أن تستورد الكثير من السلع الغذائية من مصر . وكانت كل حمولة من هذا النوع تدفع من ١٣ الى ١٥ الف مدينى رسوما جمركية ، وبالمثل فقد ادخلت العادة رسم تخليص على الحمولات التى تتكون من سلع اخرى كان تقديرها يتم بالاتفاق بين رجال الجمارك وقبطان السفينة . وكانت سفن راجوزة تخضع بالاضافة الى ذلك لرسم قدره ٢٪ لصالح حكومتها ، التى كانت تترك ١/٢ هذا الرسم للجمرك حتى تكفل لرعاياها وسائل شحن سهلة . ومع ذلك فان هذه البدع التى كان الافرنج يخضعون لها حتى يحصلوا على عمليات تجارية مربحة أو يقوموا بجولات كانت محظورة عليهم

لم تكن مجحفة او ضــــارة بالتجارة الا فى انها كانت الأساس الذى هيــأ لنشأة اتاوات اخرى باهظة بشكل حقيقى .

وفى عهد حكومة على بك قام حنا فخر ، المسيحى السورى ، والذى كان قـــد حصل على التزام جمرك دميـــاط بكثير من المــكائد والدسائس حتى امكنه الحاق الدمار باليهود،ففقدوا التزام الجمارك الذى كانوا يديرونه منذ زمان لاتعبه الذاكرة .

وقـــد سبق لنـــا القول بأن الرســـوم التى تحصـــل عن السلع فى الاسكندرية أو دمياط لم تكن لتعفيها من ان تسدد رسوما جمركية اخرى فى بولاق عندما تصل الى القاهرة ، ولما كان ملتزمو الجمركين الأولين متوحدى المصالح مع ملتزمى جمرك بولاق فقد كانوا يزودون التجار بوسائل تمكنهم من التخلص من جزء من الرسوم واجبة الأداء فى الجمرك الأخير ، ولـــكن حين أصبح حنـــا فخر ملتزما عموميا فقد ابطل امور التدليس هذه وذلك بأن وضع تحت أمرته عوائد جمارك الاسكندرية ودميـــاط وبولاق(١) ، ومـــع ذلك فان عدم حرصه على أن يحتفظ لـــكل جمرك باختصاصاته المتميزة ، بالاضــــافة الى لا مبالاته التى كان يرى معها أنه سيحصل ولابد فى بولاق على ما كان ينبغى أن يحصل عليه فى الاسكندرية أو دمياط ـــ كل ذلك قد القى بالشكوك حول العـــائد الخاص الذى يحققه كل جمـــرك ، وفى نفس الوقت فان اضطراب هذه العوائد ، وهـــو الأمر الذى جر معــه اضطرابا فى الرســـوم الجمركية نفسها ، قـــد ادى بالضرورة الى انعدام التوافق أو التلاؤم الذى كان ينتظر حدوثه من وراء ادخالها (الجمارك) ضمن التزام شخص واحد . ولقد فرضت تحت ادارته ، وتحت ادارة الذين اعقبوه ، رسوم باهظة على كل الرحلات الى ليفورينو وتريستا ، كمـــا خضعت السفن التركية والافرنجية التى كانت تشحن فى دمياط ، بالاضافة الى ذلك ، لأداء أتاوة قـــدرها ٢٠٠ بوطاقة ، ظلت تتضاعف خلال السنوات الأخيرة حتى بلغت نصف رسوم شـــحن ، وحيث لا تقدم اية ذرائع لتبـــرير مثل هذه المظالم الاستبدادية ، فقد كان بمقدور التجار أن يجـــدوا دوافع

---

(١) لم يكن جمرك بولاق مستقلا عن جمرك مصر العتيقة فيما يختص بتسديد الميرى ، ومع ذلك فقد ضمن الأول فى عقد مدير عموم الجمارك فى حين ظل الجمرك الثانى فى عهدة وكيل خاص .

حقيقية لالقاء اللوم على وكلاء الأمم الأوربية فى تساهلهم فى هـــذه الأمور لولا أنهم يدركون كيف أنه من العسير على هؤلاء أن يصارعوا بنجاح ضد رجال الجمـــارك فى مصر . ولقـــد كانت المـــكاسب التى يهيئها رجال الجمارك لهؤلاء البكوات تضمن لهم سطوة تجعل كل شيء رهن مشيئتهم فى المواقع والثغور التى يتم فيها تحصـــيل الرســـوم ، وكان السردارات والأغوات والضـــباط العسكريون الآخرون الذين يتولون القيـــادة هنـــاك يجـــازفون بمناصبهم أو بتعريض انفسهم للعقـــاب اذا هم ســـاروا على غير هـــوى هؤلاء . وكانت الوسائل العديدة التى فى حوزتهم والتى يستطيعون بهـــا تسهيل أو تعويق أو حتى منع عمليات الشحن تخضع التجار والأمر كذلك لسطوتهم (١) .

اما فى جمرك السويس فلم ترتفع الا الرســـوم المقررة على البن ، فمنذ نحو سبعين عاما أمر البـــاب العالى نفسه بأن تزيد هذه الرســـوم لتبلغ ١٤٦ مدينى عن كل فرد لصـــالح أمير الحج ، كما فـــرض الكخياوان ابراهيم ورضوان لحسابهما خمس بوطاقات أخرى عن كل فرد ، اما على بك الذى تلاهما فى الحكم فقـــد غالى فى هذه البـــدعة ، واخيراً وصل بها مراد وابراهيم الى ١٨ بوطاقـــة (عن كل فرد) حين توقف صـــندوق الجمرك عن ايراد أية حصيلة .

ونقدم هنـــا بعض لمحـــات عن الأســـباب التى ادت به الى هـــذه الحالة من الافلاس . فعنـــدما حصـــل البكوات على نصـــيب من دخول الجمارك لم يتغير شيء فى الأسلوب المتبع فى تحصيل الرسوم . فبمجرد أن تلامس السفن المحملة بسلع الجزيرة العربية والهند شاطيء السويس كان أفندى الادارة فى الجمرك — وهو يحمل اسم قاضى البحار — يرسل الى المرفأ كاتبـــا موكلا بتقـــدير واردات البن ، وبأن يحرر بيـــانا بأسماء التجار الذين وردت هـــذه السلع لهم : ويرسل هـــذا البيـــان الى قاضى البحار ليتخذ منه أساسا لتقدير وتوزيع الرسوم واجبـــة الســـداد والتى قررها الباشـــا والبكوات . وكان تسليم البن يتم فور تمام هـــذا الاجـــراء

---

(١) فر أحدهم وهو أنطون قسيس فـــرعون من مصر ليســـتقر فى تريستا بعد أن كدس ثروة طائلة تتكون من عدة ملايين من حصـــيلة التزام الجمـــارك .

ويقوم التجار الذين أصبحوا ملاكا لهذا البن بسداد الرســـوم التى قدرت عليه ، وقـــد استفاد قادة الحكومة من نظام للامور جعلهم فى علاقة منفعة مع التجار فحصلوا لانفسهم منهم على قروض ، وأدت التســـهيلات التى قدمت لهؤلاء لاستيفاء ديونهم عن طرق خصـــومات تتم على مقدار الرسوم التى كان عليهم أن يسددوها طبقـــا لارساليات البن التى جاءتهم ، بالاضافة الى ربح (القروض) البـــالغ ٢٠٪ الذى وعدوا به والذى كان يضـــمن الحساب بالفعل — أدت بهؤلاء الى أن يصبحوا المساهمين والملتزمين لهـــذا الجمرك . ولم تلبث كل دخولهم أن أصبحت تعتمد اعتمادا تاما على هذه المنشأة . وهكذا كفت واردات البن عن أن نصبح وفيرة ، وتناقصت تبعا لنسبة الرســـوم التى حملت بها ، وكف التجار الأجانب عن ادارة الجمرك (أى الذين لا يتعاملون معها بالقروض) عن المضاربة على هذه السلعـــة الغذائية ، وحين رأى الأوربيون انهم سيحصـــلون على فـــوائد أكبر اذا ماجلبوا هذه السلعة عن طريق رأس الرجاء الصـــالح فقد أخرجوها من طريقها المعتاد ، بل ان الشرقيين انفسهم اخذوا يفضـــلون استجلابها الى أزمير عن طرق Tokat والخليج الفـــارسى عن مواصلة التزود بها عن طريق السويس (١) ، وحين لم تعد رسوم البن تهيىء وسيلة اكيدة لتغطية القروض التى لم يكن البكوات يكفون عن أن يجعلوا منها مصدرهم الثابت للدخل أصبح خراب المساهمين أمرا يستحيل تجنبه ، وبعد بضع سنوات شعر البكوات خلالها بمدى الخسارة الهائلة التى لحقت بهم،إذ كانت الأرصدة التى تهيئها الجمارك قـــد ضاعت ، وظل سداد القروض معلقا .

وعندما طرد القبطان باشا حسن البكوين ابراهيم ومراد من القاهرة، وولى مكانهما اسماعيل بك ، فقد أراد الأخير اعادة قيـــام تجارة البن فثبت رسوم الجمـــارك بـــ ٢٢ بوطـــاقة عن الفرد (*) وفى نفس الوقت فقد ضمن هذا الرسم الـــ ٥٤٦ مدينى المخصصة للبـــاشا وأمير الحج وكذلك الـــ ٩٠٠ مدينى اللازمة للوفاء بالديون المستحقة للتجار (على البكوات) وقد أدت هـــذه اللائحة الى احيـــاء الثقة ، وجدد التجـــار المصريون (٢)

---

(١) وهذا برهان جديد على أن التجارة تستطيع فى النهاية أن تشق لنفسها طريقا آخر كى تتملص من المظالم الخرقاء .

(*) كما سبق القول فان الفرد هو بالة تزن ١٨٥ ك.ج (المترجم) .

(٢) لم يكن التجار الأجانب المقيمون بمصر يتلقون أية ارسالية بن من الجزيرة العربيـــة ، بل كانوا يشـــترون من التجـــار المصريين البن الذى يصدرونه الى أوربا .

معاملاتهم ، واوشكت الواردات أن تماثل فى حجمها الكبير ماكانت عليه فى الماضى ، ومع ذلك ولسوء الحظ فقد مضت التجربة دون أن يستخلص منها الاستبداد الجشع والنهم الدرس الواجب استخلاصه ، فما أن استقر ابراهيم ومراد بالقاهرة مرة اخرى حتى بدءا ابتزازاتهما من جديد ، واعادا الأمور تقريبا من الحالة التى وجدها عليها اسماعيل ، ولم يتغير عائد الجمرك (اى لم تزد حصيلته) بسبب الرسوم الباهظة التى فرضاها ، لكن الواردات هى التى اصبحت بالغة الضآلة .

ولم تكن السلع الأخرى التى تصل عن طريق السويس تدفع شيئا آخر بخلاف الرسوم التى انشاها السلطان سليمان ، ولسنا نجد سببا يفسر هذا الاعتدال الذى يتناقض كثيرا مع الأساليب المعتادة فى الادارة المصرية .

وبخلاف ذلك كانت تجبى فى كل مكاتب تحصيل مصروفات جمركية بلغت حدا من الكثرة انها كانت تشكل عائدا ضخما للملتزمين وتغطى مصروفات المكاتب ورواتب الكتبة ، فقد كانت كل السلع تخضع لهذه الرسوم حتى تلك السلع التى كانت تجارتها حرة . وكانت هذه المصروفات اقل جسامة بالنسبة للاوربيين عنها بالنسبة لأبناء البلاد .

وكان رجال جمارك بولاق ومصر العتيقة والاسكندرية والسويس قد اكتسبوا ميزات وظائفهم بحصولهم من الباشا على الفرمان الذى انشأ أو اعترف لهم بالمراكز التى يشغلونها والذى اخضعهم لدفع الميرى :

فكان جمركا مصر العتيقة وبولاق .

يدفع . . . . ٢ر٠٨٠ مدينى

وكان جمركا الاسكندرية يدفع . . ٢٧ر٠٤٠

وكان رجال الجمارك بالسويس يدفعون :

بالنسبة للشخص المقيم منهم بالقاهرة ١٦٣ر٤٣٣

بالنسبة للشخص المقيم منهم بالسويس ٤١٠

عن الوزان ٥١٠

الاجمالى . . . . ١٩٣ر٤٧٣ مدينى

تعادل ١٥ س ٦ر٩٠٩ جنيها توريا ، وتعادل بالفرنكات ، ٤٦ س ٦ر٨٢٤ فرنكا فرنسيا .

وحيث شغل المدير العمومى للجمارك المعين فى عهد على بك كل هذه المراكز فيما عدا مركزى مصر العتيقة والسويس فقد سدد الميرى المقرر عليها ، ولا نعرف لماذا لم يسلك الباشا نفس السلوك تجاه مدير جمرك السويس ، خصوصا منذ اصبح هذا الجمرك مضمنا عقد الملتزم العمومى.

وقد انشأ البكوات المماليك جمركين آخرين فى القصير ورشيد .

وقد حال الاتجاه الذى سارت فيه حكومة القاهرة لجذب تجارة الجزيرة العربية الى السويس ، دون أن يكون حجم انزال السلع فى القصير كبيرا ، وكانت الرسوم الجمركية تحصل هناك (فى القصير) لصالح كاشف قنا لعادة قررها هو نفسه أو ورثها عن أسلافه .

ولم يكن الغرض من انشاء جمرك رشيد تقرير رسوم جديدة ، بقدر ما كان الهدف منه هو التحقق مما اذا كانت لم ترتكب أية عمليات خداع أو تدليس فى جمركى بولاق والاسكندرية ، وهناك ، كان يتم التحقق من أن كمية ونوع السلع قد جاءتا مطابقتين للمخالصات الجمركية التى كان لابد من ابرازها وذلك بجعل حمولات السفن القادمة الى هذا الموقع تنتقل (من مراكبها) الى مراكب أخرى . وقد توصل رجال الجمارك — قبل مجىء الفرنسيين بسنوات قليلة — لأن يلحقوا بعمليات المراجعة والفحص هذه فرض رسم على كل كميات السلع ، وان كان الأوربيون قد تمسكوا بامتيازاتهم ولم يخضعوا مطلقا لهذه الرسوم ، وفى نفس هذا الوقت ، سمح مراد بك ، بعد أن أغرته المكاسب الهائلة التى سوف تعود عليه من تصدير الحبوب الى العالم المسيحى ، بتصدير هذه الحبوب مقابل تحصيل رسم قدره زر محبوب واحد (عملة ذهبية) لكل أردب ، وادت عمليات الشحن البحرى التى كانت تتم فى رشيد الى نشأة جمرك ، جنى منه مراد ، وهو الذى كان يديره لحسابه الخاص ، أموالا طائلة .

وحيث لم يكن يدفع اى مال ميرى الى الخزينة عن جمركى القصير ورشيد فان من الضرورى أن نشير اليهما باعتبارهما عبئا مضاعفا على حركة التجارة ، وليسا باعتبارهما يشكلان جزءا من عوائد السلطان .

ولابد أن نضع فى نفس هذه المرتبة تلك الرســـوم التى كانت تفرض على التجارة الداخليـــة ، والتى كانت تعرف فى بولاق والاسكندرية ورشيد ودمياط والسويس باسم جمارك صغرى ادت الى نشأة ضرائب أو مكوس على الاستهلاكات (التجارة) ، وكان التزام هــذه المــكوس يعطى عادة لرجال الجمارك الذين كانت لديهم المعرفة التامة بطبيعتها وتنوعاتها المعقدة .

ونقدم فيما يلى جدولا بهذه الرسوم ، حصلنا عليه عن طريق هــؤلاء الــكتبة او الموظفين الذين استبقيناهم فى وظائفهم بعد وصولنا .

تعريفة الرسوم التى تحصل باسم جمارك صغرى فى مصر

على السلع القادمة من الخارج

وعلى السلع القـــادمة من داخل مصر

---

١ — سلع قادمة من الخارج

السلع	عندما تكون السلع قادمة من داخل مصر وتدخل المدن الموضحة فإنها تخضع للرسوم المبينة فيما يلي						عندما تخرج السلع من المدن الموضحة وتكون مخصصة للاستهلاك داخل مصر فإنها تخضع للرسوم التالية					
	مصر العتيقة	بولاق	الاسكندرية	رشيد (مليمي)	دمياط	السويس	مصر العتيقة	بولاق	الاسكندرية	رشيد (مليمي)	دمياط	السويس
أبا قدار (نوع من البذور)	—	—	—	—	٦ ٪	—	—	—	—	—	—	—
عجين المشمش (قمر الدين)	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
صلب	—	—	—	٤٥ للصندوق	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
إبر	—	—	—	شرحه	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
ألوة (الصبار)	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
صبر	—	—	—	—	—	—	—	—	—	٦٠ للبالة	—	—
صوفان	—	—	—	١٥ للبالة	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
لوز	—	—	—	٢٠ للقفة	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
عنبر	—	—	—	٩٠ للصندوق	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
هلب مراكب	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
فضة سبائك	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
أسلحة	—	—	—	—	—	—	٩-٢٤ مليمي للحمولة	—	—	—	—	١٠

Item	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12
سلفور الرصاص	—	—	—	٣٠ للبرميل	—	—	—	—	—	—	—	—
حتليت	—	—	—	—	—	—	—	—	—	٦٠ للبالة	—	—
طباشير	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
خشب للوقود	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
خشب للصباغة	—	—	—	٢٠ للقنطار	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
قلنسوات حمراء	—	—	—	٤٥ للصندوق	١٦م للعلبة	—	—	—	—	—	—	—
شموع	—	—	—	٩٠ للصندوق	٦ ٪	—	—	—	—	—	—	—
أساور زجاجية	—	—	—	٢٠ للبالة	شرحه	—	—	—	—	—		—
زفت	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
بن	٥٠م للبالة	—	—	—	٣٠م للقنطار إذا لم يدفع فى بولاق	—	٣٠ مدينى للقنطار	—	٢٢ إلى ٩٠ مدينى للبالة	—	—	—
خروب	—	—	—	١٠ للقفة	—	—	—	—	—	—	—	—
أحزمة مطرزة	—	—	—	—	٦ ٪	—	—	—	—	—	—	—
خمارات (خمار)	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
شال صنع أنقرة	—	—	—	٩٠ للبالة الصغيرة	—	—	—	—	—	—	—	—
فحم	١ م الجوال	٦ م للقفة	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
كتان	—	—	—	٣٠ للبرميل الكبير	—	—	—	—	—	—	—	—

السلع	عندما تكون السلع قادمة من داخل مصر وتدخل المدن الموضحة فإنها تخضع للرسوم المبينة فيما يلى						عندما تخرج السلع من المدن الموضحة وتكون مخصصة للاستهلاك داخل مصر فإنها تخضع للرسوم التالية					
	مصر العتيقة	بولاق	الاسكندرية	رشيد	دمياط	السويس	مصر العتيقة	بولاق	الاسكندرية	رشيد	دمياط	السويس
				مليمى								
مقصات	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
مسامير	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
مسبحات خشب	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
قرمزية	—	—	—	٩٠ للبرميل	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
جوز الهند	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
حلويات	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
من البندقية	—	—	—	٤٥ للبرميل	—	—	—	—	—	—	—	—
بوصيرى	—	—	—	—	—	—	—	—	—	٦٠ للبرميل	—	—
مرجان	—	—	—	٩٠ للصندوق	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
حبال	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
منكاكين شمعية	—	—	—	٤٥ للبرميل	—	—	—	—	—	—	—	—
بوتقات للصاغة	—	—	—	٢٠ للبرميل	—	—	—	—	—	—	—	—
حلى من الزجاج والكريستال	—	—	—	٩٠ للصندوق	—	—	—	—	—	—	—	—

نحاس	—	—	—	٤٥ للبالة	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
مطهر للأذن	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
سن الفيل	٧ م الحمولة	—	—	٦٠ للبالة	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
سن السمك	—	—	—	٤٥ للجوال	—	—	—	—	—	—	—	—
أجواخ	—	—	—	٩٠ للبالة الصغيرة	شرحه	—	٩ - ٢٤ م للحمولة	—	—	—	—	—
ماء قرنفل	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
بخور	—	—	—	—	—	—	—	—	—	٣٠ـ٦٠ للبالة	—	—
دبابيس	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
اسفنج	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
قصدير	—	—	—	٩٠ للبرميل	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
أقمشة صوفية من بلاد البربر	—	—	—	٤٥ للبالة الصغيرة	—	—	—	—	—	—	—	—
فوانيس زجاجية من البندقية	—	—	—	٥ للسلة	—	—	—	—	—	—	—	—
زنك	—	—	—	٤٥ للبرميل	٦ ٪	—	—	—	—	—	—	—
حديد فى شكل قضبان	—	—	—	٢ للقضيب	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
تين	—	—	—	—	شرحه	—	٢ م للقفص	—	—	—	—	—
ورود اللاوندة	—	—	—	٣٠ للبالة	—	—	—	—	—	—	—	—

السلع	عندما تكون السلع قادمة من داخل مصر وتدخل المدن الموضحة فإنها تخضع للرسوم المبينة فيما يلى						عندما تخرج السلع من المدن الموضحة وتكون مخصصة للاستهلاك داخل مصر فإنها تخضع للرسوم التالية					
	مصر العتيقة	بولاق	الاسكندرية	رشيد	دمياط	السويس	مصر العتيقة	بولاق	الاسكندرية	رشيد	دمياط	السويس
				مدينى						مدينى		
فواكه جافة	—	—	—	—	—	—	٩ - ٢٤ م للحمولة	—	—	—	—	—
بنادق	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
زنجبيل	—	—	—	٦٠ للقفص	—	—	—	—	—	—	—	—
قرنفل	—	—	—	٩٠ للبرميل	—	—	—	—	—	—	—	—
صمغ الكثيراء	—	—	—	٢٠ للجوال	—	—	—	—	—	—	—	—
صمغ عرى	—	—	—	٦٠ للقفص	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
صمغ للطلاء	—	—	—	٩٠ للقفص	—	—	—	—	—	—	—	—
قطران	—	—	—	—	شرحة	—	—	—	—	—	—	—
زيت زيتون	—	—	—	١٠ للجرة و ٣٠ للصندوق	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
خلاصة العرقسوس	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—

مصابيح زجاجية	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
مشروبات روحية	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
محالب	—	—	—	٣٠ للبالة	—	—	—	—	—	—	—	—
رخام	—	—	—	٢٠ للصندوق	—	—	—	—	—	—	—	—
مربعات رخام	—	—	—	١ م للمربع	—	—	—	—	—	—	—	—
سلع فى صناديق	—	—	—	٩٠ للصندوق	—	—	—	—	—	—	—	—
جلد فاسى أحمر وأصفر	—	—	—	—	٦ ٪	—	—	—	—	—	—	—
مستكة	—	—	—	٤٥ للصندوق	—	—	—	—	—	—	—	—
زئبق	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
رحى طاحون	—	١٤م لكل٢	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
مرايا	—	—	—	٩٠ للصندوق	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
هاونات	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
موسلين	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
مر	—	—	—	٦٠ للقفص	—	—	—	—	—	—	—	—
صدف لؤلؤ	—	—	—	٤٥ للصندوق	—	—	—	—	—	—	—	—
بندق	—	—	—	١٥ للجوال	٦ ٪	—	—	—	—	—	—	—
عفصة	—	—	—	٢٠ «	—	—	—	—	—	—	—	—
جوز	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
زيتون	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—

السلع	عندما تكون السلع قادمة من داخل مصر وتدخل المدن الموضحة فإنها تخضع للرسوم المبينة فيما يلى						عندما تخرج السلع من المدن الموضحة وتكون مخصصة للاستهلاك داخل مصر فإنها تخضع للرسوم التاليـة					
	مصر العتيقة	بولاق	الاسكندرية	رشيد	دمياط	السويس	مصر العتيقة	بولاق	الاسكندرية	رشيد	دمياط	السويس
				مدينى						مدينى		
ذهب خام	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
ذهب براق	—	—	—	٩٠ للبالة	—	—	—	—	—	—	—	—
قرب للمياه	—	—	—	٤٥ للصندوق	—	—	—	—	—	—	—	—
شباشب واردالقسطنطينية	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
ورق واردجنوة	—	—	—	٢٢-٤٥ م للبالة	١½ م للرزمة	—	٩ - ٢٤ م للحمولة	—	—	—	—	—
« « البندقية	—	—	—	شرحه	٦ م للرزمة	—	شرحه	—	—	—	—	—
جلود مصبوغـة	—	—	—	٢٠ م للكوم	—	—	—	—	—	—	—	—
قداحات للبنادق	—	—	—	٢٠ للبرميـل الكبير	—	—	—	—	—	—	—	—
فستـق	—	—	—	٤٥ للصندوق	—	—	—	—	—	—	—	—
رصاص	—	—	—	٥ للسبيكة	٦ ٪	—	—	—	—	—	—	—
ريش النعام	—	—	—	٩٠ للصندوق	شرحه	—	—	—	—	—	—	—

فلفل	—	—	—	٩٠ للصندوق	٤٠ م لكل ١٠٠ رطل	—	—	٣٠ م للقنطار	—	—	—	—
خزف	—	—	—	٩٠ للبالة	٦ ٪	—	—	—	—	—	—	—
رصاص للبنادق	—	—	—	—	١٥ م للجرة	—	—	—	—	—	—	—
حدايد وخردة	—	—	—	—	—	—	٩ - ٢٤ م للحمولة	—	—	—	—	—
								—	—	—	—	—
جذور نبات الفوة	—	—	—	٢٠ للجوال	—	—	—	—	—	—	—	—
جذور السحلب	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—	—
عنب جاف	—	—	—	٢٠ للصندوق أو ١٠ للعلبة	—	—	—	—	—	—	—	
« « لصنع الخمور	—	—	—	٣٠ للبالة	—	—	—	—	—	—	—	—
راتنج	—	—	—	١٣م لكل ١٠ اقراص	٣٠ للبرميل	—	—	—	—	—	—	—
زعفران	—	—	—	—	٩٠ للجوال	—	—	—	—	—	—	—
سحلب	—	—	—	—	—	٦ ٪	—	—	—	—	—	—
فشاغ	—	—	—	—	٩٠ للبالة	—	—	—	—	—	—	—
صابون	—	—	—	—	٢٠ للصندوق أو الجوال	شرحه	—	—	—	—	—	—
حرير	—	—	—	—	٩٠ للبالة	—	—	—	—	—	—	—

السلع	عندما تكون السلع قادمة من داخل مصر وتدخل المدن الموضحة فإنها تخضع للرسوم المبينة فيما يلى						عندما تخرج السلع من المدن الموضحة وتكون مخصصة للاستهلاك داخل مصر فإنها تخضع للرسوم التالية					
	مصر العتيقة	بولاق	الاسكندرية	رشيد	دمياط	السويس	مصر العتيقة	بولاق	الاسكندرية	رشيد	دمياط	السويس
				مليمى						مليمى		
حراير	—	—	—	—	٩٠ للصندوق	—	—	—	—	—	—	—
منافيخ	—	—	—	—	٦ ٪	—	—	—	—	—	—	—
كبريت	—	—	—	٣٠ للبرميل الكبير	١٨م لكل ١٠٠رطل	—	—	—	—	—	—	—
أحذية	—	—	—	٤٥ للبالة	١½ م للزوج	—	—	—	—	—	—	—
تبغ وارد سوريا	—	—	—	—	٦ ٪	—	—	—	—	—	—	—
« « تركيا	—	—	—	٤٣-٨٠ للبالة	٤٨ م للقفة	—	—	—	—	—	—	—
أكياس نشوق	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
تفتاز	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
تمر هندى	—	—	—	—	٤٠م لكل ١٠٨رطل	—	—	—	—	—	—	—

سجاجيد للصلاة	—	—	—	٩٠ للبالة	٦ ٪	—	—	—	—	—	—	—
سجاجيد بوبرة ومساحات قطم	—	—	—	٤٥ للبالة	—	—	—	—	—	—	—	—
دردى	—	—	—	٩٠ للبرميل	—	—	—	—	—	—	—	—
تنباك	—	—	—	٤٥ للبالة	—	—	—	—	—	—	—	—
خراطيم للنارجيلة	—	—	—	١٠ للكوم	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
أكواب	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
نبيذ				٤٠ للبرميل الكبير	—	—	—	—	—	—	—	—
زجاج نوافذ	—	—	—	٣٠ للصندوق	—	—	—	—	—	—	—	—
أملاح معدنية	—	—	—	٣٠ للبرميل	—	—	—	—	—	—	—	—

٢ — سلع قادمة من داخل مصر

أبسنت جاف	—	—	—	١٠ للجوال	—	—	—	—	—	—	—	—
ثوم	١٣ م للجوال	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
شبة	٥م للقنطار	—	—	٩٠ للبرميل الكبير	—	—	—	٣٠ للجوال	—	—	—	—
ينسون	٨ م للأردب	—	—	٣٠ للجوال	—	—	—	—	—	—	—	—
أطباق	—	—	—	—	٦ ٪	—	—	—	—	—	—	—

السلع	عندما تكون السلع قادمة من داخل مصر وتدخل المدن الموضحة فإنها تخضع للرسوم المبينة فيما يلي						عندما تخرج السلع من المدن الموضحة وتكون مخصصة للاستهلاك داخل مصر فإنها تخضع للرسوم التالية					
	مصر العتيقة	بولاق	الاسكندرية	رشيد	دمياط	السويس	مصر العتيقة	بولاق	الاسكندرية	رشيد	دمياط	السويس
				مديني						مديني		
مراكب محملة بالمأكولات أو حطب الوقود	من ٤- ٤٤ عن المركب الواحد	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
سمن	٥—٤٠ م للجرة	٥ للجرة	—	٢٠ للجرة	—	—	—	—	—	—	—	—
قمح	٧ م للأردب	—	—	—	—	$\frac{1}{24}$ عيناو٢ م للأردب	١ م للأردب	—	—	—	—	—
أبقار	١٢ مديني للواحدة	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
خشب من الصعيد	٣٠ م للحمولة	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
طواقي بيضاء	واحدة من كل عشرة	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—

ثيران	—	—	—	—	—	٩٠م للثور	—	—	—	—	—	—
قصب السكر	٢٨٠ للمركب الكبير و ٢٥ م لـ الكل ١٠٠ حولة صغير.	٣٠ مدينى للحمولة	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
كزبرة	٤م للاردب	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
شيلان سوداء	—	٣م للواحد	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
شيلان من الفيوم	١٩ـ ٢٠.٦٢ لكل ١٠٠ شال	—	—	—	—	—	—	—	—	٤٥ للبالة	—	—
شمع من صنع البلاد	—	١٠٠ م للقنطار	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
حبال من لحاء الشجر	١٠ م للحمولة	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
قرون أبقار	—	١٦م للبالة	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
قرون ثيران	—	—	—	—	—	—	—	١٠ مدينى للحزمة	—	—	—	—
قطن على شكل لوزات	—	—	—	—	٦ ٪	—	—	—	—	—	—	—
قطن على شكل وبر	—	—	—	٤٥ للبالة	شرحه	—	٩ — ٢٤ م للحمولة	—	—	٤٥ للبالة	—	—
قطن مغزول	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	٩٠ للبالة	—	—

السلع	عندما تكون السلع قادمة من داخل مصر وتدخل المدن الموضحة فإنها تخضع للرسوم المبينة فيما يلي						عندما تخرج السلع من المدن الموضحة وتكون مخصصة للاستهلاك داخل مصر فإنها تخضع للرسوم التالية					
	مصر العتيقة	بولاق	الاسكندرية	رشيد (مديني)	دمياط	السويس	مصر العتيقة	بولاق	الاسكندرية	رشيد	دمياط	السويس
أغطية صوفية	١٢م لكل ١٠٠ قطعة	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
« قطنية	١٠٣½م لكل ١٠٠ قطعة	١٠-٢٥م للواحد	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
« للخيول	١م للغطاء	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
جرار كبيرة (بلاص)	—	—	—	—	٤٦م لكل ٤ بلاليص	—	—	—	—	—	—	—
جلود أبقار وجاموس	١٣٧½ لكل ١٠٠	—	—	—	٢م للواحد	—	—	١م للواحد	—	٣م للواحد	—	—
جلود من دمنهور	—	—	—	—	٢م للواحد	—	—	—	—	٣م للواحد	—	—
نحاس قديم	٣ — ٥٠م للقطعة	٢٤م للقنطار	—	٣٠م للبالة	٦ ٪	—	—	—	—	—	—	—
كمون	٦م للأردب	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—

بلح عجين (عجوة)	١٢- ٦٢م للقفة	—	—	١٠م للقفة	—	—	—	—	—	—	—	—
بلح جاف (تمر)		—	—	٢٢-٤٥م للصندوق	١٠ م للقفص	٢٤م للقفص	—	٣٠م للجوال	—	٤ للقطعة	—	—
ديميتى منقوش (أقمشة)	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
أعطية فراش مطرزة من دمياط	—	٢٠م للواحد	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
« « «	—	١٠م للواحد	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
عقاقير طبية	—	—	—	٦٠ للبالة	٦ ٪	—	٩—٢٤م للحمولة	—	—	—	—	—
ليف النخل	٥ م للقنطار	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
قشر الرمان	—	١٦م للبالة	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
أقمشة	—	—	—	—	—	—	٩—٢٤م للحمولة	—	—	—	—	—
أقمشة من دمياط والمحلة الكبيرة	—	١$\frac{٢}{٥}$م للقطعة	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
أقمشة عنبرى شغل الاسكندرية ودمياط	—	٢$\frac{1}{4}$م للقطعة	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
أقمشة صوفية	١٢٠ م لكل ١٠٠ قطعة	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
أقمشة صوفية سوداء	٤٧$\frac{1}{2}$ م لكل ١٠٠ قطعة	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—

السلع	عندما تكون السلع قادمة من داخل مصر وتدخل المدن الموضحة فإنها تخضع للرسوم المبينة فيما يلي						عندما تخرج السلع من المدن الموضحة وتكون مخصصة للاستهلاك داخل مصر فإنها تخضع للرسوم التالية					
	مصر العتيقة	بولاق	الاسكندرية	رشيـد	دمياط	السويس	مصر العتيقة	بولاق	الاسكندرية	رشيد	دمياط	السويس
				مدينى						مدينى		
أقمشة للحبرة من صنع المحلة	—	٢¼ م للقطعة	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
دقيق	٦ م للاردب	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
فول	٧ م للاردب	—	—	١٠ للأردب	—	—	—	—	—	—	—	—
فراء من الجلد	٩٠ إلى ٣٦٠ م للواحد	—	—	٩٠ للبالة	—	—	—	—	—	—	—	—
فوط وارد دمياط	—	١½ — ٥ للواحدة	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
جبن	٦ م للجرة	٢ - ٤٠ م للطرد	—	٢٠ للطرد	—	٢٤ م للحمولة	—	—	—	—	—	—
حنطه نابتة	٦ م للأردب	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
فواكه من الفيوم	٣ م للحمولة	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—

صمغ إنتاج محلى	٢٧٠ للقفة الكبيرة و ١٠ للصغيرة	٨٠ م للقنطار	—	—	—	—	—	٣٠ م للحصيرة	—	—	—	—
بذور القطن	—	—	—	—	—	—	٨ م للاردب	—	—	—	—	—
« اللفت	١٢م للاردب	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
« زُرعة	١ م للبالة	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
« النيلة	٢٠ م البالة	—	—	—	—	—	٣٦٠ م للاردب	—	—	—	—	—
« الكتان	½م للاردب	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
الرمان	—	—	—	—	٦ ٪	—	—	—	—	—	—	—
علف من أصناف مختلفة	¾ إلى ١٥ م للاردب	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
حب العزيز[1]	—	٩ م لكل ١٠٠ رطل	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
حناء	—	—	—	—	—	—	—	—	—	١٠ لكل جوالين	—	—
زيت الكتان	٥٠٠-٣م الجرة	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
زيت اللفت	—	—	—	—	٦ ٪	—	—	—	—	—	—	—
زيت السمسم	٥ — ٤٠ م الجرة	٣ـ ١٦م الجرة	—	١٥ الجرة	—	—	—	—	—	—	—	—

(١) درنات صغيرة تزرع فى مصر السفلى وتقترب فى مذاقها من الكستناء .

السلع	عندما تكون السلع قادمة من داخل مصر وتدخل المدن الموضحة فإنها تخضع للرسوم المبينة فيما يلى						عندما تخرج السلع من المدن الموضحة وتكون مخصصة للاستهلاك داخل مصر فإنها تخضع للرسوم التالية					
	مصر العتيقة	بولاق	الاسكندرية	رشيد	دمياط	السويس	مصر العتيقة	بولاق	الاسكندرية	رشيد	دمياط	السويس
				مدينى						مدينى		
حبوب النيلة وارد الصعيد	٢٦ م القنطار	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
« « « القاهرة	—	—	—	—	—	—	٥ م القفة	—	—	—	—	—
سمار لصنع الحصر	١١ م الحمولة	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
صوف	—	—	—	٢ للكر قنتين	—	—	٩ - ٤٤ م الحمولة	—	—	—	—	—
عدس مجروش	—	—	—	—	—	—	٦ م الأردب	—	—	—	—	—
كتان	٢ م للبالة	—	—	٣٠ للبالة	—	—	—	—	—	—	—	—
خشن	—	—	—	—	٢٥ م القنطار	—	—	—	—	—	—	—
كتان مغزول	٥ م الحمولة	—	—	٢٠ للبالة	—	—	—	—	—	—	—	—
كتان على شكل رزم	١٠٠ الكل ٢٠٠ حزمة	—	—	١٠ للحزمة	—	—	—	—	—	—	—	—
كتان معبأ فى أجولة	—	—	—	—	—	—	—	—	—	٨ ـ ١٥ م للجوال	—	—
مكرونة وشعرية	—	—	—	—	—	—	٥ - ٢٤ م للحمولة	—	—	—	—	—

سلع من كل نوع مصدرة إلى مصر العليا	—	—	—	—	—	—	٩-٢٤م للحمولة	—	—	—	—	—
قدور من الفخار	—	—	—	—	٦ ٪	—	—	—	—	—	—	—
عسل اسود	٥-٣٦م الجرة	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
شمام	٦٠ - ١٢٠ م للبرميل الكبير	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
عسل نحل	٥ - ٤٠ م الجرة	٢ - ٢٥ م الجرة	--	٢٠م الجرة	—	—	—	—	—	—	—	—
مناديل حرير للسيدات	—	٥م الواحد ٢٥ لكل ١٠٠	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
خراف	—	—	—	—	—	كيلو لحم عن كل واحد	—	—	—	—	—	—
حصر من الفيوم	٢م الحمولة	—	—	—	—	—	٢٥ م لكل ١٠٠ حزمة	—	—	—	—	—
بيض	بيضة ومديني لكل ١٠٠	٥م للسلة	—	—	—	٢٤ م الحمولة و ٥٠ بيضة لكل قفصين	—	—	—	—	—	—
بيض وارد جرجا	١٤٦م للقفص	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—

السلع	عندما تكون السلع قادمة من داخل مصر وتدخل المدن الموضحة فإنها تخضع للرسوم المبينة فيما يلى						عندما تخرج السلع من المدن الموضحة وتكون مخصصة للاستهلاك داخل مصر فإنها تخضع للرسوم التالية					
	مصر العتيقة	بولاق	الاسكندرية	رشيد (مدينى)	دمياط	السويس	مصر العتيقة	بولاق	الاسكندرية	رشيد (مدينى)	دمياط	السويس
بصل	٢ مدينى الجوال	—	—	—	—	٢٤ م الحمولة	—	—	—	—	—	—
برتقال	—	—	—	—	٤٠ م الصندوق	—	—	—	—	—	—	—
شعير	٧ م الاردب	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
بطيخ	٥ م الحمولة	—	—	—	—	٢٤ م الحمولة	—	—	—	—	—	—
جلود ماعز	٩ م البالة	٨ م للبالة	—	٣٠ الحزمة	—	—	—	—	—	—	—	—
جلود خراف	٩ م البالة	٨ م للبالة	—	—	٣ مدينى لكل ١٠٠ جلد	—	—	—	—	—	—	—
جلود رقيقة	—	١ م لكل ٢	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
جلود طازجة	—	$\frac{5}{8}$ م للواحد	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
حجر كدان (حجرهش)	٢٠ قرشا للبالة	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—

سمك مملح	—	—	—	—	—	—	٩- ٢٤م للحمولة	—	—	—	—	—
سمك جاف	١٠ ٪	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
دجاج	—	٢م للقفص	—	—	—	دجاجة لكل قفص	—	—	—	—	—	—
عنب	—	—	—	—	٦ ٪	—	—	—	—	—	—	—
مواقد فخارية	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
عرقسوس	٣٠- ١٢٦م م للبالة	—	—	١٠ للقفة	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
أرز	—	٢½ - ٥ مديني للجوال	—	—	—	—	٦٠م الأردب	—	—	١¼ إلى ٢٠ م للجوال	—	—
زعفران	١ رطل للقنطار ١ مديني للبالة	—	—	—	—	—	—	—	—	٩٠ للبالة	—	—
ملح البارود	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—			
ملح	—	—	—	—	٢ م الأردب	—	٩ إلى ٢٤ م الحمولة	—	—	—	—	—
ملح النوشادر	—	١ ٣/٢ م للقالب	—	—		—	—	—	—	٦٠ البالة	—	—

السلع	عندما تكون السلع قادمة من داخل مصر وتدخل المدن الموضحة فانها تخضع للرسوم المبينة فيما يلى						عندما تخرج السلع من المدن الموضحة وتكون مخصصة للاستهلاك داخل مصر فانها تخضع للرسوم التاليــة					
	مصر العتيقة	بولاق	الاسكندرية	رشيد	دمياط	السويس	مصر العتيقه	بولاق	الاسكندرية	رشيد	دمياط	السويس
				مدينى						مدينى		
ملح الشبة	٥ م القنطار	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
ملح البارود	—	—	—	—	٦ ٪	—	—	—	—	—	—	—
ملح النطرون	٤٠ م الحمولة	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
سنامكى	١٢م الحصيرة	—	—	—	—	—	—	—	—	٩٠ البالة	—	—
خيش	—	—	—	٢٠ البالة	—	—	—	—	—	٢ اللفة	—	—
سمسم	١٥ م الأردب	١٠ م الأردب	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
سكر	٣½ إلى ٢٢م القنطار	—	—	—	—	—	—	—	—	٤٥ البالة	—	—
أحزمة سرج صوفية	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
تبغ إنتاج محلى	٢٠ إلى ٢٧٠ م البالة	١٠ - ٣٠م البالة	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
قشر بلوط لتجهيز الجلود	٤ م الأردب	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
فناجين من الخزف	—	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
لوازم الخياطة	—	—	—	—	٤٥م البالة	—	—	—	—	—	—	—
أقمشة بيضاء	—	—	—	—	—	—	—	—	—	١ للقطعة	—	—

نشة زرقاء	—	—	—	--	—	—	—	—	—	١ للقطعة	—	—
« قطنية	—	١½ — ٤ م القطعة	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
« كتانية	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
« ناعمة	٤ — ١٤ م لكل ١٠ قطع	—	—	—	شرحه	—	—	—	—	—	—	—
نارات السيدات (خمار)	—	٢¼ م للواحد	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—

ولكى تصبح الفكرة التى نقدمها عن تجارة مصر تامة ، كان لزاما علينا ان نقدم فى جدول اخير الارقام الدقيقة لعوائد الجمارك ، بالاضافة الى قيمة وحجم وطبيعة الواردات والصادرات التى تمت هناك خلال الاثنى عشر عاما التى سبقت وصولنا الى هذه البلاد ، وان كان المديرون الفرنسيون الذين عيناهم فى كل ديوان عقب وصولنا ، لم يقدموا لنا بشكل يبعث على الرضـــا ، ما طالبناهم به من بيـــانات مستخلصة من السجلات التى كانت توضـــح دخول وخروج السلع خلال هذه الحقبة من الزمن . وقد أخبرنا المدير الفرنسى لجمرك الاسكندرية ان مراقبى الصحة قد احرقوا أوراق سلفه واوراق الجمرك كله لان سلفه هذا قد مات اثر اصابته بالطاعون . اما مديرا جمركى دمياط والسويس فقد سلما الينا بيانين لا يشيران مطلقا الى قيمة او طبيعـــة او حجم السلع الموردة او المصدرة ، وان كنا نستطيع استنادا اليهما ان نتعرف فقط على حصيلة الرسوم التى حققها هذان الجمركان منذ العام ١٢٠١ وحتى العـــام ١٢١٢ من الهجرة أى العام السادس من قيام الجمهورية الفرنسية (١٧٩٧) ، وبيان هذه الحصيلة كما يلى :

السنة الهجرية	دمياط			السويس	
	واردات	صادرات	إجمالى	واردات	صادرات
	مديني	مديني	مديني	مديني	
١٢٠١	٨,٤٢٧,٩٠٧	٥٣٢,٠٠٣	٨,٩٥٩,٩١٠	٤١,٦٥٧,٥٢٧	لم تكن الصادرات تخضع لأى رسوم
١٢٠٢	٨,٩٠٧,٥٤٠	٨٤٥,٢٤٤	٩,٧٥٢,٧٨٤	٤٣,٣٧٥,٩٤٣	
١٢٠٣	٨,٠٠٦,٩٢٠	٦٨٨,٧٢١	٨,٦٩٥,٦٤١	٥٠,٠٩٦,٦٨٢	
١٢٠٤	٧,٣٨٣,٠٨٥	١,٣٠٩,١١٣	٨,٦٩٢,١٩٨	٢٨,٤٨٤,٣٥٨	
١٢٠٥	—	—	—	٣٥,١٧٦,٨٩٩	
١٢٠٦	١٠,٧٥٨,٩٨٤	٣,٠٢٤,١٠١	١٣,٧٨٣,٠٨٥	٣٩,٥٢٦,٤٩٢	
١٢٠٧	١٢,٠٢٨,١٧٧	٤٦٦,٣٠٢	١٢,٤٩٤,٤٧٩	٤٣,٧٨٣,٢٩٢	
١٢٠٨	٩,٦٣٥,٤٠٥	٣١٢,٨٨٢	٩,٩٤٨,٢٨٧	٢٧,٣٥٧,٢٨٦	
١٢٠٩	١١,٨٩٥,١٠٨	٨٣,٦٨٨	١١,٩٧٨,٧٩٦	١٧,٢٥٤,٩٨٥	
١٢١٠	١٣,٨٠٢,٧٤٥	٨٧٣,٣١٧	١٤,٦٧٦,٠٦٢	٤٤,٣١٠,٨٥٨	
١٢١١	١٤,٦٣٣,٧٢٨	٢,٠٣١,٤٥٦	١٦,٦٦٥,١٨٤	٣٦,٥٩٤,٦١٢	
١٢١٢	١٠,٧٣٧,٤٨٨	٦٤٥,٢٣٢	١١,٣٨٢,٧٢٠	٣٤,٤٩٥,٥٧٥	
	١١٦,٢١٧,٠٨٧	١٠,٨١٢,٠٥٩	١٢٧,٠٢٩,١٤٦	٤٤٢,١١٤,٥٠٩	
المتوسط السنوى	١٠,٥٦٥,١٩٠	٩٨٢,٩١٤	١١,٥٤٨,١٠٤	٣٦,٨٤٢,٨٧٦	

ملاحظـــات :

(١) لم تحقق السنة القمرية ١٢٠٥ من الهجرة أى عائد فى دمياط لأنها واحده من السنوات التى اكتشف المحاسبون المصريون انهم يفقدونها كل ٣٣ سنة لأنهم لا يقدرون الضرائب الا بحساب السنوات الشمسية . ومع ذلك فلم تكن أى من هذه السنوات القمريه الاثنتى عشرة فيما يختص بجمــــرك السويس هى تلك التى تفقدها الادارة التركيه للجمرك كل ٣٣ عاما بالمثل .

(٢) اذا كان المماليك يجنون فى السنوات الاخيرة ستة ملايين من التزام الجمارك ، كما أكد لنا البعض ذلك ، فلابد أن رجال الجمارك كانوا يرتكبون الكثير من المظالم ، اذ أن حصيلة الرســـوم المسجلة ، وفقا لمــا لدينا من بيانات ، لم تتجاوز أكثر من ثلاثة ملايين .

وتساوى معا ٩٨٠ر٣٩٠ر٤٨ مدينى ٩٨٠ر٣٩٠ر٤٨

ويزعم تجار القاهرة أن حصيلة جمرك الاسكندرية

هى نفسها تقريبا نفس حصيلة جمرك دمياط ، واذا

تبنينا هـــذا الرأى نجـــد لدينـــا ١٠٤ر٥٤٨ر١١

الرسوم المحصلة فى الجمارك بما فيها عوائد جمركى

بولاق ومصر العتيقة والتى يقال انها تصل الى

نحـــو ٠٠٠ر٠٠٠ر١٥

فلا تنتج ســـنويا ســـوى ٠٨٤ر٩٣٩ر٧٤

تعادل بالجنيهات الطورية ١٨ ر٣٥٣ر٦٤٣ر٢(١)

وبالفرنكات ٩٠ ر٧١٩ر٦١٠ر٢

ثانيـــا ـــ رســـوم متفرقة

أما الرسوم الأخرى التى أنشأها السلطان سليمان ، نهى تلك التى نوضحها فى الجدول التـــالى :

البحرين : وهو خاص بأوجاق العزبان والذى

يدفع عنه لخزينة السلطان ميرى قـــدره . . . ٩٩٢ر٩٦٤(٢)

الخـــردة : وهـــو خاص بنفس الأوجـــاق الذى

يســـدد عنه ميرى قـــدره ١٧٤ر٩٠٨

رسوم على لبـــنط العنبر والسنامكى وهى

---

(١) كان المماليك فى المدة الأخير يحصلون ضرائب من الجمارك تصل إلى ستة ملايين – كما ضمنا نحن ذلك لأنفسنا .. وطبقنا لرؤيتنا الخاصة ، فقد كانت الرسوم المدونة لا تصل إلى ثلاثة ملايين ، وعلى ذلك فقد استخدم موظفى الجمارك نوعا من الابتزاز والضغط

(٢) لكن هذا الاوجاق لم يكن يدفع عن هذا الرسم من مال مـــيرى سوى ٩٩٢ر٨٠٤ مدينى ، لأن الباشا قد استجاب لطلبات هـــذا الأوجاق وأعفاه من مبلغ ٠٠٠ر١٦٠ مدينى .

(وكانت هذه ملاحظة وضعت بجوار الارقام ، وقد حولتها الى هامش زيادة فى التبسيط . المترجم)

خاصة بأوجاق الانكشارية الذى يدفع عنها مال ميرى
قـــــدره ٩٠.١٦٦٦ر٩٠.١
رسوم على الجزارين فى الاسكندرية وتخص
أوجاق الجاويشية الذى يدفع عنها ميرى قـــدره ٢٥٦ر٤٣

اجمالى المال الميرى المقرر على هذه الرسوم ٥٨٨ر٨١٨ر٢ مدينى

	د	س	
تعـــادل	٢	١٧	٦٦٣ر١٠٠ جنيها توريا
وبالفرنكات		١٤	٤٢١ر٩٩ فرنكا فرنسيا

ومن المفترض ان رسوم البحرين قد وصلت الى القيمة التى وجدناها عليها عند وصولنا الى مصر ، عن طريق زيادات متتابعة . وقد وجـدناها تنقسم الى خمسة فروع : الأول والثانى والثالث وتشتمل على رســـوم الغـــلال التى تصل الى بولاق ومصر العتيقة ، أما الرابع والخـــامس فيشتملان على رسوم على كل المراكب التى تعمل على النيل وفى الثغـــور والبحـــيرات .

وكانت الخردة تحصـــــل على عروض اللهو العمـــومية والمهرجين والمشعوذين والعوالم والطبالين وكذلك على الاضرحة وعلى كل الصـــناع والتجار فى مدن كثيرة . وهذه الرسوم المضمنة داخل هذا البند والتى كانت تتضاعف دونما حد فى عهد البكوات لم تكن معروفة على ســـبيل الحصر بالنسبة للادارة الفرنسية ذلك أنه عندما انشىء التزام لهذه الأنشطة لم يوضح ما كان يحصل منها لسداد الميرى المستحق عنها .

أما الرسوم المقررة على لب السنط والسنامكى فتعطى (لدافعهـــا) الحق المطلق فى حصد هذين المحصولين وبيعهما . وينمو السنامكى تلقائيا عند مداخل الصحراء الممتدة الى جنوب اسوان . وكان يعهد بحق جمعـــه عادة الى أشخاص يقومون بتداوله كسلعة تجـــارية . وكانت المراكب المستخدمة فى نقل هذا العقار الطبى تتمتـــع ببعض الاعفـــاءات . وفى السنوات الأخيرة ، كان ثمة عائلة واحدة من اسنا تتعامل مع ملتزم الحكومة بخصوص جمع لب السنط ونقله الى القاهرة . وسواء يعود الأمر الى نقص فى الانتاج أو تم بسبب مضاربات كانت تستهدف رفع سعره فقد أصبحت

شحناته أقل حجما ، ذلك أن مصر كانت تهيىء لاوربا فيما مضى أكثر من الف وخمسمائة قنطار من السناكى فى حين تقلصت صادراتها الحالية منه الى ٨٠٠ أو ١٠٠٠ قنطار فقط . وكان لب السنط يخضع لنفس الاحتكار ، وكان ملاك الأشجار التى تنتجه مضطرين لبيعه للملتزم الذى حصل على حق التزامه من البكوات . وقلما كان يصدر الى العالم المسيحى لب السنط الذى تنتجه مصر ، اذ هو اقل جودة بكثير من ذلك الذى يصلنا من المستعمرات لأنهم فى مصر يجمعونه قبل تمام نضجه ، وتكاد تركيا تستهلك كل انتاجه .

وتتكون الرسوم المفروضة على جزارى الاسكندرية والقاهرة من أطراف وجلود ورءوس .. الخ الحيوانات التى تذبح هناك .

وقد أصبحت الحصيلة الموضحة فى الجدول الآتى بيانه مادة لالتزام مشابه للالتزام الذى انشىء للرسوم التى انتهينا من الحديث عنها بمجرد أن اقرها السلطان ، عندما اقر أولئك الذين استحدثوها على دفع ميرى عنها .

وسندخل فى بعض التفاصيل حول هذه الرسوم لأن البيانات الواردة بالجدول قد لا تكون كافية للتعريف بها .

	الميرى المقرر على الملتزمين	أماكن تحصيله
على دمغ الذهب والفضة . .	١٠ر٤٠٠	فى القاهرة
على مبيعات العبيد السود . .	١ر٦٢٢	»
على الحمامات التركية الخاصة .	١٢ر٦٨٥	»
على صنع ملح النوشادر . .	١ر٥٠٠	فى بولاق
على وكالة الزعفران . .	٥ر٠٠٠	»
على سبعة محلات جزارة لبيع الضأن	٥٠٠	»
على وكالة السمك المملح (السردين والفسيخ)	٣١٢	»
على الصيد فى البحيرة . .	٤٤ر٧٨٣	فى دمياط
على شيخ الدلالين . . .	١٥ر١٤٣	فى رشيد
على وكالة الباشا . . .	١ر٠٨٢	فى رشيد
على وكالة البهار . . .	٦٣ر٠٠٥	فى السويس
على الموقع الذى تصل إليه مراكب النيل	١٠٠	المحلة الكبيرة

	الميرى المقرر على الملتزمين	أماكن تحصيله
على وكالات القطن :		
. . .	١٣ر٢٣٦	فى بولاق
. . .	٥٠٠	فى دمياط
. . .	١ر٠٨٢	فى رشيد
على وكالات الأرز :		
. . .	١٨٢ر٢٢٥	فى دمياط
. . .	١ر٠٨٢	فى رشيد
الإجمالى . .	٣٥٤ر٢٥٨	ويعادل ٥ د ١ س ١٢و٦٥٢ جت وبالفرنكات ٩٠ س ١٢,٤٩٥ ف

وكان الرسم المقرر على دمغ الذهب والفضة يذهب الى ملتزم يحصل على اتاوة تفرض على تصنيع هذين المعدنين ، وكان هذا الملتزم يرسل قطع الذهب والفضة بعد أن يستوثق من انهما بالعيار المطلوب – الى دار سك النقود حيث يختمها الاغا بخاتم الدمغة الذى فى حوزته . وكان الملتزم يجرى اختبارا للعمال الذين يريدون احتراف مهنة الصاغة ، ويفرض رسما على من يقبلهم داخل هذه الحرفة . وكانت عوائد هذا الرسم فى مدن الاسكندرية ورشيد ودمياط والمنصورة وبلبيس والسويس تدخل فى دائرة التزامه ، وكان يحصل هذه العوائد بنفسه فى القاهرة حيث كان كل الصاغة فيما مضى يلزمون بالعمل هناك تحت رقابته فى وكالة واحدة .

وقد بدأ الصاغة محاولتهم التملص من هذه العادة التى تهدف الى منعهم من تزييف أو تحريف صنف المجوهرات والمصنوعات الذهبية التى يتداولها الناس حين حصلوا على اذن يسمح لهم بالعمل فى بيوتهم ، وبعد ذلك بدىء فى التغاضى عن تلك الضرورة التى كانت توجب عليهم أن يخضعوا مصنوعاتهم لدار سك النقود ، ومع ذلك فحين أخذ سكان الريف ينفرون من شراء أشياء ذهبية أو فضية غير مضمونة ، فقدالتمس الملتزم الاذن له بحمل خاتم دمغة خاص به ، وحين تحقق له ذلك بدأ القوم يقبلون

بكل ثقة — وقد خدعهم التشابه بين هذه الدمغــة وبين الدمغة القـــديمة — على شراء مجوهرات وحليا طبعت عليها هذه الدمغة ، وهكذا بدات اشـــياء تبـــاع باعتبارها ذهبا أو فضة خالصين فى حين أن تسعة أعشار سبيكتها مزيف ، وهكذا ايضاً بدانا نرى الملتزم متواطئا مع الصاغة ليثرى بفعل هذه الخيانة الصارخة .

وبالمثل فقد كان الرسم المقرر على بيع العبيد حكرا على أحد الملتزمين، فلم يكن بالامكان بيعهم الا فى وكالة بعينها ، حيث كان وكيل هـــذا الملتزم يحصل على الرسم مقابل تسليم الحجة اللازمة لتسجيل البيع . وكان من الضرورى ان يوقع الملتزم هذه الحجة التى تبين جنس واسم العبد ، ومكان واسم البائع والمشترى ، وكانت تنتقل الى ايدى من يتناولون شراءه بعد ذلك، ثم تسلم الى العبد نفسه عندما يمنح حريته . وكان يكفى اعلان بعتقه يتم فى حضرة شهود ، كى يجعله متمتعا بكافة الحقوق الممنوحة لكل رعايا السلطان، ولم يكن هناك سوق ولا رسوم بالنسبة للعبيد البيض لأن المماليـــك الذين لا يتكاثرون الا عن طريق الشراء (*) كانوا يجدون من مصلحتهم أن يسهلوا عملية البيع .

أما رسم حمام الخاصة فيستمد اسمه اصــــلا من تلك الكراهية التى سيطرت طيلة الأزمان بين الأتراك وابنـــاء القـــاهرة ، لذلك فقد أمر أحد البكوات بانشاء حمام عند سفح القلعة كى يتفادى المشاجرات التى كانت تنشب بين رجاله وبين المصريين فى الحمامات حيث كان الوضوء الذى حتمه القرآن يجذب الى هناك هؤلاء وأولئك . وقد عهد بملكية هذا الحمام الذى بنى لتفادى هذه اللقاءات الى أحد الملتزمين شريطة أن يجعل اســـتخدامه مقصورا على الأتراك . لكن صيانة هذا الحمام لم تكن تقع على عاتقه.

وكانت ١ر٥٠٠ مدينى يدفعها للخزينة ملتزم ملح النوشادر تكفى لمنحه امتيازاً تاما بصنع هذه المادة وبيعها ، وفيما مضى كانت توجد عدة مصانع مشابهة فى مصر السفلى ، لكن الامتياز الذى منح لمصنع بولاق قد الـــغى وجـــودها .

(*) تذكر بعض دراسات فى وصف مصر أن جو مصر لم يكن مناسبا لهؤلاء ، مما كان يترتب عليه أنهم لا ينجبون أو أن تموت الغالبية العظمى من ذريتهم . انظر المجلد الاول من الترجمة العربيـــة ، الفصل الخـــاص بالمماليك . (المترجم)

أما زعفران مصر العليا القادم الى القاهرة ، فلم يكن بالمستطاع أيداعه الا فى وكالة تسمى وكالة الزعفران ، وتقع فى بولاق ، وكان يباع هناك بعد أن يجبى مالكها الرسوم المقررة عليه والتى كانت تجعل من حقه تلك الالاف الخمسة من المدينى ، التى كان يسددها للخزينة .

وكان الميرى المقرر على محلات الجزارة السبع ، لبيع الضأن يمنح أصحابها الحق فى بيع هذه السلعة الغذائية ببولاق بدون منافسة .

وتصل الى بولاق كمية هائلة من السمك المملح القادم من دمياط . ويتمتع صاحب الوكالة التى ينبغى أن يباع فيها ، بعد دفعه ميرى يبلغ متوسطه ٣١٢ مدينى يسدده للخزينة بحق تحصيل بعض رسوم بسيطة يدفعها اليه تجار السمك .

أما الصيد فى بحيرة دمياط (المنزلة) ، فهو احتكار كامل ، يدفع الملتزم عنه لخزانة السلطان ميرى قدره ٤٤ر٧٨٣ مدينى .

وقد استحدثت فى رشيد ،تقليدا لما هو حادث فى القاهره ، وظيفة شيخ الدلالين ، ويقوم هذا الرجل بتحصيل رسم على كل السماسرة الذين يقومون ببيع الملابس والبياضات والهلاهيل فى الأسواق العامة .

وكانت السلع التى تصل الى رشيد ، والتى كانت تودع فى وكالة الباشا ، تخضع لدفع رسم يسمى رسم اقامة لصالح ملتزم هذه المنشأة .

اما السلع التى كانت تصل الى السويس فلم يكن بالمستطاع تخزينها الا فى وكالة البحار حتىتقوم القوافل بنقلها الى القاهرة ، ومقابل هذا التخزين، كان يتم تحصيل رسم لحساب الباشا ، على يد كاتب يرسله الى السويس للتعرف على أحجام الواردات ، وهذا الرسم مستقل عن المصروفات الجمركية .

وتخضع المراكب التى تقوم بالملاحة النيلية والتى تصل الى المحلة الكبيرة لدفع رسم بسيط لصالح الملتزم الذى يدفع عنذلك مبلغ الـ ١٠٠ مدينىالمقرر كمال ميرى مقرر (على حصيلة هذا الرسم) .

وينطبق ما قلناه عن وكالة الزعفران ببولاق على وكالات القطن والارز الواقعة ببولاق ودمياط ورشيد . ولم يكن بمقدور هذه السلع أن تودع وأن تباع الا فى هذه المخازن حيث كان الملتزمون الذين يقومون بدفع الميرى المقرر والمبين (بالجدول) يحصلون على رسوم ايجار أو اقامة أنشئت لصالحهم .

وعادة ما كانت الجمارك (الصغرى) والرسوم المتفرقة الاخرى التى انتهينا من تناولها والتى انشأها السلطان سليمان ، أو تلك التى أدخلها خلفاؤه توكل الى أفراد كانوا هم ملتزميها . وحيث أن الباشا والاوجاقات الذين كانت هذه الرسوم قد فرضت فى الأصل لصالحهم قد بدأوا يفقدونها على التوالى ، رسما بعد آخر ، بسبب تزايد سطوه البكوات ، فقد باتت هذه الرسوم غنيمة للمماليك الذين كانت لهم القوة والنفوذ والاعتبار ، ومع ذلك فان هؤلاء المماليك ، على ما يبدو ، لم يغيروا من اغراض تلك الرسوم أو اهدافها ، لأن هؤلاء حين شغلوا الرتب العليا فى كل أوجاق لم يخصوا أنفسهم بتلك العوائد التى آلت اليهم الا باعتبارهم قد خلفوا الذين كانوا يشغلونها قبلهم ، وبخضوعهم كذلك لدفع الميرى (المقدر على حصيلة هذه الرسوم) .

وكانت توجد بالاضافة الى هذه الرسوم ، رسوم اخرى لم تكن تخضع لدفع الميرى ، وليست لها اية صلة بخزانة السلطان ، ومع ذلك فحيث كانت تشكل فيما يبدو جزءا من رواتب البكوات وآخرين من قادة المناطق ، وهم الذين انشأوها ، وحيث اعتاد الناس على سدادها ، فقد وضعها الفرنسيون فى مرتبة الرسوم التى انشأها او اقرها السلطان ، وواصلوا تحصيلها ، وسنوضحها فى الجدول التالى : ولقد كانت لهذه الرسوم نفس طبيعة الرسوم التى تخضع لدفع الميرى . ولم يكن هناك فرق بين هذه وتلك الا فى أن الاخيرة كان قد أقرها السلطان ، فى حين لم تكن تنقص الأخرى سوى موافقته .

وسنقدم بعض التفاصيل حول الرسوم التى لا تتيسر معرفتها على النحو الكافى فى البيانات الموضحة بالجدول .

بيان الرسوم	الأماكن التى تحصل فيها
رسم قاصر على بيع الملح . . .	فى بولاق
رسوم تسمى رسوم الاسكاليات وتفرض على السلع التى تصل فى مراكب قادمة من القرى الواقعة على شواطى الفرع الشرقى للنيل فى مصر السفلى	»
رسوم سبك الفضة :	فى القاهرة
» على سوق الأغنام ودواب الحمل .	»
» على دباغة الجلود وتبيض الأقمشة .	»
» على نقش الأقمشة البلدية . .	»

بيان الرسوم	الأماكن التي تحصل فيها
رسوم على احتكار يقتصر على النطرون	في الطرانة بولاية البحيرة
« على الصيد :	
في النيل	في القاهرة وبولاق ومصر العتيقة
في بحيرة المعدية	في الإسكندرية
في البوغاز	في رشيد
« على صنع وبيع المشروبات الروحية	في القاهرة والاسكندرية ودمياط والمحلة الكبيرة
« تسمى السردارية والجاويشية أو رسوم الحاكم	في دمياط ورشيد
« الحلة أو رسوم على الأسواق	في رشيد ودمياط والمحلة الكبيرة وسمنود والمنصورة
« احتساب أو رسوم على السلع الغذائية الداخلة إلى	الإسكندرية ، رشيد ، المحلة الكبيرة
« على الحبوب التي تدخل إلى الى المدن الموضحة لكي تباع هناك	باب الشعرية، وهي سوق القاهرة، الإسكندرية ، ودمياط ، رشيد
« تسمى إيجار أو إقامة وتقرر على السلع الموضحة وتحصل في الوكالات المسماة :	
الصابون وبذور النيلة	في القاهرة
السكر	في بولاق
الأرز	«
النيلة	«
بذور البرسيم والكتان والزعفران	«
تقاوي هذه المحاصيل	«
زيت الكتان	في دمياط
البلح الجاف (التمر)	«
« تحصل عند دخول القطن	في بولاق ودمياط والمنصورة
« على خروج الأقمشة المصنوعة	في المحلة الكبيرة
« على الحبوب والكتاكيت التي أفرخت في المعامل	

ولا يصنع الملح الا على سواحل مصر السفلى وبخاصة فى رشيد. وكان الفلاحون الذين يلتقطونه الملتزمون بتسليمه بسعر محدد الى ملتزم عينته الحكومة ، كان هو — صاحب الامتياز الوحيد فى توزيعه فى بولاق بسعر اعلى ، لكنه محدد بالمثل . وقد الحقت بهذا الامتياز رسوم لم يكن هناك حد لزيادتها على الماكولات والاعلاف والمواشي والفواكه .. الخ التى تباع فى اسواق عدد كبير من القرى . وليس لدينا ما يفسر هذا الخلط والتعقيد فى سياسة فرض الرسوم ، و يعتقد البعض ان احتكار الملح كان يدخل فيما مضى ضمن الخردة ، وان الزيادات المستجدة التى الحقت بهذا الرسم (الخردة) هى التى جعلته هائلا لهذا الحد ، وعندما تم تقسيم هذا الرسم بين اثنين من المماليك الاقوياء فان الذى جاء احتكار الملح منهما ضمن نصيبه ، لم يعد ملزما بدفع الميرى .

وكان يتم تجهيز الذهب والفضة المخصصين لاعمال التطريز وغيرها من الأشغال ، فى مكان يتوفر به كل ما هو ضرورى لذلك ، ويدفع الصانع الذى يشتغل فيهما للملتزم رسما يعرف باسم كحل الفضة . أما الرسوم التى تفرض على سن الفيل واصداف الحلى وقرون الكركدن الخ فكانت تحمل نفس هذا الاسم دون أن ندرك ما الذى يجمع بين اشياء كهذه لا تربطها فيما بينها اية رابطة .

ويؤخذ النطرون من البحيرات التابعة لقرية الطرانة ، ويدفع الفلاحون الضرائب المقررة عليهم (عينا) من هذا الملح ، وهم بذلك يزودون الملتزم بدخل اكيد ، اذ ان كل قرى مصر السفلى كانت ملزمة بشراء كمية محددة منه سنويا وبسعر محدد . ومنذ بضع سنوات ، حين اصبحت فرنسا وايطاليا وانجلترا تتزود بالنطرون من مصر ، أعطى البك الملتزم التزام تحصيل رسم النطرون الى المسيو روزتى Rosetti التاجر البندقى الذى توسع فى استغلال النطرون بدرجة هائلة ، والذى كان يبيعه فى اسواق التجارة الخارجية بسعر أدنى من السعر الذى يفرضه على أبناء البلاد وينظر الى النطرون فى مصر ، باعتباره مادة ذات ضرورة أولية ، بسبب استخدامه فى تبييض الكتان والأقمشة .

ولم تكن المشروبات الروحية والمسكرة عموما تصنع الا فى بيوت الأقباط واليهود ، ولم يكن بوسع الحكومة أن تبيح تداولها اذ يحرم القرآن

تناولها على المسلمين ، لكن اغا الانكشارية ، بعد ان حصل على اتاوات هائلة ، لم يكن ليخشى على الاطلاق ان ينتهك شريعة النبى ، وبدأ يتغاضى عن بيعها داخل حانات غير ظاهرة .

وقد يستحيل علينا أن نجد ضربا من ضروب الصناعة او التجارة يعفى من رسوم مشابهة أو مماثلة لتلك التى انتهينا من التعريف بها . وكان الملتزمون والبكوات والسردارات والاغوات حكام المواقع يضاعفون من هذه الرسوم فى المناطق التى تخضع لسلطتهم ما أن يجدوا الفرصة سانحة لذلك . من هنا كان هذا التعقيد المحير والذى لا يدع لنا الوسيلة الواضحة لتبين الاعباء التى اثقل بها هؤلاء واولئك كاهل المصريين . وكانت الرسوم التى يفرضها الملتزمون على مواد الاستهلاك فى قراهم ضئيلة الأهمية، وتعرف باسم حملة. وعلى العموم فلقد كانت تكبل التاجر والزارع فى كل خطوة يخطوها اتاوات وضرائب باهظة . لكن الفرنسين لم يجبوا الا تلك الضرائب التى انتهينا من بيانها ، فلقد أهملوا تحصيل العدد الاكبر من الرسوم اما لانها لم تكن معروفة لنا على الاطلاق ، واما لاننا وجدناها استبدادية تجاوزت كل حد مفترض ، وبالمثل فقد عدلوا عن تحصيل رسم الحملة فى كل القرى التى اصبح الفرنسيون ملتزمين بها .

الفصل الرابع

الضرائب على الاشخاص

يخضع رعايا السلطان من غير المسلمين لضريبة شخصية تسمى الخراج (الجزية) طبقا لنص وارد فى القرآن ، يخضع لهذه الضريبة سكان البلاد التى تخضع لاتباع محمد ، حين لا يعتنق هؤلاء الدين الاسلامى . وهناك تقدير بأن ضريبة الخراج كانت مفروضة على ٩٠,٠٠٠ (تسعين الف) نفس ، ويقوم بجبايتها اغا ترسله القسطنطينية كل عام . وكان يصل الى مصر ومعه عدد مماثل من الحوالات أو صكوك السداد ، مؤشرا عليها بالأحرف الأولى ومسجلة ومدموغة فى وزارة المالية ، وعليها ختمه وختم اثنين من الشهود يصحبانه كمساعدين له . وكانت هذه الصكوك تجدد كل عام ، وتكون الوانها على التعاقب حمراء ، أو بيضاء ، أو صفراء ، وقد صممت هذه البطاقات بحيث تكون :

٩٠,٠٠٠ بوطاقة منها مخصصة للطبقة الغنية .

و ١٨٫٠٠٠ بو طاقة منها لمحدودى الدخل ؛
و ٦٣٫٠٠٠ بو طاقة منها للمعــوزين .

ويقوم الاغا بتسلم هذه الصكوك الى المولين بعد أن يسجل اسماءهم وبياناتهم ، محصلا ٥٥٣ مدينى عن كل واحد من الطبقة الأولى ، و٢٨٣مدينى عن الواحد من الطبقة الثانية ، و١٤٣ عن الفرد الواحد من الطبقة الاخيرة. لكن اللوائح لم تكن تلزمه أن يسدد من هذه الضريبة ، طبقا لعادة روعيت فيها مصالحه ، وتبعا لهذا المعدل ، سوى : ٤٤٠ مدينى ، ٢٢٠مدينى، و١١٠ مدينى (على التوالى) .

وكانت صكوك السدادتبقى بأيدى المولين من الاقباط واليهود ، وكانت تشكل بالنسبة لهم وعلى نحو ما نوعا من الحماية ، فلم يكن لهمأى حق فى حماية السلطان اذا ما اهملوا الاحتفاظ بها .

وعندما كان يتم تحصيلها ، كان الاغا يتولى تنظيم حســـــاباته مـــع الروزنامجى . وكانت الـــ ٩٠٫٠٠٠ حوالة أو صك تحسب طبقا للمبـــالغ التى كان من المقرر أن تعود بها بحسب معدلاتها المبدئية(١) . وكان يستنزل من هذه الحوالات :

١ ــ الحوالات التى لم يتم استخدامها .

٢ ــ مصروفات وراتب أفندى الجوالى المكلف بالتحصيل .

٣ ــ المعاشات التى يحددها السلطان خصما من حصيلة الخـــراج وتبلغ ١٦ كيسا مصريا أو ٤٠٠٫٠٠٠ مدينى .

وبعد ذلك يسدد الاغا الميرى المقرر على وظيفته وقدره ٢٫٥٠٩٫٠٨١ مدينى تساوى ٨٩٫٦١٠ د ٩ جنيها توريا أو ٨٨٫٥٠٣ س ٧٥ فرنكا .

---

(١) ٩٫٠٠٠ بواقع ٤٤٠ مدينى . . . . ٣٫٩٦٠٫٠٠٠ مدينى
١٨٫٠٠٠ بواقع ٢٢٠ مدينى . . . . ٣٫٩٦٠٫٠٠٠ مدينى
٦٣٫٠٠٠ بواقع ١١٠ مدينى . . . . ٦٫٩٣٠٫٠٠٠ مدينى

الاجمالى . . . . ١٤٫٨٥٠٫٠٠٠ مدينى

وقد يدفع هذا الميرى على الاعتقاد بأنه كان يستقى الفائض لصالحه اذا ما بلغت الحصيلة لحد أعلى من المقرر لها ، ومع ذلك فمن الثابت أنه لم تكن له أى مكاسب الا رسم العادة الذى قدمنا تفاصيله من قبل ، كما أن المبالغ التى كانت تتجاوز الأرصدة التى تمنحها مصروفات التحصيل وكذا المعاشات والميرى ، كانت تضاف الى الخزنة التى ترسل الى السلطان.

وعادة ما كان الاغا يعطى التزام تحصيل الخراج المقرر على اقباط ويهود مصر العليا الى البك حاكم جرجا ، دون أن يسلمه الحصة المحددة من الحوالات التى كان يحملها، لكن اقباط ويهود هذه المنطقة كانوا يحصلون من هذا البك على حوالات خاصة لها نفس الثمن ونفس الفاعلية اللتين كانتا لتلك التى يوزعها الاغا . وكان الأخير ، حين يحتسب قيمه هذه الحوالات التى احتفظ بها لنفسه ، عند تقديمه الحساب الى الروزنامجى ، يتمكن من زيادة دخوله بشكل هائل عن طريق عملية التدليس هذه .

وكان عدد الحوالات التى ترد عن الباب العالى يتخذ اساسا لتقدير عدد الشعب القبطى على نحو تقريبى(١) دون أن يدخل فى ذلك ما انتهينا من قوله عن مصر العليا وعن الاعفاءات التى كانت تمنح بسهولة بالغة لأى واحد من الأقباط أو اليهود التحق بخدمة المسلمين وقناصل الدول الاوربية. ومن الضرورى بخلاف ذلك أن نلاحظ أن النساء والأطفال ، الذين تقدر اعمارهم بأقل من١٢ عاما ، لم يكونوا خاضعين لهذه الضريبة . وكانت غيبة سجلات خاصة بالمواليد تؤدى لأن يتم تقدير أعمارهم عن طريق قياس قامتهم(٢) .

ولم ندخل فى عداد الضرائب التى تجبى لصالح السلطان رسما يسمى بيت المال ، كان يتشكل من اجمالى تركات رعايا السلطان ، اقباطا كانوا أم يهودا أو مسلمين ، حين يموتون دون أن يتركوا ورثة ، ذلك لأن هذا الرسم لم يكن يفسح مكانا لأى ميرى ، وفيما مضى ، كانت حصيلة هذا الرسم ترسل

---

(١) لن نتحدث عن يهود أو اروام سوريا والارخبيل بسبب ضآلة عددهم ، كذلك لن نتناول الافرنج لأنهم لم يكونوا خاضعين لهذه الضريبة .

(٢) كان مع المحصل حبل صغير بطول قامة طفل أقل من ١٢ سنة. وكان كل وأولئك الأطفال الذين تتجاوز رءوسهم طول هذا الحبل يدخلون فى عداد الممولين .

الى القسطنطينية حيث لا يستطيع السلطان ان يستخدمها الا فى اغراض الدفاع عن الاسلام . وقد نص القرآن على تحصيل هذا الرسم وبين طريقة استخدامه . اما فى الأزمنة الأخيرة ، فكان البكوات يأمرون بجبايتها دون مبالاة بالباب العالى ، فما أن كان يموت أحد السكان الموسرين بعض الشىء حتى يسارعوا بوضع مسمار ضخم على باب بيت المتوفى بغض النظـــر عما ان كان له أو ليس له ورثة ، وفى الحالة الثانية كانت تؤول السهمكلتركته ، اما فى الحالة الأولى فكانوا يفرضون مبلغا كبيرا من المال مقابل رفع هذه الحراسة (القضائية) .

الفصـــل الخـــامس

موجز بدخول الســــلطان

لم تكن مبادىء الادارة العثمانية ، التى هى مختلفة عما لدينا ، والتى كانت تجلب لصناديق الخزانة العامة اجمالى دخول الدولة ، لتسوق الى هذه الخزانة الا الاموال التى تخصص اما لانفاقات بعينها ، واما للتوفير ، ويبدو ان عملية الجباية ، وهى التى كانت تترك لوكلاء السلطة واصـــحاب الاقطاعيات (الملتزمين) ، لم تكن لتشغل الحاكم الا بخصوص ما يطلبـــه هو من هؤلاء التابعين له ، أما ما يتبقى معهم بعد الوفاء بمال السلطـــان وبعد تغطية الانفاقات التى كان يضعها على عاتقهم ، فكان يترك كله لصالحهم الخاص . وعلى هذا ، فاننا عند قيامنا باجراء مطابقة لمختلف الجداول التى قدمناها لكى نتبين اجمالى حصيلة الضرائب التى تجبى من مصر ، تبين لنا ان دخول السلطان لم تكن تشتمل الا على عوائد الميرى ، ويتكون علىالنحو التـــالى :

البيان		بالمدينى	بالجنيه التورى			بالفرنك	
			د	س		س	
عن الميرى المقرر على الأطيان :							
القرى	٨٠ر٠١٧ر٨٩٠						
الأوقاف	٤٤٢ر١٧٨						
عن الميرى المقرر على الوظائف		٨٠ر٤٦٠ر٠٦٨	١	١٧	٢ر٨٧٣ر٥٧٣	٦٣	٢ر٨٣٨ر٠٩٧
عن الميرى المقرر على الصناعة والتجارة		١٠ر٨٧٠ر٧٧٣	١٠	١٧	٣٨٨ر٢٤١	٧٩	٣٨٣ر٤٤٨
:							
من الجمارك . . ١٩ر٤٤٥ر٤٨٦ / ١٩٣ر٤٧٣ }	١٩ر٦٣٨ر٩٥٩						
من رسوم أنشأها السلطان . .	٢ر٨١٨ر٥٨٨						
من رسوم لم ينشئها ولكنه أقرها .	٣٥٤ر٢٥٨						
. . . . . .		٢٢ر٨١١ر٨٠٥	٥	٦	٨١٤ر٧٠٧	٣١	٨٠٤ر٦٤٩
عن الميرى المقرر على الأشخاص		٢ر٥٠٩ر٠٨١	٩	—	٨٩ر٦١٠	٧٤	٨٨ر٥٠٣
الإجمالى		١١٦ر٦٥١ر٧٢٧	١	٢	٤ر١٦٦ر١٣٣	٤٧	٤ر١١٤ر٦٩٩

ومهما يكن شأن فائض الضرائب العامة ، فحيث كان يتم تحصيلها لحساب البكوات والشخصيات الأخرى ، الذين يفترض أن السلطان قد خصصها لهم ، فان هذه الحصيلة لم تكن لتنشىء الا ادارات و تنظيمات خصوصية .

ويقودنا هذا التوضيح ، الذى يفصل بطريقة محددة بين دخول السلطان ، وعوائد الملاك وحكام المناطق ، الذين يعهدون بجبايتها وادارتها الى مباشرين اقباط ، والذى بدونه ، لن نجد فى حوزتنا سوى خليط مضطرب ومشوش عن الادارة المصرية ، يقودنا الى بعض التفاصيل حول وظائف الروزنامجى ، وهو الجابى العمومى لأموال السلطان ، وكذلك حول وظائف الافندية الموكلين بالجباية .

كان الروزنامجى يعين من قبل الباشا بترشيح من الديوان ، وكان يختار من بين الروزنامة ، أى هيئة الافندية التى ادخلها فى مصر السلطان سليمان لادارة مالية الباب (العالى) . وكان يصب فى صندوقه المال الميرى المقرر على الاراضى وعلى الوظائف وعلى الصناعة والتجارة عن طريق الابداعات التى كان يضعها الملتزمون وحكام المواقع بين يديه ، أما الضرائب على الأشخاص فكانت تصل حصيلتها الى خزينته عن طريق الاغا الموكل بجباية هذه الضريبة بصفة خاصة . وكانت عمليات الروزنامجى تدار بمقتضى لوائح توزع مختلف فروع اختصاصه على افندية تابعين له .

وقد سبق لنا أن سمينا وظائف اهم هؤلاء ، مثل افندى الشرقية ، وافندى الغربية ، وافندى الشهر وافندى الغلال الخ كما سبق أن بينا بالتفصيل مختلف الوظائف ومختلف الرسوم التى كانت تخضع لدفع المال الميرى والتى دونت فى سجل يمسكه أفندى يسمى حلفا . ولم يكن الملتزمون الجدد ، عند كل عملية نقل حيازة (بالشراء أو الارث) يحصلون على حق التمتع بالرسوم والعادات التى كان يتمتع بها أسلافهم الا بعد حصولهم من الباشا على حجة تسمى تذاكر التمكنات ؛ كان لابد أن يسجلها هذا الموظف ، وكان هؤلاء الأفندية يخطرون المولين بما عليهم أن يسددوه ، لكنهم لم يكونوا يحصلون شيئا بأنفسهم ، وكان عملهم يقتصر على تسليم مخالصة للممولين توضح أنهم قد دفعوا للروزنامجى الميرى المقرر عليهم . وكانت اخطارات الدفع الموجهة الى الملتزمين تبين اجمالى الضرائب المقررة عليهم ، لكن الروزنامجى لم يكن

أيقر هذه الاخطارات الا بعد أن يقوم بمطابقتها ، اذ كان من الضرورى أن تنطبق بيانات هذه الاخطارات مع السجل العام للملكيات والرسوم الخاضعه للميرى ، وهو السجل الذى يمسكه الباش حلفا ، أى الموظف الاول لدى الروزنامجى ، اذ أن الدفاتر التى كان يستخدمها الأفندية أساسا لتوزيع الضرائب لم تكن سوى أجزاء منسوخة من هذا السجل .

وحيث قد أوضحنا حصيلة الضرائب العمومية التى تؤول الى كل من السلطان والباشا والبكوات والكشاف حكام الولايات والموظفين الآخرين فى الدولة فانه يدخل فى موضوعنا هنا أن نعرف بالانفاقات العامة التى تقع على عاتق هؤلاء وسنعرض لذلك فى الباب التالى .

الباب الثانى

الانفاقات العامة

الفصل الأول

انفاقات تقع على عاتق السلطان وتدفع خصما من الميرى

سوف نطابق الحصيلات من كل نوع ، والتى بيناها فى الموجز الذى قدمناه عن دخول السلطان ، مع الانفاقات المطلوبة .

وسوف نقدم حسبما تسمح لنا المعلومات التى بين ايدينا تفسيرات موجزة او مستفيضة عن اصل وغرض وبنود الانفاقات التى قد لا يتيسر لنا الالمام الكافى بها من مجرد تعدادها .

أولا : رواتب قررها السلطان لموظفين مختلفين ، بالاضافة الى الامتيازات من كل نوع ، والتى كانوا يتمتعون بها :

الى الباشا :

تقاوى البرسيم اللازم لعلف خيوله		
فى كوم الأحمر	١٧٠ر١ مدينى	
لحم ضأن	١٢٦٫٨٣٠	
خشب	٥٫٨٥٤	
ملح	٣٫٥٥٩	
ارجل ورءوس الخ الثيران والابقار		
التى تذبح للجزارة	٩٫٨٣٥	١٦٧٤٤٧
صابون	٣٫٧٩٣	
جرار (جرة)	١٫٠١٠	
لوكيل خراجه (مدبر اقامته) . .	١٥٫٣٩٦	

إلى الباشا :
أطلاق ولاية الجيزة ١٦٫٦٦٦
حبوب يحصل على ثمنها نقدا بشكل
منتظم من بينها ٤٣٫٢٠٠ مدينى تؤخذ
من الخـــزنة . . . . . ٧٢٣٫٨٧٥

اجمالى ما يدفع للباشا . . . . ٩٠٧٫٩٨٨

الى البكوات :

تقاوى برسيم لعلف الخيول فى الاراضى
التى جنبت لهم لهذا الغرض . . . . ١٦٫٢٩٤

الى أوجاق المتفرقة :
فى ولاية البحيرة . . . . ١٠٤٫٨٥٧
فى قرية سرنبـــاى خصما
على الخزينـــة ٤٨٤
الاجمـــالى . . . . ١٠٥٫٣٤١

الى أوجاق الجاويشـــية . . . . ٩٨٦٫٤٤٤

الى الوالى أغا الشرطة بالقـــاهرة . . . . . ٣٠٩٫٠٠٠

الى أمين الاحتساب . . . . ١٩٫٤٩٧

الى الروزنامة او هيئة الأفندية :
الى الروزنامجى والأفنـــدى
المحتسب خصما من مشتريات الكتان ٢٨٫٠٠٠

الى الكتبة فى مكتب الروزنامجى . ٧٤٫٨٢٥
كجراية من الحنطة والشعير :
للروزنامجى ٢٧٫٦٥٠
للكتبـــة ٢٥٤٫١٠٤
للباش حلفـــا ٦١٫١٧٢
لأفندى الشرقية ١١٫١٢١
لأفندى الغربية ٣٣٫٣٦٧

لافندى الشـــهر ٦٤٫٤٥٤
لافندى الغلال ٣٩٫٩٩٠
اجمالى الجراية . . . . ٤٩١٫٨٥٨
اجمالى ما يدفع للروزنامة . . . . . ٥٩٤٫٦٨٣

الاجمالى العام للنفقات التى تقع على عاتق السلطان ٢٫٩٣٩٫٢٤٧

د س
وهى تعادل ٢ . ٢ ١٠٤٫٩٧٣ جنيها توريا
وبالفرنكات ١٤ ١٠٣٫٦٧٧ فرنكا

وعلى الرغم من أن الراتب المخصص للباشا فى مقابل الاستهلاكات المتنوعة التى أوضحناها بالجدول جاء مقدرا بالمدينى ، فان السلطان كان قد قرر أن تسدد عينا . وكان مدير جمرك بولاق ، وأمين الاحتســـاب ، وملتزم دمياط ، وهم الموكلون بتوفير السلع التى يتكون منها هذا الراتب ، يحصلون فى مقابلها على المبالغ المذكورة ، وعندما كانت قيمة هذه الأشياء تتجاوز المبلغ المعتمد لهذا الغرض كان على الباشا ان يحيطهم علما بذلك ، وكان على بقية الموظفين الذين يحصلون على جراية من الغلال أن يسلكوا نفس هذا السلوك .

وقد سبق لنا القول أن الاطلاق (أو الاتلاق) هى الاراضى المعفاة من كافة الضرائب ، وانها كانت تخصص لتوفير العليق لخيل الباشا والبكوات . وحيث طلب الملتزمون الذين تدخل أراضى الاطلاق هذه ضمن زمام قراهم أن يضموا هذه الاراضى الى أراضى الوسايا فقد خولوا ذلك مقابل مبلغ سنوى قدره ١٦٫٦٦٦ مدينى أوردناها بالجدول ،وقد ادخل هذا المبلغ ضمن المال الميرى المقرر على ولاية الجيزة .

وفى العام ١١٧٩ من الهجرة منح السلطان مصطفى للباشا راتبـــا اضافيا على نفقة الخزينة ، ويبلغ ١٫٧٢٨ أردبا من الحبوب تقدر قيمتهـــا بواقع سعر الاردب الواحد ٢٥ مدينى بـــ . . . ٤٣٫٢٠٠ مدينى

واذ كان هـــذا المبلغ يشـــكل زيادة على الـــ . ٦٨٠٫٦٧٥

وهى حصته من الميرى العينى المقرر على مصر
العليا والذى يقدر بـــ ٢٧ر٢٢٧ اردبا بواقع سعر
للاردب يعادل نفس السعر السابق ، فان هذا
المبلغ يصل باجمالى الدخل الذى كان يتمتع به الباشا
الى . . . . ٧٢٣ر٨٧٥ مدينى
وهو المبلغ الموضح بالجدول .

وحيث قد أمر هذا السلطان نفسه ، فى نفس العام ، الا يدفع ثمن مشاقة الكتان التى ترسل كل عام الى القسطنطينية خصما على أرصـــدة الخزنة ، فقد أضيف ثمن هذه السلعة المشتراة الى مصروفات الميرى فى مقابل ٧٠٥ر٣٥٠ مدينى . وفى عام ١٢٠٠ من الهجرة ، عندما لاحظ القيطان باشا الذى استحوذ على السلطة المطلقة فى مصر ، ان هذا المبلغ غير كاف ، وان الباشوات كانوا قد أدخلوا عادة أن يستكملوا ثمن هذه السلعة خصما من الخزنة ، فقد أعاد من جديد النظام الذى كان متبعا قبل السلطان مصطفى . اى انه أمر بأن يخصم ثمن مشاقة الكتان التى قد يطلبها السلطان من الخزنة اى من الاموال التى ترسل اليه . ولم يدع متبقيا على عاتق المال الميـــرى سوى الـــ ٢٨ر٠٠٠ مدينى التى خصصها السلطان للروزنامجى والافندى المحتسب كخصم ((تنزيل)) يتم لحسابهم من المبالغ التى كانوا يستخدمونها فى القيام بمشتريات من نفس النوع .

ثانيا — مصروفات الجيش

رواتب :

البكوات	٦٦٦ر٢٤٨
الفرق الظافرة أو الاوجاقات . .	٢٦ر٢٥٨ر٠٢٦
حاميات القلاع والطوابى . .	٢ر٧١٩ر٤٨٧
حاميات قلاع الواحات بالقرب من أسوان	١١٣ر٧٣٠
اجمالى الرواتب	٢٩ر٧٥٧ر٤٩١

المؤن :

البارود	١٠٩ر٧٤٦
الخشب كوقود لافران الخبز . .	٤ر٤٢٠

الاضـــــاءة ٠٠٠ر١

اجمالى نفقـــات المـــؤن ١٦٦ر١١٥

وبذا يبلغ اجمالى مصروفات الجيش ٢٩٫٨٧٢٫٦٥٧

	د	س	
وهى تعادل	١	١٢	٨٨٠ر٠٦٦ر١ جنيها نوريا
وبالفرنكات		٣١	٧٠٩ر٠٥٣ر١ فرنكا

وكانت اعتمادات الجيش توزع بطريقة يبلغ معها راتب كل جندى فى العام الواحد ٢/١ ١٨٢ مدينى ، فى حين كانت رواتب الضباط تتناسب مع رتبهم ، فكانوا يحصلون على ضعف أو ثلاثة أمثال هذا المبلغ بأقساط قيمة الواحد منها ٢/١ ١٨٢ مدينى تستحق الدفع بتفويضات على الخزينة العامة تسمى أوراق الجامكية (أى أوراق مرتبات) . وكان كل واحد من البكوات يحصل على ٦٦٦ر١ مدينى من هذه الاقساط بحيث تبلغ المعاشـــات التى كانوا يحصلون عليها فى الأصل : ٠٨٠ر٢٩٧ر٧ مدينى . ويؤكد البعض أن مرتبات (جامكية) الاوجاقات كانت تبلغ ٠٠٠ر٠٠٠ر٤٠ مدينى . وكان البكوات والاوجاقات ينظرون الى هذه الجامكية باعتبارها ملكية خاصـــة وليست رواتب مستحقة لوظائفهم ، وحين قام هؤلاء ببيع او بالتنازل عن الجزء الاكبر منها فقد انتهى بها الامر أن تحولت الى سندات مستحقة لكل الحائزين لها فى حين اصبح من بين ملاكها أطفال ونساء . وان المرء ليجهل لماذا كانت الحكومة والباشا يتسامحون فى مثل هذه المبيعات ، وان كان لا يخامرنا شك فى أن المثال الذى قدمه كل من سليم وسليمان حينما خصصا أوراق مرتبات (أوجامكية) لصالح المساجد و المنشآت الخيرية ، قد برر فيما يبدو للاخرين أن يسلكوا سلوكا مشابها . ومهما يكن الأمر فان أوراق الجامكية الخاصة بالبكوات والاوجاقات ، والتى كانت لا تزال تبـــاع وقت مجىء الفرنسيين لم تكن تتجاوز المبالغ التى بيناها . ومن جهة اخرى فاننا لم نفصل عن هذه رواتب حاميات القلاع والطوابى الا لأن السلطان قـــد خصص مبلغا معينا ينفق خصيصا فى هذا الغرض . وتشكل هذه الحاميات جزءا من أوجاق المتفرقة ، لكن هذا الاوجاق لم يكن هو الذى يكون حاميات قلاع الواحات ، وكان القائد يجند لهذه الخدمة اتراكا وبربرا ومغاربة ، كان يدفع رواتبهم من المبالغ الناتجة عن أوراق الجامكية التى كانت تعطى له .

وتوضح ضآلة المبالغ المخصصة لنفقات المؤن والتموين أن السلطان كان قد وضع الجزء الأكبر من المصروفات المطلوبة على عاتق حكام المواقع . ويمكن لنا أن نحدس كذلك أن الكثير من المصروفات المماثلة قد أبطلت بعد زوال المؤسسات أو الأنظمة التى أوجبتها .

ثالثا — مصروفات متنوعة

المقياس :

للصيانة	٩٧٦ مدينى	
للستائر	٤٣٩	
لشيخ المقياس	١٫٠٧٤	
اجمالى نفقات المقياس		٢٫٤٨٩
مجرى العيون والآبار التى اقيمت عليها سواقى فى مصر العتيقة :		
أجور العمال المستخدمين فى الآبار بما فى ذلك ٤٫٠٠٠ مدينى تؤخذ خصما من الخزينة . .	٤٤٫٤٣٦	
تبن للثيران المستخدمة فى الآبار بالاضافة الى مصروفات صيانتها	٦٨٫١٢٠	
اجمالى مصروفات الآبار		١١٢٫٥٥٦
جسور لترع بحيرة تنيس والنوارة		٣٦٫٦٢٣
ازالة الطين المتراكم تحت القناطر		٨٦٠٫٧٩٨
مشاعل مقامة على شواطىء الترع لمنع تحويل مجراها		١٫٧٥٩
محطة ابدال مقامة فى العريش لبريد السلطان(*)		٧٫٨٠٠
قفاطين يوزعها الباشا على من يتولون المناصب		٧٤٢٫٠٠٠
صيانة الحمام التركى الموجود أسفل القلعة (حمام الخاصة)		٩٫٦٦٧
جرار للمياه يستخدمها الديوان		١٥٠

(*) حيث يتم ابدال الخيول أو الدواب المستخدمة فى نقل البريد . (المترجم)

تغليف (تجليد) سجل الميرى العام . . .	٢٫٢٨٢
للسقايين بالسويس	٢١٫٦٦٠
لكاشف ولاية البحيرة مقابل صيانة الترعة	
التى تنقل مياه النيل الى صهاريج الاسكندرية	١٦٫٠٠٠
سبيل حسن باشا بقلعة القاهرة	١١٫٠٠٠
بئر يوسف افندى بالقلعة خصما على نفقة الخزنة	٣٫١٠٠
سبيل ابراهيم الكخيا	٥٫٠٠٠

مشتريات للباب العالى :

شربات يدفع من ثمنه ١٢٤٫٧١		
مدينى خصما على الخزنة . .	١٠٦٫٦٩٠	
أرز وعدس خصما على الخزنة	٧٠٢٫٩٦٩	
. . . .		٨٠٩٫٦٥٩

الاجمالى العام ٢٫٦٥٣٫٥٨٥ مدينى

	د	س	
ويعادل هذا المبلغ	١٠	١٧	٩٤٫٧٧٠ جنيها توريا .
وبالفرنكات		٩٠	٩٣٫٦٠٠ فرنكا .

ومن المعروف أن مقياس النيل كان يقام داخل سور يسهل اتصاله بالنيل ، اقيم عند الطرف الجنوبى لجزيرة الروضة . وكانت حراسة وصيانة هذه المنشأة امتيازا وراثيا لشيخ من نسل ذلك الشيخ الذى سبق أن وكله بذلك السلطان سليم . ويقوم هذا الشيخ ، عندما تنخفض مياه النيل ، بازالة الطمى الذى يتراكم على سفل المنشأة . أما المر الداخلى الذى يسيطر على حاشيته فكانت تحميه فيما مضى ستائر ظل دفع الاعتماد المخصص لتجديدها مستمرا حتى عندما زالت هذه الستائر .

وبمجرد أن يبدأ النيل فى الارتفاع(١) ، يأخذ الشيخ فى الاعلان عن المقياس الذى بلغه ارتفاع المياه يوميا عن طريق منادين يجوبون الشوارع ، ويقفون بكل البيوت . وكان السكان يجدون سعادتهم فى تقديم الخبز والنقود الى هؤلاء المنادين .

(١) عند نحو بداية انقلاب الصيف .

وكان هؤلاء يتجمعون عند ظهيرة كل يوم فى مسجد يقع الى القــرب من مصر العتيقة لكى يعلن لهم شيخ المقياس مقدار الفيض الذى بلغـــه النيل منذ العشية(١) .

اما الخليج فكان يفتح الى الشمال من مصر العتيقة على فرع النيل الصغير الذى تصنعه جزيرة الروضة ، وهو يعبر القاهرة ويمضى ليروى ولايتى القليوبية والشرقية(٢) . وكان البك مكلفا بأن يصنع فى داخل هــذا الخليج جسرا يمتد لمسافة خمسين قدما لكى يمنع مياه النهر من ان تتوغل فيه وبذلك تصبح مياهه اعلى مما كان ينبغى ، كما كان مكلفا بالعمل على ازالة الطين المترسب فى المساحة القائمة بين هذا الجسر وبين مجــرى النيل ، فى مقابل حصوله على الـ ١١ر٠٤٢ مدينى المرصودة لهذا الغرض. ويتم قطع سدة الخليج فى الخامس عشر أو الثلاثين من اغسطس ، ويصبح الموعد اكثر اقترابا من التاريخ الأخير عندما تكون هناك خشية من حدوث فيضان مدمر . وفى عشية هذا اليوم يرحل أمين البحرين(٣) من بولاق فى قارب تزينه البيارق والاعلام ، ومجهز بأربعة مدافع تطلق نيرانا مستمرة ، يمضى ليأخذ مكانه عند فتحة الترعة ، وما أن يحل الليل حتى تطلق الالعاب النارية على ضــفافه ، وفى هذه الليــلة تكف الشرطة عن ممارسة قساوانها المعهودة ، فلا تعتقل أو تضايق احدا ، ويبدى الناس وهم يتدفقون فى الاحياء المجاورة فرحة طاغية بعيد يضمن لهم ما يعود عليهم به النهر ، صانع حياتهم ، من فوائد ومباهج ، وتنتشر الفرحة والبهجة على سـطح المياه مع ما يسبح فوقها من قوارب عديدة تغطيها ، بل أن النسوة انفسهن،

---

(١) اليكم مقياس فيضانات النيل أثناء مدة اقامة الفرنسـيين بمصر ابتداء من أقصى انخفاض له :

العام السابع (من قيام الجمهورية الفرنسية — ١٧٩٨) ٢٢ قدما و٦ بوصات — جيد .

العام الثامن ٢١ قدما وبوصتان — متوسط .

العام التاسع ٢٤ قدما و٨ بوصات — جيد جدا .

وطبقا لما يقوله المسيو لوبير فان النيل لا يهبط مطلقا لأدنى من ٥ اقدام .

(٢) تستخدم هذه الترعة فى ملء اسبلة المدينة ، كما انها تحول الى برك صالحة للملاحة الميادين المسماة الازبكية وبركة الفيل الخ ، حيث يحلو للمواطنين ان يتنزهوا بالقوارب .

(٣) أى ملتزم الرسوم التى تحمل هذا الاسم .

وهن اللاتى يقضين طيلة العام قابعات خلف أسوار حريم ، يشاركن فى هذه البهجة العامة ، فيندفعن منفصلات عن الرجال فى زوارق ينيح لهن الغناء والموسيقى التى تعزف فيها لحظة من السعاده . وعند نهاية النهار يقلل الوالى من سمك السد ، ويتوجه كثير من الشيوخ الى المقياس ليمضوا الليل فى تلاوة القرآن واقامة الصلوات كى يبارك الله فيضان النيل ، ويتجه البكوات وكل الموظفين الى شاطىء الخليج ، وهناك يعسكرون مع كل بيوتهم ، وعند انبلاج نهار اليوم التالى يتخذ الباشا مكانه ، تحيط به حاشيته ، فى سرادق مقام على شاطىء مدخل الخليج . حيث يلحق به القاضى وكل أصحاب المناصب ، ويعلن شيخ المقياس فى حضرة ممثل السلطان ، يحيط به الديوان المهيب ، أن ارتفاع النيل قد بلغ الـ ١٥ ذراعا المطلوبة (٢٥ قدما)(١) ، ويحرر القاضى حجة تشهد فى الوقت نفسه أن المياه قد بلغت الارتفاع اللازم لفتح سدة الخليج ولجباية المال الدر ، ثم يوقع هذه الحجة بعد أن يسجل أن الباشا وكبار ضباط الولاية قد شهدوا تحريرها ، ويتم الاسراع بقطع السد ، ويعاون عمل النهر عمل العمال فيختفى السد ، ويتهادى أول ما يتهادى قارب والى بحر السنبقة فوق المياه التى تندفع مدومة فى الخليج ، فاذا ما حدث أن انقلب قاربه بفعل اندفاع المياه فان القهقهات الصاخبة تعلو من جمهور الناظرين ،ويملأ كل سكان القاهرة البيوت المجاورة للخليج أو ينتشرون على شاطئيه ، ويهرع الى هناك الجميع ، رجالا ونساء وأطفالا ، مع اندفاع المياه التى تستحوذ على مشاعرهم ، وينسب الناس جميعا الى هذا المجرى ، وقد أصبح صاخبا ، الكثير من المعجزات ، فتلقى به النسوة خصلات من شعرهن او بقطع من مزق ملابسهن وهن يأملن فى الحمل والانجاب أو أية مطالب نافعة ينتظرن تحقيقها من وراء هذه القرابين . ويلقى الباشا ومعيته بقطع من الذهب والفضة وبحفنات من المدينى الى العمال الذين ساهموا فى قطع السدة ويراقبون حركة المياه ، ويحصل هؤلاء ، من عدد كبير من النظارة على هبات

---

(١) لم يكن الفيضان الفعلى يبلغ فى ذلك الوقت وفقا لما يقوله المسيو لوبير سوى ١٢ ذراعا (٢٠ قدما) ، ولم يكن هذا الفيضان ليصبح كافيا لرى المساحة العظمى من الأرض لو أنه قد ظل عند هذه النقطة ، فلقد كان الفيضان فى العام الثامن من الجمهورية (١٨٠٠) ضعيفا برغم بلوغه ٢١ قدما وبوصتين .

مماثلة ، يتسابقون للحصول عليها مع من يزاحمونهم من الجمهور ، وكان هؤلاء يختارون على التعاقب من بين الاتراك واليهود ، وينتهى الحفـــل بتوزيع القفاطين التى يخلعها الباشا على ولاة القاهرة ومصر العتيقـــة وبولاق ، وكذلك على كبار ضباط الاوجاقات الذين يحضرون الحفل(١) .

ونادرا ما تكون البيانات المعلنة والتى تسبق دخول المياه الى الخليج مطابقة للحقيقة ، وان كانت تلك التى تعلن بعد ذلك هى التى توضح بدقة اجمالى الفيضان والحالة اليومية لارتفاع مياه النهر ، ويتوقف اعلان هذه البيانات بدءا من أوائل اكتوبر ، وهو المدى المعتاد الذى يتوقف عنده تزايد الميـــاه(٢) .

وتصل مياه النيل الى سفح قلعة القاهرة عن طريق مجرى يأخذ مياهه من جنب فم الخليج ، بفعل ثلاثة آبار تعمل عليها سواق ترفع الميـــاه الى المستوى اللازم لبلوغها هذا المجرى ، أما الآبار (أو الاسبلة) التى تنتهى اليها فتؤمن استهلاك السكان وحاميات القلعة . وهناك افندى موكل بصيانة الحبال والدواب وتقديم الاجور الى العمال الملحقين بهذه المنشأة ، امـــا امين الشون (شونة) فيوفر التبن اللازم لطعام الثيران . وفى عهد السلطان مصطفى ، زيدت الأموال المخصصة لهذا الضرب من ضروب الانفاق ، على نفقة الخزينة ، بمبلغ ٤٫٠٠٠ مدينى ، ضمناها فى المبالغ الموضحة .

---

(١) عندما يتم تنظيف فم الخليج ، يترك فى الوسط عمود من الطين يسمى العروسة ، أى الفتاة المقبلة على الزواج ، ويشعر الناس بالبهجـــة الغامرة اذا ما حملت المياه بغتة هذه الكتلة من الطين، أما اذا قاومت هذه الكتلة فعل المياه لوقت طويل ،فان الناس يشعرون بالغم والكدر كما لو أن الأمر نذير بأن الفيض لن يكون سعيدا . وتحمل هذه العادة ذكرى خرافة بشعة عن المصريين الوثنيين حين كانوا يضحون بشابة صغيرة كانوا يقدمونها للنهر على انها زوجة له .

(٢) يشكل العيد الذى يحتفل به الاقباط على شرف الصليب ، والذى يتم فى نفس هذه الفترة على وجه التقريب حفلة حلت فيما يبدو محل خرافة قديمة من خرافات المصريين القدماء ، فيبدأ البطريرك ، يتبعه رجال الدين وبقية شعبه ، المسيرة من دير يقع الى جنوب مصر العتيقة ، وبعد ادعيات طويلة ، يذهب البطريرك ليلقى فى النيل بصليب صغير من خشب ، ويحذو حذوه كل تابعيه ، ويسر المسلمون كثيرا بهذا العيد ، ولابد أنهم سيأسفون كثيرا لو حدث أن توقف .

وتقام فى كل عام سدود لفتحات ترع بحيرة تنيس والنوارة التى تصب مياهها فى السهول الرملية المتاخمة لدمياط ولطابية العزبة حتى لا تتوغل فى مجارى هذه الترع مياه البحر . وكان أغا الطابية أو الحصن يحصل على ٣٦٫٦٢٣ مدينى فى مقابل بناء هذه السدود .

ويجد المرء فى كل انحاء مصر قناطر مبنية بالحجارة مقامة فوق ترع الرى ، ويمكن للطمى الذى يتراكم حول اقواس هذه الترع أن يعوق مجرى المياه . وكان حكام الولايات ملزمين بالعمل على ازالته (أو تجريفه) ، وهم يقتسمون الأموال المرصودة لهذا العمل طبقا للتوزيع الآتى :

سيوط	٧٥٫٠٠٠ مدينى
منفلوط	١٤٫١٦٤
بنى سويف	٣٧٫٥٠٠
الفيوم	٢٩٫١٣٢
الجيزة	١٢٥٫٠٠٠
القليوبية	٤٠٫٤١٠
الشرقية	٦٧٫٦٧٥
البحيرة	١٢٥٫٠٠٠
المنصورة	٧٣٫٩٨٥
الغربية	٢٥٠٫٠٠٠
المنوفية	٢٢٫٩٣٢
اجمالى مطابق	٨٦٠٫٧٩٨

وكان محرما انشاء قنوات أو مساق (مسقى) ترفد عن النيل أو الترع التى تتفرع عنه أثناء الفيضان ، ويسهر على ذلك ليلا ونهارا حراس يختارون من أوجاق الشراكسة ، ويحصل هؤلاء على المبلغ الموضح لكى يقيموا على الشواطىء مشاعل تسهل عملية الرقابة التى يمارسونها .

ولا تصل مياه النيل الى السويس ، فكل المياه التى تستهلك هناك تغترف من عيون موسى ، وتمضى الى داخل صهريج واسع للمياه حيث تخزن مئونة المياه اللازمة للمدينة طيلة العام . وقد خصص السلطان سليم للسقائين المستخدمين فى نقل هذه المياه ، المبلغ الذى أوضحناه .

وقد قام أحد الباشوات واسمه حسن ببناء خزان مياه عمومى (سبيل)

بقلعة القاهرة ، لا يزال حتى اليوم يحمل اسمه ، وينفق لملء هذا الخزان كل عام من الأموال التى رصدها لخدمة هذا المرفق .

ويحدث الشىء نفسه لبئر يوسف أفندى ، الذى خصص السلطان مصطفى لصيانته ٣٫١٠٠ مدينى ، تؤخذ خصما على نفقة الخزنة .

وقد فرض اسماعيل بك ميرى قدره ٥٫٠٠٠ مدينى على وكالة الزعفران ببولاق ، وخصصت لصيانة سبيل ابراهيم الكخيا فى القلعة ، وهذا السبيل واسع لحد أن الجيش الفرنسى قد استخدمه لتخزين مؤنه (من المياه) أثناء الحصار .

ويرسل الباب العالى سنويا الى القاهرة شوربة جى (شوربجى) باشى الموكل بصنع صنوف من الشربات للسلطان ، فيشترى المواد اللازمة ، ويصنع بنفسه هذه المشروبات الحلوة ، وكان يعطى له طبقا للوائح سليمان مبلغا قدره ٣٥٫٥٦٦ مدينى مقابل نفقاته ، وفى عام ١١٧٩ من الهجرة أمر السلطان مصطفى برفع هذه النفقات الى ١٠٦٫٦٩٠ مدينى(١) ، ويعطيه الباشا بخلاف ذلك مبلغ ١٠٫٢٠٠ مدينى لينفقها فى شراء مواد عطرية تعطى لهذه المشروبات رائحة مستحبة ومذاقا أفضل . وتقضى العادة كذلك أن يقدم له الباشا هدية تبلغ ٤٫٠٤٠ مدينى ، كما شاء السلطان مصطفى أن يخصص مبلغ ٨٧٥٫٩٧٢ مدينى لمصروفات شراء وارسال السكر الى الباب العالى ، ولم نشر نحن الى ذلك مطلقا لأن القبطان باشا قد حذف هذا المبلغ فى عام ١٢٠٠ من الهجرة من الانفاقات التى تقع على عاتق الميرى ، وأمر بأن يؤخذ هذا المبلغ خصما من الخزنة اذا ما أرسل السلطان فى طلب السكر ، وان كان فى نفس الوقت قد أبقى على تصرف السلطان مصطفى الذى قضى باعتماد مبالغ تؤخذ من أرصدة الخزنة ، وتخصص للاغراض التى نوردها فيما يلى :

٢٫٠٠٠ أردب من الارز من انتاج قرية فارسكور
والقرى المجاورة . . . . ٣٢٠٫٠٠٠ مدينى
١٫٠٠٠ أردب من أرز دمياط . . . . . . ١٦٠٫٠٠٠

---

(١) أخذ منها اذن مبلغ ٧١٫١٢٤ خصما على نفقة الخزنة .

٠٠٠ر١ أردب من عدس القـــاهرة	١٥٫٠٠٠
مصروفات شحن الارز والعدس	١٨٢٫٣٠٦
خصم (أو تنزيل) يتم لصالح الروزنامجى والكتبة	٢٥٫٦٦٣

اجمالى مطابق للمبلغ الوارد بالجدول ٧٠٢٫٩٦٩ مدينى

وكان الروزنامجى يشترى هذه السلع الغذائية من ملتزمى الجهــات التى ينبغى عليها توفيرها ، ويسدد اثمانها بالأسعار التى اوردناها . وحين أصبح مراد ملتزما لدمياط وعثمان ملتزما لفارسكور ، توقفت هذه التوريدات كما توقفت توريدات عدس القاهرة ، ومع ذلك فقد ظلت هذه تدخل ضـــمن انفاقات الميرى لأن مراد وابراهيم طلبا الى الروزنامجى أن يضـــمها الى الدخول المخصصة لهما .

رابعا : المعاشات والمرتبات

اجرى سليم وسليمان معاشـــات أو رواتب متنوعه لرجــــال الديانة الاسلامية والارامل والايتام ولاشـــخاص منفرقين ، وحذا حـذوهما خلفاؤهما بل ، وكذلك ، الباشوات والبكوات ورجال الاوجاقلو (العســكر) العاديون ، الذين انتهى بهم الأمر ، حتى يضمنوا وصول هذه الرواتب الى الاغراض المخصصة لها ، الى تكليف الروزنامجى باستلام الأمــوال التى نزلوا عنها وان يتصرف فيها طبقا للنوايا التى ابدوها .

واليكم جدولا بالمصروفات التى كانت قائمة عند وصول الجيش الفرنسى الى مصر :

الى المشـــايخ والعلماء	١٫٢٩٥٫٥٣٤ مدينى
للايتـــام	٢٫٨٢٤٫٦٦٢
للارامــل	٣٫٢٨٦٫٣٤٨
للشـــيوخ :	
عطاء الله السكندرى	٤٠
ابو الســـعود	٩٨
بهى الدين المجدود	٩٨
محمـــد الجـــاكى	٩٨
محمد ابو طرطور	٣٩١
المجموع	٧٢٥

الى عائلة سليمان افنـــدى ٢٧ر٠٠٠
الى أشخاص متفرقين كمعاشات تسمى رزق
نقـــدية :

في ولاية القليوبية ٣٥٤ر٥٨٠
في ولاية الجيزة ٦٥٠ر١٤٥
المجمـــوع ١ر٠٠٤ر٧٢٥

الاجمـــالى ٨ر٤٣٨ر٩٩٤

	د	س	
وتعـــــادل	١٠	١٢	٣٠١ر٣٩٢ جنيها توريا
وبالفرنكات		٧٧	٢٩٧ر٦٧١ فرنكا

وكانت المعاشات او الرواتب التى أجريت للمشايـــــخ والعلماء تعطى لهم في شكل أوراق مرتبات . ويبدو أن هذه المعاشات لم تكن تشكل في عهد سليمان مثل هذا الحجم الكبير ، لكن الوازع الدينى قد دفع بالملاك الى تخصيص ارصدة من نفس النوع اضيفت لتلك العطاءات التى خصصـــها السلاطين ، وهو الذى بلغ بها الحجم الذى بيناه .

و يمكن أن نقول نفس الشيء فيما يختص برواتب الايتام ، أما معاشات الأرامل التى أصبحت من نصيب نساء الاتراك الذين لاقوا حتفهم عنـــد فتح مصر ، فلم تتناولها اية زيادة ، وان كانت هذه وتلك قد عانت من اهتزاز الثقة في أوراق المرتبات (الجامكية) التى كانت تتشكل منها ، في الوقت نفسه الذى ظلت قيمتها في بنود الانفاق الواقعة على عاتق الميـــرى على حالتها نفسها ، ذلك أن البكوات المماليك الذين حصلوا عليها بأبخس الاثمان ، قد انتحلوا لانفسهم حق الحصول على قيمتها من صندوق الروزنامجى .

ويحكى أن السلطان سليم ، بعد أن استعطفت مراحمه جماعة من الشحاذين الشيوخ ، قد خصص لهؤلاء تلك المبالغ الزهيدة الواردة بالجدول ، ثم جاءت ذريتهم ، مستندة الى عادة الزامية معظم العطايا الاختيارية ، لتطالب بها ، ولا يزال هؤلاء يتمتعون بها حتى اليوم .

وكانت الوظـــائف المتميزة التى شغلها سليمان ، الافنـــدى الســـابق

لاوجاق المتفرقة ، قد جعلته مستحقا لراتب قدره ٢٧٫٠٠٠ مدينى خصصها له الباشا خليل ، وظل هذا الراتب يصرف لاحفاده .

أما الرزق (النقدية) التى فرضها السلطان سليمان على الكثيرين من ملتزمى الجيزة والقليوبية ، فقد خصصها لأشخاص بعينهم أراد — هو — أن يكافئهم . وحيث أن هذه الرزق وراثية وقابلة للتحويل ، فانها لا تختلف عن الملكيات الخاصة الا فى أن الروزنامجى هو الذى كان يحصلها ، ويتصرف فى عائدها الذى كان يدخل ضمن الميرى المقدر على هاتين الولايتين .

خامسا : الأعمال والمنشآت الخيرية

صيانة المقابر :

جورماز الاتابكى	٢٫٥٠٠
الشيخ الدمناوى	٤٫٠٠٠
زاوية برقوق	٣٫٠٠٠
حصرون باشا	٣٫٠٠٠
الشيخ أحمد الطحاوى . .	٥٫٥٣٨
الشيخ تاج الدين . . .	٨٠٠
الشيخ احمد النجار . . .	١٫٠٠٠
الشيخ الشهيد	٣٠٠
الشيخ سعد الدين الجمبوى .	٢٠٠
الشيخ يوسف العباسى . .	٨٠٠
سيدى ابراهيم الدسوقى . .	٥٥٠
عطوان الصيفى . . .	٢٫٠٠٠
الشيخ سويدان	٦٨٣
الشيخ السادات	٣٫٠٥٢
الشيخ أحمد المنير . . .	٣٠٠
الشيخ عمر الدنبينى . . .	٣٩١
الشيخ على ابو النور . .	١٩٥
زاوية سنقر	١٩٥
الشيخ عبد الله الجبوشى . .	٥٠
الشيخ سويدان	٢٠٥

زاوية المشايخ (عدة أضرحة) ١٢٤ر٦٨
القاضى زين العابدين
(على نفقة الخزنة) . . ٣٠٠
الشيخ محمد كريم الدين
الخلوتى (على نفقة الخزنة) ٢٫٠٠٠
المجموع ١٨٣ر٩٩
مساجد ، اديرة ، دراويش ، شحاذون ، عجزة . ١٣ر١٠٩ر٣٥٨
الجامع الازهر :
العلماء ، الشيخ والمدرسون
الاساتذة ٥٧٦ر٠٣٠
شموع لقارىء
القرآن والخطيب ٧٧٧ر١
أرز وعسل يوزعان
سنويا على الفقراء ٤٨٩ر٢٠ } ٢٢ر٢٦٦
المجموع ٥٩٨ر٢٩٦
عمائم تعطى لمن يعتنقون الاسلام ٥ر٨٤٠
مياه عذبة توزع على الذاهبين لتشييع الجنازات ٧ر٨٠٠
للشيخ البكرى مقابل ما ينفقه فى الاحتفال
بمولد النبى ٢ر٥٣٨
مولد السيد أحمد البدوى فى طنطا :
للفقراء { جبن وبصل ١ر٤٦٨
صدقات ٢ر١٧٥
للشيخ العشرة ١٥٠
لعائلة الشناوى
(على نفقة الخزنة) ١ر٠٠٠
المجموع ٤ر٧٩٣
ارساليات الى اورشليم (القدس) :
مصروفات نقل العدس . ١ر٠٠٠
الصرة أو المعاشات . . ٣٥ر٣٢٠
حصر (حصيرة) للمسجد . ٩ر٩٥٧
المجموع ٤٦ر٢٧٧

انارة محراب سيدنا يوسف ٢ر٨٩٥
معونات لايتام المارستان ٢٥٠
صيانة خلوات الدراويش ، ناظم الدين صفهانى ١٢ر٠٠٠
للشيخ الذى يتلو القرآن ليلة فتح الخليج . . ٣٤٢

تيران تستخدم فى ادارة سواقى الآبار التى توجد بمساجد :

الامام الشافعى . . . ٣٧١
الشيخ عمر بن الفارض . ٤١٥
الغورية ٤١٥
سارية الجبل . . . ١ر٢٣٠
المجموع ٢ر٤٣١

قرب مياه تعطي لـ :

جامع الشيخ عمر بن الفارض ٤٤
أوجاق الجاويشية . . ٤٤
أوجاق مستحفظان . . ٤٤
المجموع ١٣٢

الاجمالى . . . . ١٣٩ر٨٩٢ر١٣ مدينى

	د	س	
تعادل	٥	١٦	١٤٧ر٤٩٦ جنيها توريا
وبالفرنكات		٥٤	٢٢ر٠ر٤٩٠ فرنكا

ويولى المسلمون عظيم احترامهم للموتى ، ويتوجهون كل جمعة ، وهو يوم الصلوات (كذا) لزيارة مقابر ذويهم ، أو أضرحة أولئك الذين ماتوا تحيط بهم هالة القداسة ، وقد ادت العناية بمقابر هؤلاء وكذلك المصابيح التى تضىء هذه الاضرحة الى انشاء بنود انفاق وردت بالجدول .

أما الأموال التى رصدها سليمان لصالح المساجد والأضرحة والدراويش والشحاذين والعجزة فهى عبارة عن أوراق مرتبات (جامكية) ، ولقد تزايدت هذه الاوراق وتدهورت قيمتها وقلت الثقة فيها على نفس النحو الذى سبق لنا أن لاحظناه فيما يختص ببقية الرواتب التى اجريت على الشيوخ والايتام الـخ ، كذلك فان نفس الدوافع (التى سبق لنا بيانها)

هى التى أدت الى استمرار سداد قيمتها للبكوات المماليك ، الذين آلت — هى — اليهم .

والجامع الازهر هو اشهر المدارس التى تدرس بها النظريات الدينية الاسلامية ، وهى المدرسة الوحيدة بالقاهرة ، ومصر كلها ، التى يحصل منها الدارسون على شهادة عليا ، أو شهادة العالمية ، وقد اختصه سليمان — بشكل جزئى — بأوراق مرتبات ، وبرسوم (أو عادات) على نطرون الطرانة ، وبالاضافة الى ذلك كان الازهر يتمتع بعوائد عدد كبير من القرى، ولذلك فان تدهور قيمة أوراق المرتبات لم تحرمه من الاحتفاظ بدخل هائل . وفى خلال شهرى شعبان ورمضان ، يضاء لخطيب الجامع ، وهو العالم الذى يتلو ويفسر القرآن ، اثنان من الشمعدانات الضخمة ، يضم كل منهما خمسا وعشرين شمعة ، وأوصى سليمان بأن يشترى كل ذلك على نفقة الميرى ، وكان الفقراء والعميان ، المترددون على الجامع، يحصلون خلال شهر رمضان ، عقب غروب الشمس على جرايات من الارز والعسل ، رصدها لهم عبد الرحمن الكخيا .

أما المبالغ المخصصة لشراء العمامات التى تقدم لمن يعتنقون الاسلام ، فكانت تودع مع خازن الباشا ، الذى كان يستبقيها لحسابه عندما لا تتم مثل هذه الاعتناقات .

ويتسلم وكيل الخراج ، ويتصرف كذلك فى المبلغ المرصود لدفع أجور السقائين الذين يحملون الماء الذى يوزع فى المقابر على الأشخاص الذاهبين لتشييع جنازات الموتى والصلاة على أرواحهم .

ويحتفل أهل القاهرة بمولد النبى بكثير من الابهة ، فتضاء المساجد والبيوت طيلة ثمانية أيام متصلة ، ويحصل الشيخ البكرى ، زعيم سلالة أبى بكر صهر محمد ، على مبلغ لا يتناسب فى كثير مع الانفاقات التى اعتاد القيام بها . ويزوره فى هذه الايام المسلمون ، وبخاصة الاولياء منهم ،

ليؤدوا الصلاة معه ، وتكلفه هدايا البن والحلوى التى يقيمها لضيوفه ، وكذا الأنوار التى تزين مداخل مقره والمناطق المحيطة به أكثر من ۱۰۰٫۰۰۰ مدينى(۱) .

ويتسبب أولياء عديدون فى نشأة موالد أو أعياد أقل أهمية ، وأهم هذه الموالد هو المولد الذى يحتفل به فى طنطا على شرف السيد أحمد البدوى . وكان هذا الحفل يقام بالفعل فى زمن السلطان سليم ، الذى أمر بأن توزع هناك صدقات وأطعمة على من يوجد بالمولد من الفقراء ، كما خصص ١٥٠ مدينى لشيخ العشرة لكى يتوجه الى طنطا ويتكفل بالاضاءات المعتادة . وكان سليم يرنو من وراء هذه العطايا المختلفة الى تسهيل سبل التجارة التى يمكن أن تنهض فى سوق تقيمها (تلقائيا) هذه الافواج من الحجاج (الزوار) . وحيث كانت عائلة الشناوى تتميز بالحماسة التى تبديها فى زيارة ضريح هذا الشيخ ، وفى الاسهام فى نفقات هذا الاحتفال فقد أمن لها معاشا قدره ۱٫۰۰۰ مدينى على نفقة الخزنة .

ويعد الحج الى القدس عملا بالغ الجدارة من جانب المسلمين ، وبخاصة من جانب العرب منهم ، الذين يرون فى هذه الزيارة ، وهم الذين ينسبون أنفسهم الى اسماعيل ، عملا يقصد من ورائه تبجيل ابراهيم واسحاق ويعقوب المدفونين طبقا لمعتقداتهم فى مسجد الرحمن . وكما هو

---

(۱) فى ترميدور من العام السابع ، تلقى القائد العام دعوة من الشيخ البكرى لحضور هذا الحفل ، وقد صحبته الى هناك هيئة أركان حربه ، وكنت بالمثل فى معيته . وقد لاحظنا أن العبادات كانت تقتصر على ترتيل رتيب لبعض آيات من القرآن ، وتلاوة نسب الشيخ البكرى ، الذى يدل على أنه من أصلاب سلالة أبى بكر ، وبعد ذلك حصلنا على نصيبنا من عطاءات البن والحلوى . كنا نسلك سلوك المسلمين ، وقد تعشينا مع الشيخ ، ومع أولئك الذين شاركوا فى الوليمة التى أولمت لنا ، وقدمت الاطباق على صوانى واسعة من النحاس ، وأكلنا على طريقة الشرقيين ، لكن النبى حرمنا من نبيذ العشاء (أى لم يقدم لنا بسبب ما تقضى به الديانة الاسلامية) ودارت علينا المياه فشربنا كلنا من نفس البردق . وقد قسم المدعوون الى عدة مجموعات ، وكان بجلس مع الشيخ القائد العام والجنرال برتييه Berthier (فى مجموعة مستقلة) ، وكانت لكل مجموعة صينية خاصة بها ، وتختلف هذه الطريقة فى تقديم الطعام قليلا مع الاساليب المعتادة عند المصريين ، اذ تمر المائدة نفسها — فى العادة — على التوالى لتنتقل من السادة الى أهل البيت ، وهكذا حتى تصل الى الخدم .

معروف ، فان محمدا نفسه قد قام برحلة الحج هذه ، ولذا فان الورعين من أتباعه يجدون واجبا عليهم أن يحذوا حذوه . وكان مدير هذا المسجد ، يتصل بنائب أو وكيل عنه ، كلف بالقيام بمشتريات العدس اللازمة لاطعام خدم المسجد ومن يلوذ به من الفقراء ، وأخذ سليم على عاتقه سداد نفقات نقل هذه الاطعمة ، كما خصص لنفس المسجد صرة أو معاشا سنويا ، بالاضافة الى اعتماد رصد لشراء الحصر التى تغطى أرضه .

ويقع محراب سيدنا يوسف داخل أرض أورشليم ، وقد بنى على بئر يظن أنها البئر الذى سجن فيه على يد اخوته ليبيعوه بعد ذلك الى تجار اسماعيليين . وقد خصص سليم ، على نفقة ميرى مصر ، ما يكفى لتوفير اضاءة وصيانة لهذا المكان المقدس .

وتدعو ضآلة المبلغ المخصص لليتامى المقبولين فى مستشفى المارستان الى الاعتقاد بأن السلطان لم يدر بخلده أن يقدم لهم عونا حقيقيا بقدر ما شاء أن يقدم لهم بعض صدقة . وكانت لهذه المنشأة دخول تتناسب مع الانفاقات التى تقوم بها .

وحيث تقع مساجد الامام الشافعى والشيخ عمر بن الفارض والغورية قريبا من المقابر التى يدفن فيها الكبار (طبقة الحكام) ، فقد كان يتوجه للصلاة فيها حلق كثيرون .وقد خصص السلطان سليمان اعتمادات لشراء وايواء الثيران التى تستخدم فى نزح مياه الابار الموجودة بالقرب من دور العبادة هذه . أما جامع سارية الجبل الموجود بقلعة القاهرة فكان بالمثل يحصل على تسهيلات واعانات . ويجعل الوضوء ، الذى يسبق عادة صلوات المسلمين ، من الاقتراب من بعض الابار أمرا ضروريا ، لكننا نجهل السبب فى اعطاء ثلاث من القرب الى كل من جامع الشيخ عمر بن الفارض، وأوجاقى الجاويشية ومستحفظان ، وهو الأمر الذى قرره السلطان سليم.

سادسا : محمل مكة

كسوة للكعبة فى مكة ، منها ٢٦٤ر٨٠٧ مدينى على
نفقة الخزنة ٧٩٠ر٨٠٧
الصرة (رواتب أو معاشات) :
نقدا ، لمكة والمدينة منها ١٤٣ر١٤٥
مدينى على نفقة الخزنة . ٢٢٠ر٩٨٥ر١٥

مصروفات لشراء صناديق وزكائب
وتبن ...... السخ . . . ٤٨٦ر٤
مجموع الصرة ١٥ر٩٨٥ر٧٠٦

لأمير الحج :

للالاى ، اى لذهاب المحمل . ٣٤٩ر٠٣٣
مصاريف مطبخ ٩١٩ر٩٢٤
. . . . ١ر٢٦٨ر٩٥٧
اضافى منحه اياه خلفاء سليم منه ١٠٧ر٥٨٧ر١٢
مدينى على نفقة الخـزنة ٢٠ر٠٠٠ر٠٠٠
للعربات التى تقل حاملى المدافع ١٢ر٠٦٩
شـــعلات للمذكورين ١ر٢٧٩
لحراس خيمة أمير الحج ٢١٥
للسياس (سايس) ٤ر٧٠٧
لشراء الزيت والكبريت اللازمين لدهن الجمـــال ١ر٤٠٤

للسردارات :

للسردارات أنفســـهم . . ٣٦٦ر٨١٤
اضافى قرره لهم الســـــلطان
مصـــطفى على نفقة الخـزنة ٥٦٣ر٧٢٧
. . . . ٩٣٠ر٥٤١
لبغـــــال السردارات . . ٤ر٨٧٩
للجبن والبصل الذى يقدم لهم ١٦ر٦٦٧
المجمـــوع ٢١ر٥٤٦
تعويضات للجنود الذين يكونون حامية قلعـــة
المويلح ، على نفقة الخزنة ١٨٠ر٤٤٠
مصروفات متناثرة تتم عند رحيل المحمل :
لادلاء (مرشدى) القافلة . ١ر٢٥٦
بريد جـــوال للقافلة . . ٥ر٥٥٩
بريد من راكبى الجمال للقافلة ٢ر٧٣٠
المجمـــوع ٩ر٥٤٥

لشراء مكاييل خشبية لكيل شعير
خيول وجمال أمير الحج ومعيته
فى القافلة ٧٩١
صدقات توزع خلال السفر ١٫٣٦٧
لتطهير الآبار الواقعة على
الطريق . . . . ٢٣٫٥٦٢
خيمة لتغطية الحوض الذى
تؤخذ منه المياه . . . ١٣٫٦٥٩
تبن للثيران المستخدمة فى
الآبار ، وبخاصة بئرا النخل
والعجرود . . . . . ١٠٫٩٢٨
التزود بالتبن فى بعض القرى
التى يمر بها المحمل . . ٦٫٨٨٠
المجموع . . . . ٥٧٫١٨٧
جمل للمبلغ فى جبل عرفات . . . . . . ٢٫٠٠٠

مصروفات تتم أثناء عودة المحمل :

ترفيهات للمحمل يقدمها
أظلم باشى وعقبة باشى . ١٩٣٫٢٧٨
موسيقى يقدمها أظلم باشى . ٨٫٥١٨
فطائر وحلويات يقدمها أظلم
باشى الى أمير الحج . . ١٧٫١٦٤
المجموع . . . . ٢١٨٫٩٦٠

ارساليات تصل الى مكة عن غير طريق المحمل :

نقود فضية وأرز لشريف مكة منها ١٫٢٠٠٫٠٠٠
مدينى على نفقة الخزنة . . . . ١٫٧١٠٫٩١٧
نقود فضية الى الشريفة أورخانة ٣٦٫٠٠٠
نقود فضية للشريفين حمزة
وحسين بركة . . . . ١٩٧٫٠٠٠
المجموع . . . . ٢٣٣٫٠٠٠

نقود فضية للأمير حاكم ينبع خصما على
نفقة الخزنة . . . . ١٨٠٫٠٠٠
ودائع لدى الروزنامجى من الأرصدة التى
خصصت فى الماضى لتوزيع المراكب التى كانت
تنقل الحبوب الى مكة والمدينة . . . . . ١٢٠٫٢٢٣
مصروفات نقل الحبوب الى قضاة مكة والمدينة ٢٣٫٥٨١
حصر وزكائب تعبأ فيها الحبوب . . . . . ٥٢٫٦٨٣
لشراء زيت القناديل لمسجدى
مكة والمدينة . . . . . ١٠١٫٦٩٨
مصروفات نقل الزيت ومنها
١٥٠ر٨ مدينى على نفقة
الخزنة . . . . . ١٦٫٩٠٤
اثمان الصناديق التى يوضع
بها ومصروفات نقل هذه
الصناديق . . . . . . ١٥٫٣٣٤
. . . . ١٣٣٫٩٣٦
ثمن شمعدانات وصناديق لاحتوائها ، منه ٦٠٫٦٢٣
مدينى على نفقة الخزنة . . . . ١٢٣٫٨١٣
حصر من الفيوم مع مصروفات شحنها . . . ٨٫١٣٨

الاجمالى . . . . ٤٢٫٠٧١٫٦٥٤ مدينى

	د	س	
تعادل	٥	١	١٫٥٠٢٫٥٥٩ جنيها توريا
وبالفرنكات		٨	١٫٤٨٤٫٠٠٩ فرنكا

والكسوة هى الاسم الذى يطلق على الطنافس والبسط التى تسلم لأمير الحج كى يكسو بها الكعبة ويزين قبر فاطمة بالمدينة ، وكانت هذه تصنع فى قلعة القاهرة . وقد رصد السلطان سليمان مبلغ ٥٢٦٫٠٠٠ مدينى لنفقات صنعها ، وارتفع السلطان مصطفى بهذا الرصيد ، لكى يجعله كافيا ، الى ٧٩٠٫٨٠٧ مدينى وهو المبلغ الذى أوردناه بالجدول . ويدير ناظر الكسوة عملية صنع وتطريز الاقمشة ، لكنه لا يحيط سوى الباشا علما بكيفية انفاق المبالغ التى حصل عليها لهذا الغرض .

وطبقا للوائح سليمان ، فلم يكن يرسل مبدئيا الى مكة والمدينة ، بمثابة اعتمادات للصرة سوى ١٠٩ر٢٣٠ر٥ مدينى كانت توزع على مساجد عدة ، وعلى شيوخ وسكان كثيرين فى هاتين المدينتين . ومنذ العام ١١٣٨ من الهجرة ارتفع هذا الاعتماد بشكل هائل فى هيئة أوراق مرتبات (جامكية)، خصصت ، بموافقة باشا القاهرة ، للانفاق على مؤسسات مماثلة لتلك التى عناها السلطان سليمان ، وعندما نبين للكثيرين أن مخصصات الصرة كانت تسدد بدقة فى حين أن حصيلة أوراق المرتبات تبدو فى حكم العدم ، فقد التمسوا أن يدخلوا فى عداد أصحاب المعاشات المستفيدين من الصرة ، وأن يحصلوا ، بهذه الصفة ، على عوائد أوراق النقد التى كانت فى حوزتهم . وقد ادى السماح بذلك من جانب الادارة الى اضافة المبالغ الآتية الى رصيد الصرة ، وهى المبالغ التى لا تزال تسدد الى اليوم الى الاشخاص الذين سنشير اليهم :

فى القاهرة :

الى أسرة الشيخ الجوهرى	٠٤٤ر٥٧٢
الى الشيخ البكرى	٩٠٠ر٢٦٠
الى الشيخ السادات	٦٣٥ر١٤٨
لاوقاف عبد الرحمن الكخيا	٥٠٣ر٢٠٩
الى نقيب الاشراف	٢٩١ر١٦٥
الى الشيخ محمد المهدى	٠٦٤ر٢٢٥
الى السيد أحمد المحروقى (تاجر) . . .	١٧٤ر١٩٦
الى ابراهيم افندى الروزنامجى	٠٠٠ر٤٠٠
الى الشيخ عبد الله الشرقاوى	٧٨٠ر١٩
الى يوسف افندى	٥٥٤ر٤٩
الى خليل افندى	٥٠٠ر١٣٧
الى حسين افندى	٢٠٠ر٧١
الى عدد لا حصر له من الاسماء رجالا ونساء	٣٩٩ر٤٦٩ر٥
	٠٤٤ر٩٢٥ر٧

فى مكة والمدينـــة :

الى كثيرين من الشيوخ والمساجد والسكان، ويدخل فى هذا المبـــلغ ١٤٣ر١٤٥ مدينى خصصها السلطان مصطفى خصـــما على الخـــزنة ٢ر٨٢٦ر٠٦٧

الاجمـــــالى ١١١ر٧٥١ر١٠ مدينى

ونتيجة لذلك فان الصرة الحالية، عندما يضيف اليهـــا مبـــلغ ١٠٩ر٢٣٠ر٥

الذى اعتمده سليمان ، تصل فى مجموعها الى ٢٢٠ر٩٨١ر١٥ مدينى

يرسل منها الى مكة والمدينة ١٧٦ر٠٥٦ر٨ مدينى ، اما الباقى وقدره ٤٤ر٩٢٥ر٧ فيعطى لمستحقيه فى القاهرة .

وهناك امر يدو وكانه هو الذى قد سهل عملية ادماج أوراق المرتبات فى اعتمادات الصرة ، وهو ان السلطان سليمان قد انشأ هذه الاوراق ، شأنها فى ذلك شأن الرواتب التى اجراها على المساجد والارامل والايتام بفئة موحدة قدرها ٥ر١٨٢ مدينى ، وعلى نفس النسق الذى يتبع عند دفع أوراق المرتبات المخصصة للجيش . وقد كان بمقدور الأشخاص والمنشآت الذين خصصت لهم هذه الأوراق ، أو الذين آلت اليهم منذ عهده ، أن يبيعوها او يتصرفوا فيها . وعندما قامت ادارة مراد بك وابراهيم بك ، توقف دفع المعاشات أو الرواتب التى كان يحصل عليها ابناء القاهرة والتى أدخلت ضمن الصرة . وعندما كان المحمل يخرج من هذه المدينة كان الروزنامجى يتوجه الى بركة الحج – وهى الملتقى العمومى للمسافرين (الحجاج) -لكى يعـــطى للخطيب ، ولصراف الصرة الجـــزء من المعاشات أو الرواتب التى تدخـــل تحت هذا التحديد والتى ينبغى ان توزع طبقا له . وتعد النقود فى حضرة كل من الكخيا والباشا وامير الحج ومفوض او مندوب من قبل قاضى القاهرة، ثم توضع فى صناديق تسلم مفاتيحها الخطيب والصراف ، وبعد ذلك يعهد بالصناديق الى أمير الحج ليضعها فيما بعد تحت تصرف هذين الموظفين فى

مكة والمدينة لكي ينفقا الاموال التى تضمها هذه الصناديق فى الاغراض التى خصصت لها . ولم يكن لشريف مكة أى حق فى أى دخل بالمعنى المفهوم ، اللهم الا اذا كان حائزا على أوراق مرتبات (جامكية) يحصل على مستحقاته طبقا لهـا .

اما المبلغ المخصص لانفاقات الآلاى ، اى ذهاب المحمل ، فيسلم الى أمير الحج الذى يتصرف فيه حسبما يتراءى له ، كما يحصل على ذلك المبلغ الذى خصصه له السلطان سليمان باعتباره مصروفات مطبخ .

وقبل عهد هذا الحاكم كان العربان يحترمون قافلة الحج ، التى كانت تنال ما تحتاجه من الحماية لمواجهة المخاطر المعتادة على يد السردارات الذين كانوا يتقدمونها ، فكان يرأسها مجرد واحد من تجار القاهرة ، يتولى تدبير أمر الانفاقات التى تفرضها الظروف من المبالغ التى بيناها ، ولكن حين بات من الضرورى التصدى لسطو البدو ، فقد أدت ضرورة احتواء وقاحتهم واطماعهم النهمة الى انتقال منصب أمير الحج الى البكوات ، وبدأ الباشا وكبار ابناء القاهرة يدفعون بأنفسهم رواتب المماليك والمغـــاربة الذين يستخدمون فى هذا الغرض . وحيث لم يكن لمثل هذا الاحتياط أن يحـول بشكل تام دون أن يسلب المحمل فى العام ١٠٧٨ من الهجرة فقد استوجب الأمر استجداء مراحم السلطان كى يدبر الوسائل الكفيلة باكتراء حرس قوى له مهابته . وقد أمر السلطان احمد بالحاق زيادة اضافية الى الميرى قدرها ١ر١٦٢ر٨٩٣ مدينى تخصص للانفاق على المحمل ، لكن هذا المبلغ كان اقل من ان يواجه متطلبات المحمل، لذا فقد اشترى أمان الطريق، بعد ذلك بوقت قصير ، مقابل اتاوة قدرها ٢ر٥٠٠ر٠٠٠ مدينى كانت تعطى للعربان الذين يشغلون الصحراوات التى كان على قافلة الحجاج أن تجتازها . وفى العام ١١١٥ من الهجرة ، رصد السلطان محمد اعانة مالية جديـــدة قدرها ٢ر٥٠٠ر٠٠٠ مدينى . واضاف السلطان مصطفى فى العـام ١١٧٤ الى الاعطيات التى قدمها اسلافه ٣ر٧٥٠ر٠٠٠ مدينى ، وحيث سلك هـذان السلطانان (محمد ومصطفى) ، كى يحصلا على الارصدة المطلوبة ، نفس الطريق التى سلكها السلطان احمد ، فان مبلغ الـ ٧ر٤١٢ر٨٩٣ مدينى الناتجة عن المنح التى قدموها مجتمعين ، يشكل زيادة فى المال الميرى

وزعت على كل قرى مصر ، وجبيت منها فى الوقت نفسه باعتبارها ضريبه(١) . ومع ذلك فقد ظلت نفقات المحمل تتزايد بصفة دائمة ، ذلك أن الاتاوات المالية التى تدفع الى بعض القبائل العربية لم تكن تعفى أمير الحج من اكتراء حراس يزيد عددهم مرة بعد أخرى بسبب الخيانات التى يرتكبها نفس البدو الذين تم الاتفاق معهم ، وكذلك بسبب اعتداءات لم تكن متوقعة من جانب بدو آخرين لم يحصلوا على نصيبهم (من الاتاوة) من القبيلة ، وبعد خمس سنوات من الاعانة التى رصدها السلطان مصطفى ، حصل باشا القاهرة من نفس السلطان على زيادة قدرها ١٠٧ر٥٨٧ر٢ مدينى ، واضاف السلطان عبد المجيد فى عام ١١٨٧ الى كل ذلك مبلغ ٠٠٠ر٠٠٠ر٥ مدينى ، بحيث بلغ اجمالى الزيادات التى الحقت بنفقات المحمل ٠٠٠ر٠٠٠ر٢٠ مدينى ، اما مبلغ الـ ١٠٧ر٥٨٧ر١٢ مدينى التى تشكل الاعانات الثلاث الأخيرة فكانت تدفع خصما على نفقة الخزنة دون أن تتسبب فى تقرير أية زيادات على المال الميرى . وعلى الرغم من أن المبالغ التى يحصل عليها أمير الحج من مصادر مختلفة أصبحت أعلى بكثير من تلك التى خصصت له فى البداية ، وبرغم انه كذلك كان يرث كل متعلقات من يموتون من الحجاج اثناء الطريق ، فقد كانت مهمته هذه لا تعود عليه بنفع كبير ، اذ كان يلزمه أن يكترى المماليك والمغاربة الذين يشاركون فى الحرس ، كما كانت هناك الاتاوات التى يقدمها للقبائل العربية بالاضافة الى مصروفات توفير المؤن وتدبير وسائل النقل الواجب توفيرها لكل من الحق بالخدمة العامة بالمحمل ، ولم يكن هؤلاء يؤجرون على نفقة خزينة السلطان ، أو كانوا يؤجرون ولكن على نحو غير كامل ، كان كل ذلك بالمثل يقع على عاتقه هو ، حتى أن وجوه الانفاق هذه كانت تمتص الاعتمادات التى ينفق منها بشكل تام(٢) .

---

(١) تدخل هذه الزيادة كما سبق لنا القول ضمن بيان الميرى المفروض على كل ولايات مصر .

(٢) تميز كثير من البكوات بالذود عن قوافل الحج ، وكانت هذه القوافل لا تهاجم عادة الا عند العودة ، اذ أن العربان الذين يقدسون بدورهم حج الكعبة لا يريدون ان توجه اليهم تهمة منعه . وبرغم أن حسين بك كشكش قد رفض باصرار أن يعطيهم الاتاوة المعتادة فانهم لم يستطيعوا مطلقا أن يسلبوه جملا واحدا ، فكان يعد رجاله عند منافذ الطرق التى كان العربان يختارونها عادة لممارسة انتهاباتهم ، و يقتسم معهم الاتاوة المالية

ويحصل شيخ نجارى العربات فى القاهرة على المبلغ الذى رصده له سليمان مقابل قيامه بصيانة عربات المحمل ، مع قيامه ، بالاضافة لذلك ، بتوفير العمال اللازمين لأداء هذا العمل .

وبحرس خيمة أمير الحج أثناء الليل خمسة مراقبين ، يتصايحون من وقت لآخر ، منادين بعضهم البعض ، كى يطردوا النوم عن جفونهم ، بعبارات : وحد الله ، صل على النبى ، وبخلاف الراتب الذى بجريه لهم أمير الحج يحصل كل واحد منهم على حصته من الـ ٢١٥ مدينى ، وهو الاعتماد المخصص لتدبير هذه الحراسة .

وقد أمر السلطان سليمان أن يتبع المحمل أربعة عشر سردارا يؤخذون من الاوجاقات ومعهم سرايا من فرقهم العسكرية ، ويتولى سبعة من هؤلاء الضباط قيادة فرقة الحرس (حرس المحمل) ، أما الاخرون فيتوجهون الى جدة كى يتولوا قيادة الطابية ، وليحلوا محل زملائهم الذين عملوا هناك طوال العام السابق . ومنذ على بك ، توقف تعيين السردارات الذين عليهم البقاء فى طابية جدة . وكان السلطان سليمان قد رصد لهؤلاء ولاولائك ، على حد سواء ، راتبا سنويا قدره ٣٦٦٫٨١٤ مدينى ، تعطى لهم فى شكل أوراق مرتبات غير قابلة للتحويل (بالبيع أو التنازل) ، لأنها تعد من ملحقات مناصبهم وليست ملكيات خاصة ، وقد حال ذلك دون تدهور قيمتها ، كما كان سببا فى أن السردارات السبعة الذين اقتصر على تعيينهم منذ التجديدات التى ادخلها على بك قد حصلوا على اجمالى هذا المبلغ ، وكان هؤلاء مثقلين بكثير من النفقات ، لحد أصبحت معه هذه المهمة عبئا عليهم ، برغم أن السلطان

= التى يطلبها أولئك اذا ما قاوموا المعتدين ، وقد نجحت هذه الوسيلة ، وانتهى الامر بانتفاء كافة الاخطار ، لكن العربان لم يستمروا على هذه الحال السيئة مع خلفائه ، بل انهم لم يصلوا فقط الى تأكيد حصولهم على الاتاوة مرة أخرى ، بل لقد استعادوا متأخراتهم ، أى ما كان كشكش بك قد رفض أن يسدده لهم ، وفى عام ١٢٠٠ من الهجرة نهب بشكل تام المحمل الذى كان يقوده محمد بك المبدول ، وبعد ذلك بسنوات ست تعرض المحمل مرة ثانية لنفس الكارثة ، وان كان صحيحا ما يؤكده البعض من أن مراد وابراهيم قد ظاهرا العربان على ارتكاب عملية السطو هذه ، كى يتخذا منها ذريعة لابعاد عثمان بك طوبال ، قائد المحمل فى هذه السنة ، عن المناصب التى كان يشغلها .

قد رصد لهم على نفقة الخزنة اعتمادا اضافيا قدره ٥٦٣٫٧٢٧ مدينى . ومع ذلك ، فنادرا ما كانت ترفض هذه المناصب . فقد كان من الضرورى شغلها حتى يمكن الترقى الى وظائف اعلى .

وكان السردارات الذين يختارون من أوجاقات جامولیان ، وتفكجيان وعزبان ، ومتفرقة ، يحصلون على ٤٫٨٧٩ مدينى مقابل شراء البغـلات اللاتى يمتطونها خلال رحلتهم ، ويصرفون خلاف ذلك اعتمادا قدره ١٦٫٦٦٧ مدينى مقتسمين اياه مع السردارات الثلاثة الاخرين وذلك للتزود بالمؤن من بصل وجبن .

وكان أوجاق المتفرقة يوفر الحامية التى تشغل قلعة المويلح الواقعة فى الصحراء ، فى ثلث الطريق بين مكة والقاهرة . ويحصل الاغا ، قائد هذه الحامية ،من الروزنامجى على مبلغ ١٨٠٫٤٤٠ مدينى ، سـبق أن رصدها السلطان مصطفى خصما على نفقة الخزنة ، وذلك قبل رحيل المحمل بشهرين أو ثلاثة اشهر ، حيث كان يرحل فى ذلك الوقت المبكر ، كى يحل محل الحامية التى كانت تعمل هناكخلال السنة السابقة . ويوزع هذا المبلغ على الجنود كتعويض ، لكنه لم يكن ليحول دون حصولهم على رواتبهم المعتـادة .

وعند عودة المحمل الى القاهرة ، يرسل أمير الحج عند وصوله الى طابيتى العقبة ونخل مشاة يبلغون الباشا والبكوات بوصـوله . وفى الأحوال الأخرى ، كان يبعث بطلباته ورسائله عن طريق أربعة أشخاص من راكبى الجمال . ويحصل هؤلاء وأولئك من الروزنامجى على المبـالغ المبينة بالجـدول .

وعلى بعد مسيرة سبعة أيام من القاهرة ، يجد الناس فى قلعة نخل، وكذلك فى قلعة العجرود ، وفى بعض أماكن أخرى آبارا تستخدم لسقاية المحمل ولتجديد مئونته من المياه ، وقد رصد السلطان سليمان اعتمادات مالية لتطهير هذه الآبار وكذلك لتطهير احواضها التى تستقبل المياه التى تنزح منها . كما حرص على رصد أموال لشراء التبن الذى تتغذى عليـه الثيران المستخدمة فى نزح المياه . ويسبق المحمل ، السقاءون العاملون فى خدمة أمير الحج ، لملء الاحواض ، ولاقامة خيمة يقومون فى حمايتها بتوزيع المياه على الحجـاج .

أما المبلغ (بضم الميم وبكسر اللام مشـددة) فيعلن للمؤمنين أوقات

الصلاة ، ويكرر ما يلفظ به الامام . ويقوم بنفس هذا العمل فوق جبـــل عرفات ، وطبقا لترتيب استنه سليمان ، كان لابد أن يتم تدبير الجمل الذى يركبه هذا الرجل ، بصفة عاجلة ، مقابل ٢٫٠٠٠ مدينى ،يتم التصرف فيها على يد الشخص الذى يقوم بجباية رسم الخردة ، فحيث كان لهذا الاخير حق التفتيش على أسواق دواب الجمل ، فقد كان بستطيع ، بسهولة اكبر مما يستطيع بها أى شخص آخر ، أن يقوم بهذه الخدمة .

ويعين الاظلم باشى (*)، وهو الموظف الذى عليه أن يسير امام ركب المحمل ومعه المرطبات للامير وللحجاج ، من قبل الباشا وبترشـــيح من البكوات ، ويصل هذا الموظف الى منطقة اظلم عادة قبل وصول المحمل الى هذا المأوى أو المبيت بيومين ، وفيما مضى كان المحمل يصل الى طابية العقبة موظف آخر ومعه مؤن أخرى ، وعندما الغى على بك اعتماد هذا الأخير ، وجمع منصبى وراتبى هذين المبعوثين ، لم يعد الحجاج يجدون المرطبـــات التى حرص سليمان على توفيرها لهم الا فى أظلم . ويتولى الأظلم باشى شراء ونقل المأكولات التى يجلبها مقابل المبالغ الآتية :

على نفقة الميرى :

باعتباره يشغل وظيفة أظلم باشى . ١٣٤٫٣٥٨

باعتباره يشغل وظيفة عقبة باشى . ٥٨٫٩٢٠

. . . . ١٩٣٫٢٧٨

على نفقة مال الجهات الذى يشكل جزءا من الكشوفية القديمة :

من حاكم ولاية الجيزة . ٩٤٫٠٠٠

من حاكم ولاية البحيرة . ٣٠٠٫٠٠٠

من حاكم ولاية الغربية . ٢٠٠٫٠٠٠

المجموع . . . . ٥٩٤٫٠٠٠

وعندما أراد محمد بك أن يجعل الاظـــلم باشى فى وضع يكون معه قادرا على الوفاء بالنفقات التى تقع على عاتقه والتى أصبحت بمرور الوقت اكثر تكلفة ، فقد كلف حكام الولايات المشار اليها فيما بعد أن تدفع له

(*) اظلم أو ازلم باشى ، نسبة الى قلعة الأزلم التى تقع الى جنوب العقبـــة . (المترجم)

المبالغ الآتية ، كمصـــاف الى ضريبة
اســلامية :

على نفقة مال الجهات :

من حـــاكم ولاية الشرقية	٢٥٠ر٠٠٠
من حاكم ولاية القليوبيـــة	٢٠٦ر٥٥٠
من حاكم ولاية المنصورة	٣٠٠ر٠٠٠
من حاكم ولاية الغربيـــة	٤٠٠ر٠٠٠
من حاكم ولاية المنوفيـــة	٥٢٥ر٠٠٠
المجموع	١ر٦٨١ر٥٥٠

اجمالى ما يدفع على نفقة مال الجهات : ٢ر٢٧٥ر٥٥٠

وفى الأزمنة الاخيرة ، اعطى أمير الحجالى الأظلم باشى من حصيلة الاعتمادات غير الاعتبادية التى كانت ترصد له على التوالى مقابل مصروفات المحمل ، مبلغ . . . ٧٥٠ر٠٠٠

الاجمالى العام لما يحصل عليه أظلم باشى . ٣ر٢١٨ر٨٢٨

وقد اخذ اظلم باشى على عاتقه أن يقدم كافة أنواع المعـــونات أو المساعدات التى كان يرغب اهل الحجاج فى ارسالها اليهم . وكان يحمى موكبه حرس يتكون من ستين مماوكا ، ومن ثلاث قطع من المدفعية ، ويصحب فى موكبه فرقة موسيقية يحملها اثنا عشر جملا ، وتشتمل على عدة طبول أو صناديق من احجام مختلفة ، وبوقين أو نفيرين ، ودفين ، ومزمارين ، وتطلق هذه الفرقة انغاما كثيرة عندما يصل المحمل الى الأزلم أو الى العقبة ، وقد رصد اعتمادا قدره ١٧ر١٦٤ مدينى لشراء وتقديم الحلوى الى امـــير الحج . والأظلم باشى هو على الدوام كاشف مملوك ، له حظوة لدى واحد من البكوات ذوى النفوذ . وفى الأزمنةالاخيرة ، كان يحصل عقب رجوعه من رحلته ، على حكم ولاية الشرقية ، باعتبار ذلك حقا قانونيا له .

ولم يكن المحمل المتجه الى مكة والمدينة هو كل ما كانت ترسله الى هاتين المدينتين اريحية السلاطين الخيرة ، فالنقود والحبـــوب والزيوت والشمعدانات والحصر التى تفرش فى دور العبادة أو تخصص لاستخدام شريف مكة وعدد من السكان ، كان كل ذلك يصل الى هناك فى ارساليات متباعدة :

أما المعاش المخصص لشريف مكة فكان يبلغ فيما مضى	٣٤٠٫٠٠٠ مدينى
ويقدر الارز الذى كان يرسل له عينا بـ .	١٧٠٫٩١٧ مدينى
وعندما أضاف الى ذلك السلطان مصطفى على نفقة الخزينة مبلغ	١٫٢٠٠٫٠٠٠
فقد بلغ اجمالى المعاش المخصص له	١٫٧١٠٫٩١٧

أما المعاشات التى كانت من حق الشريفة أورخانة والشريفين حمزة وحسين بركة فقد احتفظت بنفس قيمتها المبدئية ، ومع ذلك ، فبدلا من أن يرسل لهؤلاء مبلغ ١٦٩٫٠٠٠ مدينى نقدا و ٢٨٫٠٠٠ مدينى عينا فى شكل أرز ، كما كان يحدث من قبل ، بات يعطى لهم ١٩٧٫٠٠٠ مدينى فى شكل مسكوكات (قطع نقدية) .

ويمر المحمل بينبع ، وهى مدينة وثغر تقع على البحر الأحمر فى منتصف المسافة بين مكة والقاهرة . وقد حصل حاكمها ، وهو دوما من أقارب شريف مكة ، من السلطان مصطفى على راتب سنوى قدره ١٨٠٫٠٠٠ مدينى ، على نفقة الخزنة ، دون أن يكون ملزما بأية انفاقات لخدمة المحمل .

أما الحبوب التى ترسل الى مكة والمدينة فكانت توفرها المخازن العمومية ، وطبقا للجدول الذى سبق أن قدمناه عن استخدامات الميرى العينى (أى الذى يسدد فى شكل حبوب ومواد غذائية) فقد كانت الحبوب المرسلة الى هناك تبلغ ٦٤٫٠٥٣ أردبا من الشعير تعادل عند تحويلها الى قمح ٤٢٫٧٠٢ أردبا، وكان افندى المتفرقة يحصل على ٧٦٢٫٣٦٩ مدينى مقابل نقلها من القاهرة الى السويس ، أما قبطان بك ، حاكم هذه المدينة، فيحصل على ٩٧٥٫٠٠٠ مدينى كى يرسلها الى جدة بالاضافة الى راتب قدره ١٠٠٫٠٠٠ مدينى ، وكانت تقوم بنقلها الى الميناء الاخير خمسة عشر صندلا يلتزم الباب العالى بتجديدها عندما لا تعود صالحة للعمل ، وتقع نفقات صيانة هذه العمائر وكذلك أجور بحارتها على عاتق حاكم السويس، وقد سبق لنا القول بأن هذا الضابط لم يكن خاضعا لاوامر حكومة القاهرة ، كذلك فانه لم يكن يحيط بتحركاته علما الا للسلطان ، وحين بذل على بك محاولاته لنيل الاستقلال لاذ القبطان بك بالفرار ، وبدلا من أن يقوم على (بك) بارسال حبوب الى السويس ، كتب الى شريف مكة كى يسعى

لتسلمها بالقاهرة ، وحين أقر القبطان باشا ذلك الترتيب الذى أعفى الادارة المصرية من نقل هذه الحبوب الى السويس ثم الى جدة ، ظل شريف مكة يعمل على تسلمها على نفقته ، وهكذا انخفضت المصروفات التى تتصل بهذا الأمر الى مبلغ الـ ٢٢٥ر١٢٠ مدينى التى أوردناها بالجدول باعتبارها خصما أو تنازلا تم لحساب الروزنامجى مقابل الأجور التى كان بدفعها فيما مضى الى قائد السويس وأفندى المتفرقة . أما مبالغ الـ ٣٦٩ر٧٦٢ والـ ٠٠٠ر٩٧٥ والـ ٠٠٠ر١٠٠ التى كانا يحصلان عليها فقد بقيت فى الخزنة مما زاد من حجمها بنفس هذا القدر ، منذ أن توقف استخدامها .

أما قاضيا مكة والمدينة فقد كانا ملزمين باستجلاب الحبوب المرصودة لهما من القاهرة ، ويحصلان فى مقابل مصروفات نقلها على مبلغ الـ ٥٨١ر٢٣ مدينى (التى وردت بالجدول) .

وحيث قد زادت أسعار الزيت منذ عهد السلطان سليمان ، فى حين لم تزد الأموال المرصودة (لشرائها) فان الكمية التىترسل منه اليوم هى أدنى بكثير مما كان يشتريه من قبل المبلغ المرصود لذلك ، وفيما مضى كان يمنح كمصروفات لشحن هذه المادة من القاهرة الى السويسمبلغ ٧٥٤ر٨ مدينى . ثم خصص السلطان مصطفى لذلك اعتمادا اضافيا قدره ١٥٠ر٨ مدينى على نفقة الخزنة .

ويبلغ عدد الشمعدانات المخصصة لمسجد المدينة اثنين ،ولابد أن يزن كل واحد منهما نحو ٥٠٠ رطل ، وكانا يوضعان بجوار قبر النبى، ولم تكن نفقات صنعهما وشحنهما لتتجاوز فيما مضى ١٩٠ر٦٣ مدينى ، وان كان هذا الضرب من الانفاق قد ارتفع الى الـ ٨١٣ر١٢٣ مدينى الواردة بالجدول ، وذلك عندما خصص السلطان مصطفى لهذا الغرض اعتمادا اضافيا قدره ٦٢٣ر٦٠ مدينى على نفقة الخزنة .

أما الحصر ، فكان يقوم بتوفيرها كاشف ولاية الفيوم، فى حدود المبلغ المرصود لها ، والذى كانت تخصم منه نفقات النقل ، وتخصص هذه الحصر لتغطية أرض المساجد الكائنة بمكة والمدينة .

الفصـــل الثـــانى

الانفاقات التى تقع على عاتق أصحاب المناصب

سبق لنا القول بأن رواتب أصحاب المناصب تتكون من ضرائب غير مباشرة يمارسون جبايتها ، ومن الامتياز الذى منح لهم فى شكل قطعة من الأرض . واذا كان هذا النظام الادارى يقلص من جهة حصيلة العوائد التى خص بها السلطان نفسه ، فانه من جهة أخرى قد أعفاه من تحمل بعض الانفاقات العامة .

وسنوضح تلك الانفاقات التى كان على الباشا والبكوات أن يسهموا بها ، لكننا لن نشير على الاطلاق الى بقية الانفاقات التى كانت تقع على عاتق الوظائف الأدنى ، بسبب ضآلة أهميتها .

أولا ــ الانفاقات التى تقع على عاتق الباشا :

يقتضى الأمر منا ، بسبب ذلك التفويض الذى حصـــل عليه الباشـــا والبكوات ، باحداث تغيير فى الدخول وفى الانفاقات التى تتم لحســـاب السلطان ، شريطة أن يعوضوا من مالهم الخاص أى تخفيض فى الضرائب أو مستحقات يريدون أن يرفعوها عن كاهل أحد الممولين ، وأن يضـــمنوا للخزينة ، فى حالة زيادة أو خلق انفاق جديد ، المال اللازم لتســـديدها ــ يقتضى منا كل ذلك أن نورد هنا ــ وفى داخل هذا الاطار ــ الحصـــة التى كان يسهم بها الباشا فى تسديد الميرى المقرر على الفرق العسكرية أو على الافراد ، على النحو الآتى :

عن الأوقاف الأهلية الثمانية الخاضعة للميـــرى	١٧٨ر١٢٠	مدينى
عن الكخياوات الثـــلاثة لأوجاقات جامولیـــان وتفكجيان وشراكسة	٦٠٠٠ر	
عن أمين الاحتســـاب	١٧٤ر٥١٩	
عن الولاة الثلاثة للقاهرة ومصر العتيقة وبولاق	٤٦ر٣٩٢	
عن أوجاق الانكشارية كجزء من الميرى المقرر على جمرك الاســـكندرية	١ر٣٣١ر٢٤٩	
عن أوجاق العزبان عن الرسوم المسماة بحرين	١٦٠ر٠٠٠	
الاجمـــــالى	١ر٨٣٨ر٣٣٨	

ولم يبين السلطان سليمان مطلقا ، بشكل رسمى مدى وحجم ذلك العدد الكبير من الانفاقات التى وضع على عاتق الباشا مهمة الوفاء بها ، فيما عدا الميرى المقرر على منصبه وكذا الميرى المفروض على العوائد والدخول التى اجراها عليه ، ولكن العادة ، وهى هنا تقوم مقام الرغبة الصريحة ، قد حددت الرواتب أو المعاشات التى كان عليه أن يعطيها لكل من يعملون فى قصره ، وللروزنامجى ، ولبقية الافندية بالاضافة الى ما عليه أن يقدمه من هدايا وخلعات وقفاطين كان يتلقاها رؤساء الفرق العسكرية أو الرؤساء الذين يلتحقون بخدمة الحكومة أو بالادارة والتى تقدم اليهم فى احتفالات عامة تقام احتفالا بتوليتهم هذه المناصب .

ثانيا — الانفاقات التى تقع على عاتق البكوات أو الكشاف حكام الولايات :

تقررت الانفاقات التى يقوم باعبائها البكوات أو الكشاف حكام الولايات ، طبقا للوائح السلطان وحكومة القاهرة ، مستقلة عن الميرى المفروض على مناصبهم ، وتدفع هذه الانفاقات عن ذلك الجزء من عوائد الارض ، والمسمى كشوفية ، وهو ما كان هؤلاء الحكام يجبونه من الملتزمين.

ويوضح الجدول الاتى ، حجم وموضوعات هذه الانفاقات .

	إلى أظلم باشي الضابط الذي يسير في مقدمة المحمل	إلى الشوربجي والضباط وجنود الفرق المنتشرين في الولايات	رواتب الموظفين وغيرهم من التابعين للحكام ونفقات أخرى تقع على عاتقهم	الرسوم التي ينبغي على الحكام أن يدفعوها للباشا	الإجمالي
	مديني	مديني	مديني	مديني	مديني
حاكم ولايات قنا وإسنا وجرجا وسيوط	—	—	٦٥٩,٩٣٧	٢٢٧,٤٢٥	٨٨٧,٣٦٢
« منفلوط	—	—	٤٢٠,٢٤١	٢٠٠,٠٠٠	٦٢٠,٢٤١
« المنية	—	—	٨٥٣,٣٩٦	—	٨٥٣,٣٩٦
« بني سويف	—	٥٢٧,٣١٦	١,١٩٧,١٩٠	١٦٧,٠٨٥	١,٨٩١,٥٩١
« الفيوم	—	—	٤٤,٧٢٥	٥٠٠,٠٠٠	٥٤٤,٧٢٥
ليست هناك أية انفاقات مقررة على ولاية اطفيح	—	—	—	—	—
حاكم الجيزة	٩٤,٠٠٠	—	٨٤٦,٩٩٦	٢٥,٠٠٠	٩٦٥,٩٩٦
« القليوبية	٢٠٦,٥٥٠	٢٤٣,٥٠٤	٦١٣,٢١٧	—	١,٠٦٣,٢٧١
« الشرقية	٢٥٠,٠٠٠	٦٠٨,٥٥٠	١,١٦٠,٠٣٣	٣٥,٤٨٥	٢,٠٥٤,٠٦٨
« البحيرة	٣٠٠,٠٠٠	٥٥١,٩٤٦	١,١٠٧,٥١٨	٢٤٧,٢٣٨	٢,٢٠٦,٧٠٢
« المنصورة	٣٠٠,٠٠٠	٦٦٩,٧٧٨	١,٣٩٩,٨٤٣	١٥٢,٤٢٧	٢,٥٢٢,٠٤٨
« الغربية	٦٠٠,٠٠٠	٨٩٩,٧٤٣	١,٩٨٠,٦٧٤	٦٥٩,٩١٥	٤,١٤٠,٣٣٢
« المنوفية	٥٢٥,٠٠٠	٨٩٥,٤٧٦	٩٥٧,٦٧٠	٢٠٧,٦٤٠	٢,٥٨٥,٧٨٦
الاجمالي	٢,٢٧٥,٥٥٠	٤,٣٩٦,٣١٣	١١,٢٤١,٤٤٠	٢,٤٢٢,٢١٥	٢٠,٣٣٥,٥١٨

ويعادل الاجمالي العام ١٠ س ٧٢٦,٢٦٨ ل ت

وبالفرنكات ٢٢ س ٧١٧,٣٠١

وكنا عند حديثنا عن اظلم باشى قد عرفنا بوجوه انفاق الاعتمادات التى كان يحصل عليها من البكوات باسم : اسلامية من عوائد مال الجهات(١) .

ويشتمل العمود الثانى (فى الجدول السابق) على الأجور او الرواتب التى كان على اصحاب المناصب أن يسددوها للشوربجى ، ولفرسان اوجاقات تفكجيان وجامولیان وشراكسة وبصفة عامة الى كل رجال الاوجاقلو العاملين فى دوائرهم ، لكن هذا الضرب من الانفاق لم يكن ليبقى اى نفع للبكوات اذ يبلغ حجمه نفس عائد الضريبة التى انشأها سليمان لتوفير هذه الاعتمادات(٢) .

أما العمود الثالث فيتكون من الانفاقات التى أدت الى نشأة رسوم الكلفة .

وتوضح البيانات التالية وجوه انفاقها :

رواتب متنوعة تدفع الى موظفين وغيرهم من التابعين لاصحاب المناصب .

صيانة الجسور والترع السلطانية .

عادات قاضى الولاية .

عادات دجانجى باشى .

عادات الجيبجى باشى .

عادات مفتش الموازين .

البهائم التى تذبح لتوزيع لحومها على الفقراء أثناء بعض الاعياد .

عادات معتادة لبعض المشايخ ولاضرحة الاولياء .

عادات للمساجد .

اتاوات تدفع للعربان .

أجر العامل المكلف بعمل القهوة للفرقة .

عادات للاغا على الحبوب .

صيانة الآبار العامة .

---

(١) انظر ص ٢٢٩ .

(٢) انظر فى جدول الكشوفية ص ٥٩ خدم العسكر .
وهنا ، كما فى كل أقسام هذا المؤلف ، تبدو الأقوال التى تتكرر فى معظم الاحيان ، عن تفكك أو تحلل الاوجاقات متعارضة مع ذلك الحرص=

الوليمة التى يلتزم باقامتها الحاكم للشوربجية عند مغادرتهم للولاية اكراميات للمذكورين .

وعندما كان البكوات أو الكشاف يبداون فى تملك زمام الولايات التى آل اليهم حكمها ، كان الباشا ورجال قصره يجبون منهم رسم تنصيب يتضمن المبالغ التى تكون العمود الرابع .

ومع ذلك فلا ينبغى أن نضم هذه الانفاقات الى تلك المصروفات الناتجة من استخدام الميرى والتى تنفق فى وجوه انفاق مماثلة . وقد سبق أن لاحظنا أن مبلغ الـ ١٩٣ر٢٧٨ مدينى التى تفرض على الميرى لتشكل اعتمادا يمنح لاظلم باشى ، كانت تسدد مستقلة عن الـ ٥٥٠ر٢٧٥ر٢ مدينى التى يحصل عليها هذا الضابط مباشرة من حكام الولايات . ونلاحظ نفس الشىء فيما يختص بخدمة العسكر التى يدفعها هؤلاء الحكام للجنود المنتشرين فى الولايات ، فهى تتطابق فى غرضها مع تذاكر الجاويشية التى كان هذا الاوجاق يحصل عليها من الروزنامجى .

وكان البكوات يحرصون على دعم مماليكهم وذلك بأن يوزعوا عليهم مناصب الدولة او قرى مصر(١) . وكانت دخولهم ، بوصفهم ملتزمين ، توفر لهم الوسائل التى تكفل لهم دفع رواتب لاولئك الذين ليست لهم مناصب أو الذين لا يجرى لهم راتب من أى نوع ، مع العناية بأمورهم .

=

الواضح على بقاء الانفاقات التى انشئت لصالحها ، وحيث لم تصل روح الاستقلال التى تميز بها البكوات مطلقا الى تخريب او تلب فعلى لقوانين السلطان ،وحيث احتفظت الاوجاقات لنفسها بوجود شكلى عن طريق عدد ضئيل من الاتراك يشغلون فيها بعض الرتب تليلة الاهمية أو التى نزعت عنها اختصاصاتها القديمة . فقد ظل هؤلاء الضباط ينظرون لانفسهم باعتبارهم خلفاء للاوجاقلو القدماء ، وفى نفس الوقت فان المماليك الذين اغتصبوا — ربما — كل الوظائف العليا التى كان رجال الاوجاقلو يشغلونها ، قد أبقوا على هذا النظام العسكرى بأنكانوا يخلعون على أنفسهم نفس الالقاب التى كان يتصف بها رجال الفرق العسكرية .

(١) عندما وصل الجيش الفرنسى الى مصر ، كان البكوات ومماليكهم ملتزمين لاكثر من ثلثى القرى ، وكانوا ، بالاضافة الى ذلك ، وكما سبق لنا أن لاحظنا ، يتمتعون بأكبر قدر من الرسوم غير المباشرة .

ويتمم بيان هذه المصروفات ، التى كان يتم انفاقها على جماعة كانت تكون فى الأزمنة الاخيرة الوضع العسكرى لمصر ، تلك الانفاقات التى كان على أصحاب المناصب ان يوفوا بها .

الفصـــل الثـــالث

موجز بالانفاقات التى تقع على عاتق السلطان

بينا من قبل تلك الانفاقات التى كان يقع على السلطان عبء تدبيرها من الميرى الذى يستبقيه لنفسه ، ولما كانت تلك الانفاقات التى ذكرناها فى الفصل الاسبق مستقلة عن تلك التى نشير اليها ، برغم اتصالها بأعمـــال الصالح العام . ولانها لم تكن لتدخل مطلقا مثل الاخريات فى الحساب العام، ولأن السلطان لم يكن يأخذ بها علما الا ليتأكد من أنها قد أنفقت ، فاننا لن نتناولها فى بقية هذا المؤلف .

واليكم موجزا للجداول التى قدمناها عند حديثنا عن الانفاقات التى يقع عبئها على عاتق السلطان .

	بالمدينى	بالجنيه التورى			بالفرنكات	
		د	س	ل	س	ف
رواتب مخصصة لموظفين متفرقين	٢,٩٣٩,٢٤٧	٢	٢	١٠٤,٩٧٣	١٤	١٠٣,٦٧٧
مصروفات الجيش	٢٩,٨٧٢,٦٥٧	١	١٢	١,٠٦٦,٨٨٠	٣١	١,٠٥٣,٧٠٩
د مختلفة	٢,٦٥٣,٥٨٠	١٠	١٧	٩٤,٧٧٠	٩٠	٩٣,٦٠٠
معاشات	٨,٤٣٨,٩٩٤	١٠	١٢	٣٠١,٣٩٢	٧٧	٢٩٧,٦٧١
أعمال ومؤسسات خيرية	١٣,٨٩٢,١٣٩	٥	١٦	٤٩٦,١٤٧	٥٤	٤٩٠,٠٢٢
محمل مكة	٤٢,٠٧١,٦٥٤	٥	١	١,٥٠٢,٥٥٩	٨	١,٤٨٤,٠٠٩
الاجمالى	٩٩,٨٦٨,٢٧٦	٩	٢	٣,٥٦٦,٧٢٤	٧٤	٣,٥٢٢,٦٩٠

ولقد سبق لنا أن عرضنا عند تقديمنا موجزا بدخول السلطان لوظائف الأفندية الموكلين بأمور الجباية ، ولذا فان من المناسب ان نبين هنا اختصاصات أولئك الذين يديرون عمليات الانفاق .

يختص افندى المقابلة بسجلات رواتب الموظفين ومصروفات الجيش ، والانفاقات المتنوعة والمعاشات ، والأعمال والمؤسسات الخيرية التى رصد لها السلطان اعتمادات نقدية ، ويلتزم هذا الافندى بأن يدون فى سجلاته التغيرات التى تطرأ على أولئك الذين يفيدون منها . ويمسك افندى الكسوة بسجل يوضح كل النفقات التى تنتمى لنفس هذا النوع . وهو يحتفظ بسجل المعاشات التى تكون الصرة ومصروفات المحمل . وهناك افندى ثالث يختص بكل النفقات التى تنجم عن أوراق المرتبات (الجامكية) ، فينظم عمليات صرفها مع أفندية الاوجاقات ، وبشكل عام مع كل من يمكنه الحصول على أوراق مالية من هذا النوع . أما افندى المحاسبة فيمسك بحساب كل ما يرسل الى الباب العالى نقدا او فى شكل مواد غذائية ، وكذلك بحساب أية مصروفات تتم على نفقة الخزنة . وينصرف نشاط افندى اليومية الى حصيلة أوقاف الحرمين ، التى تصب حصيلتها كما سبق لنا القول بين يدى الروزنامجى . ولم يكن هؤلاء الافندية يسددون اى شيء بأنفسهم ، وانما كانوا يسحبون المخالصات وغيرها من المستندات من الاطراف المستفيدة ، ليبدلوها بحوالات قابلة للدفع من صندوق الروزنامجى . ولم يكن الصراف الموكل بالدفع يسدد قيمة الحوالات التى سلمها هؤلاء الافندية ، الا بعد ان يؤشر عليها بختمه باش حلفا المصروفات وذلك بعد أن بطابقتها على بيانات السجل العام الذى يمسكه لكل الانفاقات التى تقع على عاتق الخزينة ، وبعد أن يتأكد من بنود ودوافع الانفاق . ويقدم الافندية حسابات سنوية بحصيلة أوراق أو مستندات الانفاق التى حصلوا عليها من المستفيدين منها . ويتسلم الروزنامجى هذه المستندات ، فهو المركز الوحيد الذى تتجمع لديه كل التحصيلات وكل الانفاقات. وكل الافندية والحلفا هم مرءوسون للروزنامجى وان لم يكن بمقدوره أن يغير من النظام الذى يحدد اختصصات وظائفهم ، ويخضع له كذلك افندية الفرق العسكريةبرغم أنهم يعينون بمعرفةأوجاقاتهم،

وهو يحاسبهم على الأموال التى اودعت اديهم ، كما كان يسلمهم كل عام الاعتمادات التى رصدت لكل أوجاق ، ليقوموا بتوزيعها طبقا لتعليماته.

وحيث يتملك هؤلاء الأفندية ، سواء منهم من يعمل بالتحصيل أو من يوكل بشئون الانفاق ، وظائفهم ، وحيث كان لهم حق بيعها أو توريثها ، فلم يكن بالمستطاع انتزاع هذه الوظائف عنهم بشكل تعسفى ، ولم يكن الروزنامجى يتفحصهم الا لكى يتأكد من أن الكفاءة اللازمة لممارسة عماهم متوفرة لديهم ، ومع ذلك فقد كان هؤلاء يرغمون على بيع وظائفهم حين لا يجد الروزنامجى لديهم المعرفة الكافية ، أو عندما يخل هؤلاء بواجباتهم عند ممارستهم لوظائفهم . ويحصل الروزنامجى ، باعتباره ابنا للديوان ، على مشورة هذا الديوان بالنسبة لكل ما يتصل باختصاصاته . ووظيفته غير قابلة للنقل (أو انه هو غير قابل للعزل) ، وكان محرما عليه ، وعلى كل مرءوسيه كذلك ، تقديم أقل او أوهى معلومة الى اى مخلوق ، كائنا من كان، عن موارد ومصروفات وادارة مصر الا بعد حصوله على اذن محدد وصريح من السلطان أو من الباشا . وهذه الأسرار التى اتبعت باخلاص وأمانة ، هى التى اضفت الكثير من الاعتبار والاهمية على هؤلاء الأفندية . وكانوا — هم — غيورين على ذلك لدرجة أنهم استخدموا فى مسك دفاترهم حروفا غير معروفة (*) . ويتباهى الشرقيون بعلم هؤلاء الافندية ورقتهم ودماثتهم، وتيسر لهم هذه الميزات مداخل سهلة لدى الكبار . وكان هؤلاء يجبون ، بخلاف العطايا التى يحصلون عليها من الخزنة ، رسما بسيطا على من يقدر عليه إن يتعامل معهم من الاشخاص . وقد جعلتهم هذه الميزات المختلفة يحصلون على ثروات ضخمة ، وكانت الغالبية العظمى من الأفندية مماليك ، وكان لهم خلفاء ، هم أولاد لهم بالتبنى ، شابهوهم فى نفس بدايتهم، وبدلا من أن يجعلوا منهم جنودا على غرار ما يفعل البكوات والكشاف كانوا يلقنونهم أصول مهنتهم كى يجعلوهم أكفاء فى شغل وظائفهم هم لكنا تجهل لماذا لم تكن وظائف كبار الافندية

(*) وهى ما يسمى بخط القرمة . (المترجم)

العاملين فى شئون الانفـــــاقات والمصروفات خاضعة لدفع الميرى ، مثلها فى ذلك مثل وظائف الافندية العاملين فى حقل الجباية والتحصيل . وكان هناك ، فوق ذلك كله ، افندية يديرون المدارس ، ينسخون أو يضعون الكتب ، وكان من النادر أن يهجر هــؤلاء او أولئك مهنتهم كى ينخرطوا فى سلك مختلف .

الباب الثالث

محصلة موارد وانفاقات السلطان

الخزنة أى الأموال التى ترسل اليه فى القسطنطينية

لمسنا من قبل أن الموارد التى تجبى لحساب السلطان ، والنفقات التى تقع على عاتقه تبلغ ما يلى :

المـــوارد	١١٦ر٦٥١ر٧٢٧ مدينى
الانفاقات	٩٩ر٨٦٨ر٢٧٦
المحصـــلة (ما كان يبقى للخـــزنة)	١٦ر٧٨٣ر٤٥١ مدينى

تعادل بالجنيهات التورية :

د	س	
١	٢	٤ر١٦٦ر١٣٣
٩	٢	٣ر٥٦٦ر٧٢٤
٤	١٩	٥٩٩ر٤٠٨

وبالفرنـــكات :

س	
٤٧	٤ر١١٤ر٦٩٩
٧٤	٣ر٥٢٢ر٦٩٠
٧٣	٥٩٢ر٠٠٨

وكانت لائحة السلطان سليمان قد وصـــلت

بهذا الفائض الى	٣٠ر٨٨٣ر٨٧٦ مدينى
وحيث حصل هذا الفائض فى عهد خلفـــائه .	
عـــلى زيادة قـــدرها	١ر٩١٧ر٧٤٩
وعلى نقص قدره	١٦ر٠١٨ر١٧٤
فقد تلقص هذا الفائض (الخزنة) الى . .	١٦ر٧٨٥ر٤٥١

وهذا المبلغ هو الذى يطلق عليه اسم خزنة ، وهو نصيب السلطان الذى خص به نفسه من الضريبة ، وظل يرسل اليه بانتظام حتى عهد على بك الذى تجاسر على رفض ارساله اليه . ثم عاد محمد (ابو الذهب) خليفته الى الالتزام بدفعه ، بل لقد بادر بارسال الضريبة المستحقة عن السنوات الاربع التى رفض على بك ارسالها طوالها . وقد واصل ارسالها مراد وابراهيم ، ومع ذلك ، فلما كان من سلطة الباشا أن يخصم من هذه الضريبة الأموال اللازمة للانفاقات الملحة وغير المتوقعة ، والتى يقرر أنها تقع على عاتق السلطان ، فقد أساء هذان البكوان استخدام هيمنتهما فى ابتزاز الفرمانات التى تخول هذه الانفاقات الخرافية والتى كانا يخصان نفسيهما بقيمتها .

وقد شاء القبطان باشا حسن أن يزيد من حجم الخزنة بمقدار ٦ر٨٠٠ر٠٠٠ مدينى وزعها على النحو التالى :

---

(١) أدى توقف دفع مصروفات نقل الحبوب من القاهرة الى جدة ، وهى المصروفات التى أنشأها سليمان ، منذ اللحظة التى اقر فيها القبطان باشا هذا الاجراء الذى اتخذه على بك فى هذا الخصوص الى زيادة حجم الخزنة بنفس قيمة هذه الانفاقات التى توقف دفعها على النحو التالى :

٧٦٢ر٣٦٩
٩٧٥ر٠٠٠ } . . . . . . ١ر٨٣٧ر٣٦٩ مدينى
١٠٠ر٠٠٠

وهناك بالاضافة لذلك راتب سبق أن تناولناه وقدره ٨٠ر٣٨٠

كان سليمان قد خصصه للبك قائد جدة ، توقف دفعه بالمثل وبقى فى الخزينة ، عندما أرسلت حكومة مصر هذا البك الى جرجا بدلا من أن تقلده منصب القيادة ، وحصلت من السلطان على قرار بأن الباشا الذى يرسله الى هذه المدينة ، سيتخذ مقرا له فى جدة . (وبذلك نجد لدينا من حصيلة هذين الوفرين المبلغ المطابق للزيادة الواردة بالجدول السابق وهو)(*) :
١ر٩١٧ر٧٤٩ مدينى

(٢) من المناسب أن نجمع فى داخل هذا المنظور الاعتمادات الاضافية الناجمة عن استخدامات هذا المبلغ والتى منحت على نفقة الخزنة بعد سليمان :

على يد السلطان مصطفى : =

(*) ما بين القوسين هو زيادة فى الايضاح من جانب المترجم .

لزيادة حجم الميرى :

على جمرك الاسكندرية . . . . ٠٠٠ر٠٠٠ر٦ مدينى
على البوصير والسـنامكى ٠٠٠ر٤٠٠

اعتماد اضافى لراتب الباشا خاص بتموينات

الحبـوب	٢٠٠ر٤٣	مدينى
موارد أوجاق المتفرقة من قرية سرنبـاى .	٤٨٤	
لمجرى عيون مصر العتيقة	٠٠٠ر٤	
لبئر يوسف أفندى	١٠٠ر٣	
للشربات (المشروبات الحلوة)	١٢٤ر٧١	
للعـدس والارز	٩٦٩ر٧٠٢	
لصيانة مقبرة القاضى زين العابدين . . .	٣٠٠	
لصيانة مقبرة الشيخ محمد كريم الدين . . .	٠٠٠ر٢	

على يد القبطان باشا حسن :

معاش لعائلة الشناوى ٠٠٠ر١

على يد السـلطان مصطفى :

الكسـوة	٨٠٧ر٢٦٤
اعتماد اضافى للصرة	١٤٣ر١٤٥

لأمير الحـج :

على يد السلطان مصطفى .	١٠٧ر٥٨٧ر٢	
على يد السلطان عبد الحميد	٠٠٠ر٠٠٠ر٥	
عاى يد السطان سـليم .	٠٠٠ر٠٠٠ر٥	
المجمـوع		١٠٧ر٥٨٧ر١٢

على يد السلطان مصطفى :

للسردارات	٧٢٧ر٥٦٣
لحامية قلعـة المويلح	٤٤٠ر١٨٠
لشريف مـكة	٠٠٠ر٢٠٠ر١
للامير حاكم ينبـع	٠٠٠ر١٨٠
لنقل الزيت	١٥٠ر٨
شـمعدانات	٦٢٣ر٦٠
مبـلغ مطـابق	١٧٤ر٠١٨ر١٦

وكما قلنا فان القبطان باشا قد استبعد من نفقات الميرى مبـلغ الـ ٣٥٠ر٧٠٥ مدينى الذى كان يستخدم فيما مضى فى مشتريات مشاقة الكتان ومبلغ الـ ٩٧٢ر٨٧٥ المخصص لشراء سكر الذى يرسل الى القسطنطينية، وأمر بخصم هذه المبالغ من الخزنة اذا ما طلبها السلطان .

على قرية المطـــرية	٢٠٠ر٠٠٠
على محلات الجـــزارة بالقـــاهرة . . .	٢٠٠ر٠٠٠
المبلغ المطابق	٦ر٨٠٠ر٠٠٠ مدينى

وفى عام ١٢٠٥ من الهجرة ، عندما أعقب موت اسماعيل بك عودة عهد البكوين مراد وابراهيم ، حصل هذان الأميران من السلطان على خفض (فى قيمة الخزنة) يعادل مبلغ الـ ٦ر٨٠٠ر٠٠٠ مما عاد بالخـــزنة الى حجمها السابق ، وان كان هذا الخفــض لم يمنعهما من اتيان كل ضروب الخيانة (وفساد الذمة) التى كانا يتهمان بها أثناء ادارتهما الأولى ، فأدخلا ضمن الأموال المرسلة للسلطان كل السندات والأوراق والمخالصات التى تبين الانفاقات ، صحيحة كانت أم زائفة ، والتى يريان أنه ينبـــغى أن تتحملها الخزنة . ولم تعد الضريبة السنوية التى يسمحان لها بالوصـــول الى الباب العالى تتجاوز مبلغ ٧ر٥٠٠ر٠٠٠ مدينى .

ويقدم الجدول الآتى مثالا على الادعاءات التى كانا يتذرعان بها عادة لانقاص الخزنة :

كانت الخزنة التى ينبغى ارسالها للسلطان تبلغ ١٦ر٧٨٣ر٤٥١ مدينى
وكانا يخصمان منها :

لشراء مشـــاقة الكتان(١)	١ر٠٠٠ر٠٠٠
لشراء السكر(١) . .	١ر٠٠٠ر٠٠٠
لتـــوزيع استـــحكامات القـــــاهرة(٢) . .	٣ر٠٠٠ر٠٠٠
لنفس الغرض فى منـــاطق أخـــرى (٢) فى مصر .	١ر٥٠٠ر٠٠٠
انفاقات متفرقة بأمر شـــيخ البلـــد(٣)	٢ر٧٨٣ر٤٥١

---

(١) تختلف قيمة هذه الانفاقات تبعا لحجم طلبات حكومة القسطنطينية.
(٢) وقد ثبت أن البكوين لم ينفقا شيئا على هذه الاستعدادات .
(٣) كان شيخ البلد عادة يأمر بهذه الانفاقات لمنفعته الخاصة ، وقد أصبحت هذه الانفاقات مشروعة أو قانونية شأنها فى ذلك شأن الانفـــاقات الســـابقة وذلك بعد أن تم ابتـــزاز فرمانات من السلطان تخول هـــذه المصروفات .

مجموع ما يخصم . . . . . ٩٫٢٨٣٫٤٥١

وبذلك لم تعد الخزنة تبلغ ســـوى ٧٫٥٠٠٫٠٠٠ مدينى

	د	س	
تعـــادل	١٠	٢	٢٦٧٫٨٥٧ جنيها توريا
وبالفرنكات		٢٦	٢٦٤٫٥٥٠ فرنكا

وكان سليمان قد قرر أن واحدا من بين الأربعة والعشرين بك ، يحمل لقب أمير الخزنة ، سوف يحمل كل عام خراج مصر الى الســـلطان ، وأن يعمل تحت امرته ، لتأمين هذا الموكب ، سردار وسربة يتكون افرادها من الاوجاقات العسكرية السبعة كلها. فما أن كانت تتم جباية الضريبة ، حتى يتوجه الروزنامجى الى الباشا ومعه قيمة الخزنة ، وفى اليوم الذى يتقرر تسليم الخزنة فيه ، يجتمع بالقلعة، كل من رؤساء الاوجاقات والبـــكوات والقاضى وكل أعضاء الحكومة : ويراجع عدد المسكوكات النقدية وتفحص على يد الصراف كاتب الخزنة ، والذى ينبغى أن يكون يهوديا حتى يشغل هذه الوظيفة . وبعد ان يوقع الباشا والروزنامجى البيان المفصل بحساب وقيمة الخزنة ومستنداتها تودع الخزنة فى صناديق مغطاة بالجلد ، ويعهد بها الباشا الى أمير الخزنة الذى يعطى ايصالا باستلامه لها . وأثناء تحميـــل الصناديق على الجمال المخصصة لنقلها ، يخلع الباشا على الأمير عبـــاءة سوداء فاخرة ، ويغطى الروزنامجى بعباءة أخرى أقل فخامة ، لكنها من نفس اللون ، ثم يوزع قفاطين على السردارات قادة الحرس . ويحضر البكوات ورجال الاوجاقات رحيل أمير الخزنة ، ويحيطون به فى موكب مهيب عند اجتيازه القاهرة وحتى العدلية ، وهو مكان يقع بين العقبة وبركة الحج . ويعلن عن هذا الحفل منذ العشية عن طريق العاب نارية تتم فى العدلية ، بفعل طلقات مدفعية تظل تتكرر حتى لحظة الرحيل . ويتخذ امير الخـــزنة طريقه الى القسطنطينية مرورا بدمشق . وكان السلطان سليمان هو الذى حدد بنفسه تفصيلات هذه الرحلة ، كما حدد المبالغ التى ينبغى أن تتحملها الخزنة لمصروفات النقل ،وشراء الصناديق والحقائب والجلود والسجاجيد التى تستخدم لغطائها . وقد خصص :

لنقل الخزنة . . . . . ٥٠٫٠٠٠ مدينى

للجـــلود . . . . . ٩٫٧٥٧

للسجاجيد ١٣٤ر٥
للصناديق ٤٢٣ر١١

ولم تكن تبسط السجاجيد الا حين يدخل الأمير المناطق الآهلة كي يضفي بعض الابهة على موكب يتجه الى مقر سلطان .

وقد كف الكخياوان ابراهيم ورضوان عن ارسال هذه الخزنة مع هذه الرسميات الاحتفالية التى أوردنا تفاصيلها . وحذا خلفاؤهما حذوهما. وقبل مجىء الفرنسيين الى مصر لم يكن الباب يحصل على شىء ، الا اذا أوفد — هو — الى القاهرة آغا موكل بصفة خاصة بالحصول على الاتاوة (الخراج) المقررة ، بل ان مثل هذه الارساليات لم تعد تتم فى العادة الا مرة واحدة كل ثلاث سنوات ، وفى كل مرة، كان يتم تحصيل قيمة الخراجات التىتراكمت فى هذه المدة ، ولم يكن يصحب قدوم أو رحيل الاغا أى ضجيج ، اذ كان الباشا يسلم اليه ببساطة شديدة ، وفى حضرة القاضى المسكوكات ومستندات المخالصة التى تكون الخزنة ، وكان على الاغا نفسه أن يتخذ الوسائل التى تناسبه لتأمين عودته الى القسطنطينية ، وهكذا لم يعد ثمة ما يسوغ تلك المبالغ التى سبق أن اعتمدها سليمان لنقل الخزنة كما أن ذلك لم يؤد الى أى خفض فى الـ ٤٥١ر٧٨٣ر١٦ مدينى (وهى قيمة الخزنة) التى بيناها ، ذلك أن المبالغ المشار اليها لا تدخل فى أى جدول من جداولنا.

الكتاب الثالث

دراسات قصيرة

(١)

معامل التفريخ

روزبير ـ روبييه

« العنوان الأصلي للدراسة هو : دراسة موجزة حول عملية افراخ الكتاكيت في مصر باللجوء الى استعمال الافران او المواقد ، تاليف السيدين روزبير مهندس المناجم وروبييه الصيدلي » .

« وكان البيض يوضــــع فوق القش فى قبـــو كانت حرارته تظل مستمرة عن طريق نار معتدلة ، حتى اللحظـــة التى تفرخ فيهـــا الكتاكيت ، وطيلة هذا الوقت يظـــل ثمة عامل مهمته تقليب البيض ، ليلا ونهارا » .

بلين

التاريخ الطبيعى ، الكتاب العاشر ، الفصل ٥٥

— ١ —

نبذة تاريخية عن طريقة التفريخ الاصطناعية

لعل قليلين من الأشـــخاص فقط هم الذين لم يسمعوا بعـــد عن فن استفراخ الالـــوف من الكتاكيت فى وقت معا ، دون اللجـــوء الى طريقة الحضانة الطبيعيه وذلك بابدال حراره الدجاجات بحرارة مشابهة على نحو تقريبى يتم الحصول عليها بشكل اصـــطناعى فى أنواع من الافـــران أو المكامير ، فهذه واحده من اكثر الممارسات الفريدة التى وجدناها لدى الناس فى العصور القديمة ، ولقد كانت هذه بالمثل فنا هاما عند قدماء المصريين ، كما لا تزال حتى اليوم عند محدثيهم هى الاسلوب الأوحد الذى يستخدمونه لتوفير الكتاكيت . وبالاضافة الى التيسيرات التى قد يقدمها الطقس لانجاح طريقة الحضانه الاصطناعية فان من الأرجح أن يكون الذى وجه بحـــوث المصريين نحو هذه العمليه هو ضآلة نجاحهم فيما يبذلونه لحمل الطيـــور المنزلية عندهم على حضانة بيضها ونستنتج من ذلك أيضا تلك الاســـباب التى دفعت المصريين قبل غيرهم الى التفكير فيها حين نتذكر كم كانت معاهد الكهان القدامى تعنى بدراسة كل ما له بعض علاقة بضرورات الحياة ، وكم كانوا يعلقون من أهمية على توفيـــر المأكولات التى وجـــدوها اكثر ملاءمة للصحة . ومع ذلك فلابد أن نلاحظ أن هذه الوسيلة لم تكن فى ممارستها قاصرة على مصر بشكل تام ، فقد كان الصينيون ، الذين يحلو للبعض القول بأنهم قد تعلموا على يد مستعمرة من المصريين ، يمارسونها بالفعل منذ زمان لا يمكن لنا تحديد بدايته ، وان كانت أفرانهم وطرقهم بالغة الاختلاف .

ولقد اكتشف الرومان كذلك فكرة الحضانة الاصـــطناعية ، ومع ذلك فثمة شك كبير فى أنهم استطاعوا أن يمارســـوا ذلك على نطاق واســـع

وبشكل مطلق . ويخبرنا بلين Pline ان نسوة رومانيات كن يتحلين فى بعض الأحيان بصبر يدفعهن الى محاولة افراخ بيضة ما بحملها على الدوام بين النهدين ، وانهن قد كن يستطعن أن يحدسن من ذلك نوع جنس الأجنة اللاتى كن — هن — حبليات بها ، وفضـلا عن ذلك ، فانه يصف بايجازه المعهود ، اسلوب أو طريقة الافران دون أن يفصح عن البلد الذى كانت تمارس فيه ، وانه لامر شاذ فى الحقيقة أن يكون من الممكن لكاتب كهذا ، شديد المعرفة فضلا عن ذلك بعادات مصر ، أن يجهل أصل ومنشأ هـذه الطريقة .

ويشير ديودور الصقلى ، الذى كان دائم التجوال فى هذه المنطقة ، فى عهد أواخر البطالمة ، الى طريقة الحضانة الاصطناعيه ، كما لو كانت فنا يمارس منذ زمان طويل ، ويمكن المرء ، بالطريقة التى يتحدث بها عنها ديودور ، أن يحكم بأن المصريين ، فى ذلك الوقت ، كانوا يحيطون هـذه الممارسة بكثير من الغموض ،ومع ذلك فان النص الوارد عند ديودور لم يفهم على الاطلاق (الفهم الصحيح) من قبل مترجميه ، اذ يجعـله الاب تيراسون Terrasson يقول(١) : « وبدلا من تركهم البيض فى حضانة الطيور نفسها التى باضته ، فان لديهم الصبر على أن يجعلوه يفقس بتدفئته فى أيديهم » . ويشـكل هذا التفسير (لنص ديودور) معنى لا يمكن أن يتصف بالمعقولية على الاطلاق ، بل انه لم يرد قط بالنص (المشـار اليه)(٢) ، فالتعبير الذى استخدمه ديودور لا يعنى مطلقا أنهم كانوا يدفئون البيض فى أيديهم وانما يقدم معنى مماثلا لتعبير بالغ الدقة استخدمه بلين عن نفس الشىء . ويبدو أن المقصود تبعا لفقرات وردت عند ديودور ومؤلفين آخرين ، لم يكن هو ، فى الأزمنة الاخيرة ،بيض الدجاج بصفة خاصة مطلقا وانما هو بيض الأوز الذى كان يمر بهذه الوسائل ، ولقد كان لحم هذه الطيور واحدا من اللحوم التى كان يفضلها الكهنة خلال الأزمنة التى لا ينتشر بها مرض وبائى ، وهذا هو السبب فى أن القوم كانوا يجدون كثيرا فى مضاعفة أعدادها . وتأتى المبانى الاثرية لتتطابق مع هذه الشهادات حيث نرى هذه الطيور مرسومة فى الوف الاماكن ، وبصفة خاصة فى تلك الرسوم البارزة التى تمثل الاضحيات المقدمة الى الالهة .

---

(١) الكتاب الأول ،ص ١٦٠ .

ومع ذلك ، فهل يكون علينا — اذا ما تقبلنا فكرة قدم الحضـــــانة الاصطناعية-ان نصدق أن الوسائل التى نجدها هناك اليوم هى نفســـها تلك الوسائل التى كانت تتبع فى الماضى ؟

ان سؤالا كهذا جدير بالاهتمام من نواحى عدة ، ويظل يحتاج على الدوام الى اجابة تحسمه .

« يقال إن الكهنة ، وقد تشبثوا بعناد أكبر مما ينبغى بالملاحظـــات القديمة المتجمعة حول الطريقة التى تنتهى بافراخ بيض النعام والتماسيح والذى يودع فى الرمال ، لم يكلفوا انفسهم حتى عناء القيام بأية بحـــوث لاحقة »(١) ويعتقد المرء أنهم قداكتفوا بتخيل طريقة مماثلة . ولقد استقر بصفة عامة بين أولئك الذين درســـوا عادات مصر القديمة ، أن هـــؤلاء الكهنة ، بدلا من استخدام الافران التى تدفئها النيران ، كانوا يحيطون البيض ببراز الحيوانات والذى كانت حرارته الطبيعية تكفى لافراخه ، ومع ذلك ، فلسوف تكون هذه الواقعة بافتراض صحتها،بالغة الغرابة لان أبخرة هذه الفضلات الحيوانية قاتلة لأجنة البيضات ، كما أن الحضانة التى تتم على هذا النحو ، وفضلا عن كونها اختراعا بالغ البساطة ، تقتضى اتخـــاذ احتياطات ليس من الطبيعى تخيلها للوهلة الأولى . واننا لنعرف بالقـــدر الكافى ، كيف ساقت مثل هذه الفكرة الشاذة ريومور Reaumur الى الوف المحاولات ، حين أصر بعناد على تحقيق رغبته فى تفريخ الكتاكيت فى روث الماشية على غرار ما كان يفعل الكهنة المصريون . ولقد خصص هذا الفيزيائى الحاذق واليقظ مجلدا بأكمله لوصف التجارب غير المثمرة التى قام بها فى البداية ، كما انه لم يحرز بعض نجاح الا بعد أن توصل بشكل حاسم الى الحيلولة دون حدوث أى اتصال بين البيض وبين الأبخرة التى تتصاعد من هذه الفضلات الحيوانية .

ومع أن المسيو دى بو dePauw قد كشف بكثير من التجرد والنزاهة عن وجود أفكار خاطئة كثيرة حول عادات مصر القديمة ، فانه — برغم ذلك — قد تبنى هذا الرأى نفسه ، وآراؤه فى ذلك تستحق التمحيص ، ولسوف

---

(١) M. de Pauw, **Recherches Philosophiques sur les Egyptiens,** t. Ier, **Pag. 204.**

نعرف عن طريق ذلك الى أى حد تشبث بفكرته حول هذا الموضوع . يقول هذا الباحث : « لابد أن تعترينا الدهشة حقا لأن كهنة مصر .. وهم الذين كانوا يعرفون معلومات ومعارف واسعة بالقدر الكافى عن امور لا حصر لها ، قد كانت تنقصهم النظرة الناقبة فى نقطة رئيســـــية : ذلك انهم لم يكتشفوا طريقة الافران ، بل لقد كانوا يرتابون فى امكانية انشائها ، وهذا أمر تسهل البرهنة عليه . فأرسطو —ولعله أقدم مؤلف تناول طريقة تفريخ البيض فى مصر—يذكر أن القوم لم يكونوا يستخدمون سوى الحرارة المنبعثة من الفضلات الحيوانية. أما انتيجون الذى عاش بعد أرسطو بقرون طويلة فيذكر الشىء نفسه ، كذلك فعل بلين الذى وضع مؤلفه بعد أنتيجون ، كما ترجم ما ذكره أرسطو كلمة بكلمة ، وأخيرا فان الامبراطور أرديان الذى جاس فى كل أنحاء مصر ووقف باهتمام على غرائبها قد عبر عن مشاعره فى رســـالة منه وجهها الى سرفيـــان Servien يتحدث فيهـــا عن المصريين « انهم يفرخون كتاكيتهم بطريقة أخجل من أن أقصها عليك » .

« وتبرهن كل هذه الشهادات مجتمعة أن طريقة الأفران كانت مجهولة فى هذه البلاد حتى عام ١٣٣ من الميلاد ، وربما لما بعد ذلك بوقت طويل ، ذلك اننى أجهل متى وكيف أمكن الناس هناك أن يتوصلوا اليها » .

ان شهادة أرديان هذه ، هى كما رأينا بالغـــة الدلالة ؛ وان كانت الشهادات الباقية تبدو أكثر موضوعية ، ولكننا عندما نفحص فقرة من بلين أهملها المسيو دى بو سوف نرى أن هذا المؤلف يقـــــول على وجه الدقة عكس ما أسسناه هنا على مسئوليته (انظر التـــاريخ الطبيعى ، الكتاب العاشر ، الفصل ٥٥) : « وكان البيض يوضع فوق القش فى قبو كانت حرارته تظل مستمرة عن طريق نار معتدلة حتى اللحظة التى تفرخ فيهـــا الكتاكيت ، وطيلة هذا الوقت يظل ثمة عامل مهمته تقليب البيض ليــــــلا ونهارا » . هذا ما قاله بلين بالحرف ، ومنها جاء التصدير الذى بدأت به هذه الدراسة . وهذا هو افضل تعريف يمكن لنا أن نقدمه ، فى مثل هـــذه الكلمات القليلة ، عن الاسلوب الذى لا يزال متبعا حتى اليوم ، أما التعبير igne medico أى نار معتدلة فلا يترك أى لبس ، كما أن الاشارة الى عامل يعمل ليل نهار فى تقليب البيض انما ترسم بدقة ملمح العمل المتبع فى طريقة الافران ، وكذلك، فعلى الرغم من أن بلين لم يوضح مطلقا المصــــدر الذى استقى منه معلوماته ، فان من المستحيل الاعتقاد بأننا بصدد وصف شىء آخر

غير ما كان يجرى فى مصر ، حيث كان المصريون من بين كل الشعوب التى عرفها الرومان ، وباعتراف المسيو دى بو نفسه ، هم الوحيدين الذين كانوا يقومون بعملية التفريخ الاصطناعية .

وفى نفس الوقت ، فان أرسطو(١) ، مع اختلافات كبيرة ، لم يعبر عن الامر بطريقة تماثل فى دقتها طريقة بلين ، ولست واحدا ممن يقتنعون بأن هذا الفيلسوف قد صدق حقيقة ، شأنه فى هذا شأن منتحلبه ، ان الأسلوب (المتبع) كان هو العمل على افراخ البيض بفعل الحرارة التىتنبعث بشكل طبيعى من الفضلات الحيوانية ، وسوف يسهل علينا أن نتبين سبب ازدرائه للامر اذا ما وقفنا على تفاصيل العملية ، حيث لا يقتصر الأمر على وضع البيض داخل المكمرة على طبقة من القش أو روث الماشية ، بل أن الوقود المستخدم للاحتفاظ بدرجة الحرارة التى لا بد من توفيرها لن يكون هو نفسه الا من هذه الفضلات نفسها ، أى انه مصنوع من روث الحيوانات مختلطا بقليل من القش المهروس . وحيث ان مصر بلد عار من الغابات ، فقد استخدم الناس فيها ، فى كل العصور ، هذا الوقود الذى يعطى حرارة بالغة الاعتدال ويسهل التدرج بها ، فضلا عن انه يتناسب تماما مع العملية التى نحن بصددها . ولذا ، فاننا لن نتردد مطلقا ، باعتبار ذلك واقعة مستمرة ودائمة ، فى النظر الى طريقة الحضانة الاصطناعية التى تمارس اليوم على أنها هى نفس ما كانت تستخدمه مصر منذ عصورها القديمة . وقد أخبرنا شيوخ القاهرة ، وكذلك اكثر ابنائها تبحرا فى العلم ، وهم فى هذا يتفقون مع المؤلفين العرب فى مختلف العصور ، بأن هذه الوسيلة لم يتوقف قط استخدامها سواء فى مصر العليا أو فى مصر السفلى ، فاذا كانت احدى المخطوطات التىترجع الى زمن الخلفاء تقصر استخدامها على قرية برما(٢) Behermes فى الدلتا فان الامر يعود الى ازدراء يسهل تفسيره .

---

(١) **Historia animalium, lib vi cap 2.**

(٢) **Behermes** هى اليوم برنبال (كذا) وتقع بالقرب من فوه . ونقرأ فى احدى المخطوطات العربية وصلت الينا عن طريق الشيخ ابراهيم قارىء الجامع الكبير (الازهر) بالقاهرة ان ابناء هذه القرية قد ورثوا عن الملحدين (المصريين القدماء) هذا العلم وهم ، مثلهم ، يعرفون طريقة افراخ بيض الدجاج وبيض كثير من الطيور الأخرى .

ولا يزال البرماويون حتى اليوم مشهورين بادارة معامل التفريخ، ويستدعون لهذا العمل فى ولايات عديدة (من مصر)(١) ، ومع ذلك فمن الأرجح أن كانت هذه الحرفةوراثية عندهم ، فقد كانت الأفران علىالدوام كثيرة الانتشار فى كل مكان من البلاد ، وان كان عدم الدقة الذى اتسم به المؤلفون العرب حول مثل هذا النوع من الوقائع يبلغ قدرا لا يمكن للمرء معه سوى أن يرتاب فى انهم قدخلطوا بين هذين الأمرين .

— ٢ —

وصف معامل التفـــريخ

تحمل كل واحدة من المنشـات المخصصة لافراخ الكتاكيت اسم معمل الفروج . وتتكون هذه من عدد من الأفران يتراوح بين اربعة أفران وثلاثين فرنا . لكن هذه الافران تصطف على الدوام فى صفين متوازيين ، ويفصل بين الصفين دهليز ضيق . وهذا المعمل ، وهو مبنى من القرميد أو من الطوب النيىء المجفف فى الشمس ، محكم الاغلاق بشكل دائم ، أما نوافذه فعبارة عن عدد كبير من الفتحات الدائرية الصغيرة ثقبت فى قبة الدهليز ، أما الباب ، فنافذة تسبقها عدة حجرات صغيرة جد متلاصقة . هذا هو الوضع العام لهذه المعامل . وليس ثمة ما هو أبسط من تصميم بناء هـــذه المعامل ، اذ يتكون الواحد منها من عدد من الخلايا الصغيرة ، يصل ارتفاع الخلية منها لثلاثة امتار (٩ — ١٠ أقدام) ويبلغ طولها نفس الشىء تقريبا، فى حين يبلغ عرضها المترين ونصف المتر . وتنقسم الخلايا الى طابقين اذ يقطعها عند منتصف ارتفاعها ، وأحيانا عند ثلث هذا الارتفاع ، لوح خشبى يكسوه الآجر ، ويخترقه عند منتصفه (فى كل خلية) ثقب يكفى اتســـاعه

---

(١) فى الصعيد ، حيث يوجد عدد من معامل التفريخ اقل منه فى مصر السفلى ، يحتكر اقباط ببلاو ادارة هذه المعامل ، ومنذ ثلاثين او اربعين عاما كانت هذه القرية التى تقـــع على بعد بضـــعة فراسخ الى شـــــمال منفلوط ، وهى اليوم تكاد تكون خربة ، كانت ما تزال ضيعة هائلة تضـــم عددا كبيرا من المعامل ، ومنذ ذلك الوقت تفرق « معلمو » المعـــامل فى مختلف انحاء مصر العليا واستقروا فى مدن جرجا وفرشوط وبهجورة واسنا وفى كل البلدان تقريبا ، أما حصيلة ما رصدته من أرض الواقع فهو انه ليس من المحتمل أن يكون مسيحيو ببلاو قد تعلموا اساليبهم من ابناء برما .

« هامش من وضع المسيو جومار »

لتمكين رجل من أن يمر من طابق الى الطابق الاخر . ولكل واحدة من هذه الحجرات (أو الخلايا) الصغيرة بابها المطل على الدهليز ، يكاد يماثل فى حجمه نفس أطوال النقب المعمول فى اللوح الخشبى ، ويستخدم كذلك استخداما مشابها . وهناك فتحات أخرى فى الحواجز أو الفواصل الجانبية تؤدى لحدوث اتصال بين كل الأفران الواقعة على الجانب نفسه من جانبى الدهليز ، وأخيرا ، يخترق القبة التى تغطى كل فرن ، فتحة ضيقة تساعد على تصريف الدخان . وحيث تخصص الحجرات السفلية لوضع البيض ، فان النار توضع فوق أرض الحجرات العلوية ، والتى أحدثت فيها ، بقصد استقبال هذه النار ، حفرتان قليلتا العمق ، وان كان عدد هذه الحفر يبلغ الأربعة فى بعض الأحيان ، تقع بالقرب من الجدران الفاصلة أو الحاجزة . وتحيط بثقب أو فتحة اللوح الخشبى حافة ناتئة يبلغ طول نتوئها بوصتين ، ويحمى هذا النتوء البيض من سقوط رماد المواد الملتهبة عليه(١) .

وتستخدم احدى الحجرات الواقعة عند مدخل المعمل مقرا لسكنى العامل الرئيسى (المعلم) ومساعده ، وهذان لا يبتعدان أبداً عن المعمل طيلة الوقت الذى تستغرقه عملية التفريخ ، وتستخدم حجرة أخرى لاشعال الوقود الذى يراعى الا يحمل الى الافران الا بعد أن يكون قد احترق نصف احتراق كى لا يمكن هذا الوقود أن ينتج أبخرة ضارة ، ويتكون هذا الوقود المسمى « جلة »(*) من بعرات الجمال والقش المهروس ، معجونة على هيئة أقراص ، ويعطى هذا الوقود كما سبق لنا أن أشرنا ، حرارة بالغة اللطف ، تسهل زيادة درجتها عند الحاجة .

— ٣ —

سير عملية التفريخ

توافق الفترة التى تفتح فيها المعامل فى مصر العليا أبوابها الأيام الأولى من شهر فبراير ، لكنها دوما تبدأ بعد ذلك بفترة فى مصر السفلى اذ الطقس

---

(١) انظر اللوحة الأولى ، الاشكال ١١ ، ١٢ ، ١٣ من مجموعة الفنون والحرف ، الدولة الحديثة ، المجلد الثانى ، وكذا اللوحة الثانية ، الأشكال ١ ، ٢ ، ٣ .

(*) هذا اللفظ هو نفسه ما ورد بالنص الفرنسى (المترجم)

هناك اقل حرارة .وحيث تبلغ مدة الحضانة واحدا وعشرين يوما فان الكتاكيت لا تفرخ الا عند نحو بداية شهر مارس . وقد دلت التجربة على أن الحرارة، فى هذه الفترة وحدها ، تكون مناسبة بالقدر الكافى للكتاكيت الوليدة وبذا تظل حية دون رعاية خاصة ، غير أن حرارة الصيف المتزايدة ضارة بالبيض . وعلى هذا فلا تتم فى العادة سوى ثلاث عمليات تفريخ متتالية ، أو أربع على الأكثر فى بعض المعامل .

وقد وصف عديد من الرحالة المحدثين طرق هذه الحضانة الاصطناعية وان كان الغالبية منهم قد ناقضوا بعضهم بعضا ، ذلك أنهم اعتبروا قواعد ثابتة كل ممارسةأو خطوةوقفوا عليها ولو كانت خاصة بالمعمل الذى زاروه دون أن يقفوا على العلاقة التى قد تربط ايا من هذه الممارسات بظـــروف معينة هى على الدوام عرضة للاختلاف والتنوع .

ويستخدم كل معمل (فى الحضنة الواحدة) لتفـــريخ ٣ — ٤ آلاف بيضة . وعند بداية هذه العملية تختلف طريقة توزيع البيض بعض الشىء ، فبدلا من توزيعها على كل الأفران دون تفرقة ، تترك خالية تماما فى بعض الأحيان أفران بعينها ، ومن نافلة القول أن نضيف أنهم يجنبون بكل دقة كل البيضات التى لم تكن قد أخصبت او تلك التى لحق بها التلف ، وهذه تضر كثيرا بعملية التفريخ . اما البيضات التى توضع فىالأفران فتكون قد فحصت بعناية من قبل على يد العامل (المختص) ، ثم تم تسجيلها بمعرفة الكاتب الموكل بادارة المنشأة ، التى تلتزم بأن ترد عند نهاية العملية الى كل شخص عددا من الكتاكيت يتناسب مع عدد البيض الذى كان هذا الشـــخص قد ســـلمه للمعمل .

ويصف هذا البيض فى كل فرن على شكل طبقات عدة بعضـــــها فوق الاخر ، وترقد آخرتهن على حصيرة أو على مشاقة الكتان أو القش الجاف . ذلك ان الأبخرة التى قد تنبعث من زبالة رطبة قد تضر كثيرا بنجاح العملية .

ولا توقد النار فى البداية الا فى نحو ثلث عدد الأفران ، تختار على مسافات شبه متساوية ، وبعد ذلك بأربعة أيام او خمسة توقد فى بعض الأفران المتبقية ، وبعد عدة أيام أخرى توقـــــد الأفران الباقية مع مراعاة انه بمجرد أن توقد النار فى أفران جديدة تترك نار الأفران التى أوقدت فى

البداية لتخبو . وسنشرح فيما بعد دوافع هذا الاجراء . وتتجدد النيران ثلاث مرات وفى بعض الاحيان أربع مرات فى اليوم الواحد ، وتزاد النـــار قليلا فى الليل ، ويدخل العامل المختص الى الحجرات السفلية مرتين او ثلاث مرات فى اليوم لتقليب البيض ولتغيير أماكنه ، ولابعاده ، كل بدوره ، عن المناطق الأشد حرارة . وهذا هو عمله الرئيسى .

وبدءا من اليوم الثامن يفحص البيض جميعه على ضوء مصـــباح ، وتستبعد تلك البيضات التى لم تخصب ، وجدير بالذكر أنه عنـــد ترتيب البيض ، كان قد ترك فراغ فى وسط الحجرة ليستقر فيه العامل عند نزوله من الأرضية الخشبية للحجرة العلوية .

وقد تبينا وجود الكثير من الاختلافات بالنسبة للكثير من خطـوات هذه العملية ، وبعض هذه الاختلافات محض تحكمية وقد يكون من الاملال أن نتوقف عندها ، وبعضها الاخر يعود الى التوقيت الذى تتم فيه هذه العملية والى التباين فى درجات الحرارة وأحيانا الى المقر الخاص بالمعمل والى عدد الأفران التى يتكون منها بصفة خاصة . ويكفى أن نقدم الأشياء بشكل نستطيع معه أن نحكم على تأثير هذه الظروف المختلفة ، مع قصر اهتمامنا على الظروف الأساسية اللازمة لانجاح عملية التفريخ :

الظرف الأول : تأكد عن طريق ملاحظات تمت باستخدام الترمومتر ان الحرارة المعتادة للحجرات التى يوضع بها البيض هى ، مع اختلافات طفيفة ، ٣٢° حسب ترمومتر ريومور Réaumur . وهذه على وجه التحديد هى درجة حرارة الحضانة الطبيعية ، ولا تتراوح الاختلافات الا فيما بين ٣١° ، ٣٣° ، وان كانت هذه الاختلافات تكون أكبر بكثير فى الدهليز وفى الحجرات العلوية ، فتظل دوما ادنى من ٣٢° فى المكان الأول وأعلى بكثير من ذلك فى المكان الثانى ، على الأقل ، طيلة الوقت الذى تكون النيران فيه لا تـــزال موقدة ، وكذا لبضعة أيام فقط بعد أن تخبو .

ولا يعرف المصريون الترمومتر . ويســـتبدل به العامل حساســـية يجعلها التعود الشديد بالغة الفعالية ، ولهذا السبب فليس من الممكن أن يحل محل مديرى المعامل الذين لا يتخذون لأنفسهم قط من معاونين سوى أولادهم أو أقاربهم ، غيرهم من المصريين فى هذا الضرب من ضـــروب الصناعة ، ولهذا بقى سراً فى أيدى أعداد معينة من الأسر ، ولابد من ممارسة

طويلة حتى يكون بالمستطاع ادارة معمل ، ولكن او استخدم الترمومتر ستصبح هذه المعضلة الرئيسية فى حكم العدم .

الظرف الثانى : وثمة شرط ثان ينظر اليه باعتباره شرطا هاما ، وهو ترك النار تخبو قبل انتهاء العملية بوقت قصير ، اما لخشية العاملين على الكتاكيت من انبعاث بعض الروائح من الوقود ، وبخاصة ثانى اكسيد الكربون الذى يملأ الحجرات السفلية ، واما لأنه ليس لدى هؤلاء من هدف سوى بسط البيض ، الذى يوزع جزء منه بالحجرات العلوية لفترة اطول . وينتج عن ذلك أن من الضرورى تدفئة مبنى الافران بالقدر الكافى فى الجزء الأول من عملية التفريخ حتى تستطيع جدرانها الجانبية وحدها ان تحفظ البيض طيلة الجزء الباقى من الوقت فى درجة حرارة ٣٢ .

ولكى يتم توافق هذا الشرط مع الشرط السابق يترك العامل فى بعض الأحيان أفرانا بعينها فارغة حتى يستطيع تدفئتها حسب رغبته عند بدء عملية التفريخ ، وهو الأمر نفسه الذى يقتضى منه عدم اشعال كل الأفران فى وقت معا ولتوزيع الأفران التى بوقدها بطريقة متناسقة ، ولتقليل عددها اكثر فاكثر وكذا لتخفيف كثافة وتقصير مدة النار فى الأفران التى يوقدها فى النهاية كى تظل الحرارة على وجه التقريب متساوية فى الأفران جميعها عقب اطفاء النار فجأة . فاذا ما اطفئت النار فانهم لا يسارعون مطلقا بنقل البيض الى الحجرات العلوية وانما ينتظرون لعدة ايام . ويحدد بعض الرحالة هذه الفترة بأربعة أيام ، ويحددها آخرون بستة ، ويحددها فريق ثالث منهم بثمانية ، والحقيقة ان ليس ثمة شىء عام فى ذلك اللهم سوى انتظار برود هذه الحجرات ، وبخاصة ارضيتها الخشبية وعلى نحو كاف ، وبعد ذلك تقفل الفتحات الخارجية للافران اقفالا غير كامل فى البداية ، بل يتم ذلك شيئا فشيئا كلما بردت كتلة المبنى ، وكلما يكون من الضرورى تركيز الحرارة هناك بدرجة اكبر الحصول على درجة ٣٢ .

وفى بعض الأحيان لا يكتمل عدد البيض الذى يمكن لمعمل ان يحويها الا مرتين أو ثلاث مرات فى العام ، عندئذ تتم عدة خطوات متميزة تتخذ فى وقت معا ، وتستمر الأمور على هذا النحو حتى نهاية الفصل مما يدخل على الأساليب المتبعة تعديلات طفيفة .

وما أن يفتح معمل ما حتى يحمل اليه كل سكان المناطق المجاورة كل

ما لديهم من بيض فى ذلك الوقت ، وبعد انتهاء عملية التفريخ ، يرد اليهم نحو خمسين كتكوتا فى مقابل كل ١٠٠ بيضة (قدموها) ، ويؤول الباقى (من الكتاكيت) الى صاحب المعمل(١) وعادة ما يقدر عدد البيض غير المخصب بـ ١/٥ العدد الاجمالى ، وفى بعض الأحيان لا يبلغ العدد الفعلى سوى السدس ، ونادرا ما يتجاوز الثلث الا اذا كان الأمر يعود الى خطأ من جانب العامل ، ولذلك فانه ملزم عادة باعادة عدد من الكتاكيت يعادل ثلثى عدد البيض الذى تسلمه على الأقل .

وليس من النادر أن يفرخ بعض البيض بدءا من اليوم العشرين أى أبكر يوما عن مدة الحضانة الطبيعية ، وخلال أربع وعشرين ساعة نجد أمامنا ما يربو على ٦٠ ألف كتكوت فى منشأة واحده .وبلقى لها ، كغذاء، قليل من الدقيق المختلط بخبز مفتت .

وتورد بعض المؤلفات أنه بسبب هذه الكميات الهائلة التى تقدمها هذه المعامل ، فقد كان الناس يلجئون لبيعها فى صاع أو ربع وهو ما يعنى ١/٤ مكيال بعينه . وقد ذكر هذا الاسلوب الشاذ أشخاص كثيرون ، وأكدوا لى انهم رأوا ذلك بأعينهم ، ويوجد بكل مكيال على الدوام عدد من الكتاكيت الميتة ، وهذه الطريقة ، وان كانت تتفق مع تكاسل المصريين وتراخيهم ، حيث هى تعفيهم من تحديد أسعار مختلفة للكتاكيت (تبعا لاعمارها) ذلك أن البيع بالكيل سيجعل عددالكتاكيت التى تناولت طعاما أقل من تلك التى لم تطعم بعد فى المكيال الواحد ، الا أن الشىء الذى يمكننى فى هذا الصدد ،أن أقدمه كأمر مؤكد هو أن هذه الطريقة ليست هى الشائعة على الاطلاق ، ففى كل المنشآت التى زرتها كانوا يعدون الكتاكيت ولا يكيلونها

---

(١) لا تدفع أجور أصحاب المعامل على الدوام عينا ، ففى ديروط الشريف ،وهى قرية تقع عند فتحة بحر يوسف . قمت بزيارة واحدة من هذه المنشآت حيث علمت أن الفلاحين يدفعون مدينى واحدا عن كل ٢٠ــ٣٠ بيضة تبعا للظروف . وعلى الرغم من أن هذا المكسب أدنى بكثير من المكسب الناتج عن الحصول على ١/٣ البيض فانه مع ذلك بالغ الضخامة ، فهذه الأنواع من المصانع هى بالتأكيد أكثر من كل مثيلاتها ربحا فى مصر . وعندما اذكر هذه الملاحظة التى أدين بها للمسيو جومار فلابد لى أن أوضح أن هذا الاسلوب فى دفع الاجر لا يمكن أن يتناسب الا مع المنشآت كبيرة الحجم ، اذ هو فى معمل لايشتمل الا على ٨ــ١٠ أفران سوف يعطى عائدا أدنى من المصروفات الجارية .

البته ، وتباع مائة الكتكوت افرخت حديثا بـــ ٨٠ مدينى فى المتوسط (أى ادنى قليلا من ٣ فرنكات من عملتنا) .

ويقدر عدد معامل التفريخ فى مصر بمائتين ، ويصل به الأب سيكار الى ست وثمانين وثلاثمائة (٣٨٦) طبقا لما اخبره به الاغا او شيخ بلد برما، لكن هذا الرقم مبالغ فيه كثيرا ، وقد قدر ريومور الكمية السنوية للكتاكيت التى تفرخها معامل مصر بأكثر من ٩٢ مليونا . وهناك أخطاء كبيرة فى هذا التقدير ، اذ لا ينبغى أن نحصى فى المتوسط سوى ١٠ أفران فى كل معمل ، ولا يمكن ان يبلغ عدد مرات الافراخ للفرن الواحد اكثر من أربع مرات كل عام ، مما ينتج ٤٠ × ٣٠٠٠ بيضة لكل معمل أى ١٢٠ الفا ، وبافتراض أن المائتى معمل تعمل جميعا بكل كفاءتها فان الرقم الاجمالى لا يمكن أن يبلغ سوى ٢٤ مليونا من الكتاكيت .

ملاحظة :

خصصت الملاحظات العامة المذكورة آنفا بصفة خاصة لتفهم عقلية وأساليب المصريين ، أما فى الملاحظات التى ستعقب هذا الهامش فسنجد تفاصيل معملية استمدت من عملية مراقبة تمت فى معامل القاهرة ، من شـــأنها أن توضح بعض صــــعوبات الممارسة . وقد تركنا بعض التكرار على حاله اما لان الأشـــياء نفسها قد عولجت فى ظل علاقات مختلفة ، واما لأنها لازمة لتفهم التفاصيل الأخرى .

وصف خاص لعدد من معامل التفريخ
تابعناها فى القاهرة ، وللأساليب المتبعة هناك

يطلق المصريون اسم معمل الكتاكيت أو معمل الفروج على المحل الذى يضم الأفران والحجرات الخاصة التى يتم فيها تفريخ البيـــض . والمبنى الرئيسى(١) عبارة عن مربع يتفاوت طول ضلعه ، يقطعه من الداخل بكل

(١) تقوم هذه المبانى بصفة شبه دائمة داخل مساكن متداعية، ويتكىء ظهرها عادة الى اكوام من الرمال والانقاض ، مما حمل بعض الرحالة على القول بأنها مدفونة .

طوله دهليز يفصل صفين من الحجرات الصغيرة ، يتراوح عددها من ٢ الى ١٢ فى كل جانب ، وتتكون كل حجرة من طابق مزدوج (طابقين) ، ويبلغ طول الحجرة السفلية التى يمكن أن نسميها المفرخ (بفتح الميم وسكون الفاء وفتح الراء) ، لأنها تضم البيض خلال فترة الحضانة ، نحو ثمانية أقدام بعرض يبلغ ستة أقدام . وليس لها سوى باب صغير يطل على الدهليز . أما الحجرة العلوية ، التى سأسميها الفرن والتى يضعون فيها النار ، فلها على وجه التقريب المساحة نفسها التى للحجرة التى تحتها ، ولها كذلك باب يطل على دهليز، وفوق ذلك فاننا نلحظ وجود فتحة فى قبتها تغلق وتفتح حسب الحاجة، ولها كذلك نافذتان جانبيتان مفتوحتان على الدوام ، وتتصلان بالافران المجاورة ، وفى النهاية فان فى أرضيتها الخشبية فتحة كبيرة نحوا ما ، وهى دائرية الشكل ، صنعت من حولها حفرة واسعة توضع فيها الجمرات المتقدة التى تنتشر حرارتها من خلال هذه الفتحة العلوية الى الحجرة السفلية .

وقبل أن نصل الى داخل المعمل نجد ثلاث او اربع حجرات خاصة ، تستخدم أولاهن مقرا لسكنى الأشخاص الموكلين بخدمة الأفران ، وفى الثانية تتحول أقراص « الجلة » وأصناف الوقود الأخرى التى لابد لها أن تستخدم فى تدفئة الأفران ، الى جمرات ملتهبة ، اما الثالثة فمخصصة لاستقبال الكتاكيت بعد افراخها بعدة ساعات .

ولا تعمل معامل الكتاكيت فى مصر الا لمدة شهرين أو ثلاثة اشهر من العام ، وتفتح هذه المعامل فى الصعيد عادة عند نحو نهاية شهر يناير ، اما فى القاهرة فلا يبدأ العمل بها الا فى الأيام الاولى من شهر مارس .

وفى هذه الفترة يدخل صاحب كل واحدة من هذه المنشآت فى خدمته اثنين أو ثلاثة من هؤلاء الرجال الملمين جيدا بكيفية الاشراف على عملية الفقس . وفى حين ينشغل بعض هؤلاء العمال باعداد المبنى الذى سيمارسون فيه عملهم ، يتسلم آخرون البيض الذى يجلبه الناس لهم من القرى المجاورة ،ويسجلون كميات البيض المتسلمة وكذلك أسماء من أو دعوهم اياها ، مقرين بذلك ضرورة أن يردوا عددا محددا من الكتاكيت(١) .

---

(١) ويبلغ ذلك عادة ثلثى عدد البيض المودع ، أما الباقى فيؤول الى أصحاب المعامل .

وعندما يتم جمع عدد مناسب من البيض لبدء تفريخ « الرقدة » الأولى يتم العمل على النحو التالى : لا تستخدم مطلقا كل المفارخ للرقدة الواحدة نفسها وانما يستخدم نصف عددها فقط ، فاذا كان المبنى يضم ستة مفارخ مى كل جانب ، فلا يوضع البيض فى بداية العملية الا فى المفرخ الأول ، فالثالث ،فالخامس ، فالسابع فالتاسع ثم الحادى عشر ، ويوضع البيض فوق طبقة من الرماد والقش المهروس (التبن) ، ويوضعما يصل الى ثلاث طبقات من البيض كل منها فوق الأخرى ، ويمكن كل واحد من المفارخ أن يضم من أربعة الى خمسة آلاف بيضة عندما تمتلىء هذه بشكل تام . وبعد ذلك يسجل على كل واحد من المفارخ اليوم الذى بدأت فيه عملية التفريخ ثم تجلب الى حفرات الافران الستة الواقعة الى أعلى الجمرات المتقدة والناتجة عن احتراق مواد وقود مختلفة تحولت الى جمرات لهذا الغرض ، فى واحدة من الحجرات سبق أن تحدثنا عنها . وبعد لحظات تقفل فتحات القباب ثم ابواب الأفران والمفارخ ، وتترك هذه الجمرات على هذا النحو تتآكل ببطء ، وتتجدد هذه العملية مرتين فى النهار ومثلهما بالليل، ويتكرر ذلك كله طيلة عشرة أيام متعاقبة ، وفى كل مرة يراعى أن تفتح لنحظة ، فتحات القباب وأبواب المفارخ اما لتجديد الهواء فى داخل المبنى واما لتقليل اثر الحرارة الأولى والتى قد تسبب فى ايذاء البيض . أما فى الفترات التى تتخلل عمليات التدفئة فيمر العمال بالبيض الموجود بالمفارخ ويقلبونه ، وينقلون الى الطبقة الثانية أو الثالثة البيض الذى كان مصفوفا بالطبقة الأولى . وهكذا يقتصر العمل خلال الأيام العشرة الأولى على تجديد النار من أربع الى خمس مرات كل أربع وعشرين ساعة وعلى المرور بالبيض وتقليبه مرة فى اليوم أو مرتين .

وفى اليوم الحادى عشر يتضاعف العمل ، فتعد رقدة ثانية من البيض الذى تم جمعه ،ويوضع هذا البيض ، مع اتخاذ الاحتياطات التى سبق بيانها بالنسبة للفقسة السابقة ، فى المفارخ الستة الأخرى والواقعة بين مفارخ الفقسة الأولى ولابد أن يتم هذا العمل فى أقل من ثلاث ساعات . وحين تصبح الفقسة الثانية جاهزة بالقدر الكافى ، تجلب على الفور الجمرات المتقدة لتوضع فى حفرات الأفران العلوية ، ويستمر اشعال النار لمدة عشرة أيام متتالية بالطريقة نفسها التى اتبعت مع الفقسة الأولى ، على أن نحرص فى كل مرة على فتح منافذ القباب وأبواب المفارخ لفترة ، وخلال

هذه الفترة يبذل للبيض من العنـــاية نفس ما بذل من قبل لبيـــض الرقدة الأولى .

وبدءا من اللحظة التى توضع فيها النيران فى أفران الفقسة الثانية ، يتوقف العمال عن وضع النار فى أفران الرقدة الأولى ، اذ يحصل بيـــض هذه على القدر الكافى من الدفء ، من الحرارة المنبعثة من الأفـــــران المجاورة ، وان كانوا لا يتوقفون من أجل هذا عن الاهتمام ببيض هـــــذه الرقدة اذ هو يتطلب قدرا أكبر من العنـــاية كلما اقتربت لحظـــة خـــروج الكتاكيت . وينقل جزء من هذا البيض على الأرضية الخشبية للافـــــران بعد مضى يوم من خمود النار ، وحيث تكون بيضات هذه الفقسة أقل تكوما فان تقليبها يتم بشكل أكثر يسرا ، ويتم المرور عليها عدة مرات فى اليـــوم الواحد لاستبعاد ما يعتقد أنه قد تلف من بينها .

وفى اليوم العشرين نبدأ فعلا فى العثور على عدة كتاكيت ، وفى اليوم الحادي والعشرين يكون قد أفرخ من البيض عدد كبير للغاية ، ويقوم العمال فىبعض الأحيان بتسهيل عملية خروج الكتاكيت التى لم تستطع أن تحطم قشر بيضها بشكل تام ، ويظل يحتفظ ببقية البيض الذى يمكنـــه أن يعطى كتاكيت متأخرة وذلك لمدة يوم أو يومين . وتوضع الكتاكيت الهزيلة أو الضعيفة فى الدهايز الذى يفصل بين المفارخ ، وتحمل الكتاكيت الأخرى الى الحجرة المخصصة لاستقبالها حيث لا تبقى الا لنحو يوم واحد ، وهى تحمل الى هناك ليتم اعطاؤها لاولئك الذين جلبوا البيض (الى المعمل) او لبيعهـــا .

وبمجرد انتهاء الفقسة الأولى ، ينشغل العمال بالتحضير للفقســـــة الثالثة . وعندئذ يوضع البيض فى المفارخ الستة التى اصبحت فارغة ، ويتكرر بالنسبة لهذه الفقسة الثالثة ما سبق حدوثه بالنسبة للفقستين الاولى والثانية خلال ايام العمل العشرة الأول . اما خلال الأيام العشرة الثانيـــة فيتم كذلك بالنسبة للفقسة الثانية ما سبق ان تم تنفيذه للفقسة التى خرجت كتاكيتها من المفارخ ، وهكذا دواليك .

وتستمر هذه العملية لكل الفقسات التى تتعاقب بين عشرة ايام لعشرة أيام أخرى مع اتباع نفس تفاصيل العمل التى انتهينا من بيانها طيلة ثلاثة

اشهر وهو الوقت المعتاد لاتمام عمليات التفريخ ، وهكذا نرى كل ١٠ الى ١٢ يوما ، فى كل واحدة من هذه المنشآت العاملة ، ظهور فقسة تتكون من عدة الوف من الكتاكيت . اما كمية ما يتلف من البيض خلال عملية الفقس فضئيلة الاهمية ، وقلما تصل كمية التالف لابعد من السدس . ولم يحدث قط أن تلفت فقسة بأكملها .

وهذا النوع من المنشآت كثير للغاية فى مصر ، اذ توجد واحدة منها فى كل ١٢—١٥ قرية ، وغالبا ما يوجد اكثر من منشأة واحدة فى المدينة نفسها ، ويحصى الأب سيكار ما يقرب من أربعمائة منشأة تفرخ كل واحدة منها ،طبقا لما يذكره ، مائتين وأربعين الف كتكوت ، مما ينتج نحو ١٠٠ مليون كتكوت هى مجموع ما تفرخه هذه المنشآت فى مصر كل عام ، فى عصره . ويمكن لنا باستخدام منطقنا أن نقلص هذا الرقم الى اقل من الثلث . ولا يزال يوجد هناك نحو مائتى معمل فروج تعمل فى كافة أنحاء مصر ، يفرخ كل منها بشكل تقريبى نحو ١٤٠ الف كتكوت . وبالاضافة الى ذلك ، فهناك فى بعض القرى النائية ، وبشكل خاص عند القبائل العربية ، يتم تفريخ بعض البيض ، برغم أن هذه الوسيلة الاخيرة ، كما ينبغى أن نلاحظ، ليست مضمونة ، كما انها غير مجزية فى مصر(١) . ولا يرجع النجاح

---

(١) يعتقد البعض انهم قد عثروا على منشأ فكرة التفريخ الاصطناعى فى نموذج بيض النعام وبيض التمساح ، الذى يترك فى الصحراء وعلى ضفاف النيل ، وان حرارة الرمل وحدها هى التى تؤدى بها لأن تفرخ ، ومع ذلك فاذا ما استرعينا النظر الى ان حضانة الدجاج (البيضة) نادراً ما تنجح فى مصر ، وأن هذه الدجاجات ، عند حلول الفصل الحار الذى تبدأ فيه حضانة البيض ، سرعان ما تهجر بيضها لتنهمك من جديد فى ممارسة الحب ، فان المرء سيجد نفسه مدفوعا إلى الاعتقاد بأن كهنة مصر القديمة ، وقد كانت لديهم المعرفة الكافية بكافة ضروب الصناعة والفنون ، قد استطاعوا العثور على سبل علاج هذا العيب فى اساليب تكاثر (هذه الدواجن) ، وانهم قد لجئوا الى الحضانة الاصطناعية لتفريخ بيض الدجاج بوفرة ، وللحصول على كمية كبيرة من الكتاكيت كانوا يجدون فيها طعاما لذيذا ومريحا ، وحين أراد هؤلاء الكهان انفسهم بعد ذلك أن يفيدوا من هذا الكشف ، كى يثبتوا أن كل شىء يزدهر فى أيديهم ، جعلوا من ذلك علما غامضا ، ولم يتناقلوه من جيل لآخر الا باعتباره سرا لا يزال حتى اليوم غير معروف بشكل جيد فى مصر ، الا لبعض الافراد .

المستمر لعمليات التفريخ هـــذه الى اعتدال طقس مصر ، كما يزعم ذلك هؤلاء الذين ينتقصون من أساليب المصريين ، اذ يساهم فى ذلك ، هـــذا الحذق الخاص بأولئك الذن يدبرون أمور هذه الفقسات ، فقد جعلتهم الخبرة الطويلة يدركون بمجرد دخولهم الى الافران ما ان كان يلزم تجديد النار أو الانتظار للحظات أخرى ، كما أنهم يعرفون بالمثل كيف يحصلون على الحرارة التى تناسب مختلف مراحل هذه الحضانة الاصطناعية ، فهم ينتجون ، باتباع أساليب خاصة بهم ، فى نفس الوقت ، وبنفس الوسائل ، درجات متباينة من الحرارة فى مناطق متعددة من المبنى الذى توجد به المفارخ والافران .
وخلال مدة الفقسات كنت أجد بشكل دائم فى معامل الفروج العديدة بالقاهرة درجة حرارة تكاد تكون على الدوام متساوية ، لا تتفاوت قط لاكثر من درجتين برغم تباينها فى كل نوع من الحجرات ، فعلى سبيل المثال ، بلغت الحرارة خلال الأيام العشرة الأولى من الحضانة ، وطبقا لترمومتر ريومور من ٣٢ الى ٣٣° فوق الصفر ، وبلغت خلال الايام العشرة الاخيرة ما بين ٢٨ ، ٢٩ ، ٢٩ ١/٢° ، كما بلغت فى الأفران لحظة وضع النار نحو ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩° وانخفضت بعد اربع ساعات الى ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٣ ١/٢° . انظر الجدولين التاليين .

جدول بدرجات الحرارة كما لوحظت فى معامل الكتاكيت بمصر
١ — طبقا لتجربة أجريناها فى القاهرة فى معمل
يقــع بحى ستى زينب
ترمومتر ريومور — درجات فوق الصفر

التاريخ	درجة الحرارة فى الخارج	درجة الحرارة فى الحجرات الأمامية	درجة الحرارة فى الممرات	درجة الحرارة فى المفارخ		درجة الحرارة فى الأفران		
				خلال الأيام العشرة الأول	خلال الأيام العشرة الثانية	لحظة وضع النار	بعد ذلك بأربع ساعات	فى الأيام العشرة الثانية بعد أن يتوقف وضع النار
٢٥ جرمينال*	١٩	٢١	٢٦	٣٣	٢٩ ½	٣٦	٣٤	٣٠
٢٦	٢١ ½	٢٢	٢٦	٣٣	٣٠	٣٧	٣٤ ½	٣٢ ½
٢٧	٢٠	٢١ ½	٢٥ ½	٣٢ ½	٣٠	٣٦ ½	٣٤	٣٢
٢٨	١٩ ½	٢١	٢٥ ½	٣٢	٢٩	٣٧ ½	٣٣ ½	٣٢
٢٩	٢٢	٢٢	٢٦	٣٣	٣٠	٣٨	٣٣	٣١ ½
٣٠	٢٥	٢٣	٢٥	٣١ ½	٢٩ ½	٣٧	٣٢	٣١
١ فلوريال*	٢١ ½	٢٢	٢٦ ½	٣٢ ½	٢٩	٣٦ ½	٣٤	٣٢
٢	٢٣	٢٣ ½	٢٦	٣٣	٢٩	٣٧ ½	٣٤	٣٢ ½
٣	٢٥	٢٣	٢٥	٣٣	٢٩ ½	٣٧	٣٢ ½	٣٢
٤	٢٢ ½	٢٢	٢٥ ½	٣٢	٣٠	٣٦	٣٣	٣١ ½

(*) من العام الثامن .

ملاحظات : بينما يتبقى بيض فى الأفران فى خلال الأيام العشرة الاخيرة من الحضانة ، يواصل العمال دوما وضع النار فى الأفران المجاورة ، برغم عدم وجود بيض فى المفارخ السفلية .

٢ — طبقا لتجربة أجريت فى القاهرة
فى معمل فروج يقع فى حى باب النصر

التاريخ	درجة الحرارة فى الخارج	درجة الحرارة فى الحجرات الأمامية	درجة الحرارة فى الدهاليز	درجة الحرارة فى المفارخ: خلال الأيام العشرة الأولى من الحضانة	درجة الحرارة فى المفارخ: خلال الأيام العشرة الأخيرة من الحضانة	درجة الحرارة فى الأفران: عند وضع النار	درجة الحرارة فى الأفران: خلال الأيام العشرة الأخيرة بعد توقف وضع النار
٦	٢٢	٢٣	٢٦	٣٢ ½	٣٠	٣٧	٣٠
٧	٢٥	٢٤	٢٧	٣٣	٢٩ ½	٣٧ ½	٣٢
٨	٢٣	٢٤ ½	٢٥ ½	٣٢	٢٩	٣٦ ½	٣١
٩	١٩	٢٠	٢٥ ½	٣٢	٣٠	٣٧	٢٩ ½
١٠	٢٠ ½	٢٢	٢٧	٣٣ ½	٢٩	٣٨	٣٠
١١	٢٣	٢٤	٢٦	٣٢	٢٩	٣٦ ½	٣١
١٢	٢٥	٢٤	٢٥ ½	٣٢	٢٨ ½	٣٧	٣٠
١٣	٢٦	٢٤ ½	٢٥	٣١ ½	٢٩	٣٧	٣٠
١٤	٢٦ ½	٢٥	٢٦	٣٢	٣٠	٣٦	٣١
١٥*	٢٦	٢٤	٢٥ ½	٣١	٢٩	٣٧ ½	٣١ ½

(*) من شهر بريريال من العام التاسع (١٨٠١) .

ولا يبرع المصريون فقط فى فن تفريخ البيض، بل انهم يعرفون كذلك كيف يربون الكتاكيت دونما حاجة لوجود الدجاج، وان كانت مثل هذه الرعاية ليست من اختصاص أولئك الذين يدبرون أمور الحضانة الاصطناعية ، بل يعهد بها لبعض النسوة فى بيوت الخاصة ، وان كانت الواحدة منهن لا تربى من هذه الكتاكيت ، فى المرة الواحدة ، عددا يتجاوز ٣٠٠ أو ٤٠٠ كتكوت ، بل ان العدد فى معظم الأحيان يقل عن ذلك بكثير ، ولا يحدث أن تذهب هؤلاء النسوة للحصول على كمية جديدة من الكتاكيت من المعامل الا بعد مرور خمسة وعشرين يوما ، وهو الوقت الذى يمكن الكتاكيت فيه أن تتخطى حاجتها لتلك الرعاية الأولية .

وخلال النهار ، تترك هذه الكتاكيت فوق ارض جافة ، معرضة للشمس وتغطيها الانقاض أو الحصى ، ويقدم اليها كغذاء القمح والارز والذرة البيضاء المجروشة والماء باعتباره المشروب الأوحد ، وحين يقترب الليل تستعاد هذه الكتاكيت الى داخل البيت حيث تبقى حبيسة داخل أحد الأفران المصنوعة من الطين ، حتى تصبح فى منأى عن برودة الليل ، وحتى تكون فى مأمن من مطاردة الحيوانات المختلفة التى قد تدهسها ، وتحتاج الكتاكيت الى هذه الضروب من الرعاية الخاصة لمدة تقترب من الشهر ، وبعد هذا الوقت تترك لتجرى وسط الدجاج .

وعلى الرغم مما أبداه الكثير من الرحالة من رأى مناقض ، فان لحم الدجاج والفراريج التى ربيت بهذه الطريقة ، غض وشهى . ويلذ للمصريين اكله ، ولا يفضلون عليه أبدا لحوم الفراريج التى جاءت عن طريق حضانة الامهات . وفى حقيقة الأمر ، فان من النادر أن تكون الفراريج سمينة(١) . والدجاجات هناك صغيرة الحجم ، كما أن بيضها أقل حجما من بيض معظم دجاجات أوربا وان كان ذلك يعود الى اختلاف فى سلالة الدجاج فى مصر ، بأكثر مما يعود الى الأساليب المستخدمة فى استفراخها .

وحين نتفحص كل المكاسب التى يجنيها المصريون من معامل الفروج لديهم فاننا لنأسف لاننا لا نجد هذا الفن مستقرا فى أوربا ، وفى فرنسا على

---

(١) لا تسمن الفراريج أبدا فى مصر ، كما لا تخصى على الاطلاق صغار الديوك ، وهناك تؤكل كل أنواع الطيور بحالتها الطبيعية (أى دون تسمين) .

وجه الخصوص ، حيث يمكن هذا الفن أن يمارس بنفس الدرجة (من البراعة) التى يمارس بها فى مصر (١) .

(١) لا يشك الرحالة الذين زاروا معامل الكتاكيت ، والذين شاهدوا خروج فقسات كثيرة ، فى امكانية نجاح هذه الطريقة بالمثل فى بلادنا . وان كان لم يأخذ أحد منهم على عاتقه مهمة فحص مثل هذه المنشآت وتجميع الأساليب المستخدمة فيها . فكل واحد من هؤلاء الرحالة لم يشاهد هذه المعامل سوى مرة واحدة ، وفى معظم الأحيان فى وقت لا تعمل فيه هذه المعامل ، ولهذا فان معظمهم لم يجمع سوى معلومات غير دقيقة ، وغير كافية ، وقد حصلوا عليها كيفما اتفق .

وقد وصف بعض الرحالة أمثال ويسلنج **Wesling** ونيبور Niebuhr ونوردان **Norden** ، على نحو لا بأس به الأفران المستخدمه فى تفريخ البيض ، ويورد هؤلاء المؤلفون الثلاثة ، الذين نستطيع أن نلحق بهم تيفنو **Thevenot** والاب سيكار Sicard ، وبطريقة تتفق مع الواقع ، الأساليب المستخدمة (فى عملية التفريخ) بشكل اجمالى ، ومع ذلك فعند الدخول فى تفاصيل ما تتطلبه العناية بالافران خلال مدة الحضانة ، فقد ارتكبوا عددا من الأخطاء كانت عامة لديهم جميعا ولدى الكثيرين من الرحالة. وقد يكون مسموحا لنا ان ننسب اليوم الى معظم هؤلاء هذا الحظ الضئيل من النجاح الذى صادفته كل المحاولات التى بذلت فى أوربا لكى تمكن ممارسة هذا الفن هناك ، وبخاصة ذلك الاحباط الذى لقيه ، فى أوقات متفرقة ، أولئك الذين بذلوا اكبر الجهود فى محاولة توطينه فى فرنسا ، وقد كان ريومور واحدا من أولئك الذين كانوا يقومون اكثر من غيرهم بتجميع أساليب النجاح فى هذا الفن . وكانت تجاربه تتصف بالدأب حتى أن المنهاج الذى وضعه فى مؤلفه كان منهاجا علميا (انظر فن تفريخ البيض ، تأليف ريومور) . ومع ذلك فان الذين أطلعوه على تجارب المصريين وعلمهم قد تعمدوا أن يتركوه جاهلا للكثير من التفاصيل التى كان من المستطاع أن تكون ذات نفع لبحوثه وأن تضمن له الوصول الى نتائج اكثر تقدما .

ولكى نقف جيدا على هذا الفن كان الأمر يقتضى ليس فقط أن نتفحص هيكل أو تصميم المبنى الرئيسى وتوزيع المفارخ والأفران ، وانما كذلك التأكد من الفصل الذى لا بد أن تبدأ فيه عملية التفريخ ، وأن نشاهد العمل اليومى لأولئك الذين أوكلت اليهم ادارة الأفران . وأن تعرف بمعونة الترمومتر درجة الحرارة التى يحرصون على استمرارها أثناء الحضانة ، كما كان الأمر يتطلب منا أن نتتبع فى أوقات مختلفة ، وداخل معامل مختلفة ، عملية حضانة ثانية وثالثة . وعن طريق هذه الخطة للمتابعة والملاحظة توصلت الى تجميع مادونته عن معامل الفروج فى مصر .

ولسوف يكون سهلا على الدوام ، مع بذل بعض ضروب العناية ، تفريخ البيض بواسطة الحضانة الاصطناعية ، كما أن تربية الكتاكيت تلقى الكثير أو القليل من الصعوبات تبعا لحالة الطقس ولطبيعة الفصل (الذى تتم فيه) من فصول العام . ومع ذلك ألم تتغلب براعة **الأوربيين** دوما على عقبات مشابهة عندما استجلبنا الى اجوائنا نباتات استنبتناها وحيوانات ربيناها ، كانت غريبة عليها ؟

ولسوف يكون من الضرورى بالنسبة لنا ، كى نتوصل الى تفـريخ البيض عن طريق الحضانة الاصطناعية ، والى تربية الكتاكيت دون حاجة الى معونة من الدجاجات ، أن نتمثل ذلك الأسلوب البسيط والعملى الذى لدى المصريين ، وقد يتحتم علينا بصفة خاصة أن نعدل عن هذه المنشآت الضخام التى نحلم بأن نفرخ فيها ، وأن نربى فى الوقت نفسه ألوفا عدة من الكتاكيت .

روبيـه

(٣)

صناعة ملح النوشادر

كوتليه ديكوتيل

العنوان الأصلى للدراسة : وصف طريقة صنع ملح النوشادر .

نبــذة تاريخيــــة

لن نأخذ على عاتقنا هنا أن نبحث فيما ان كانت المادة التى نطلق عليها الآن اسم ملح النوشادر قد عرفت من قبل قدماء المصريين ، وان كنا نعتقد أن علينا أن نسترعى الانتباه الى انها تختلف كثيرا عن تلك التى أطلق عليها كل من بلين Pline وديوسكوريد Dioscoride الاسم نفسه(1) . أن هذا التمــــاثل فى التسمية لم يكن قط قائما فيما مضى ، كما أنه لم يتم الا بسبب اصرار بحاثة القرون الأخيرة على تطبيـــق ما قاله بلين عن ملح قيرينيا(*) La Cyrenaique على ملح النوشادر الحديث . وتخبرنا مؤلفاتهم نفسها أن الملح الاخير كان يحمل اسم ملح أرمينيا Sal Armeniacos . وهذه التسمية التى لابد أن نرجع اليها أصل كلمة armoniac ، ومنها ammoniac (اى ملح النشادر) ، والتى كانت لا تزال تطلق على هذه المادة فى بعض مؤلفات القرن الماضى تقابلنا مرة أخرى فى فارس حيث تستخدم كلمتا نوشادر وملح ارمينيا دون تفرقة للاشارة الى ما نسميه نحن ammoniac (2) ، وبلا جدال ، فقد اطلقت هذه التسمية على هذه المادة لأن هذا الملح كان يشكل جزءا من تجارة الأرمن ، مما دفع البعض على الاعتقاد بانه يأتى من بلادهم ، كما افترض آخرون ــ لوقت طويل ــ أنه يصنع فى البندقية ، لأن البنادقة كانوا يجلبونه الى الشرق ، بعد أن يكونوا قد اشتروا ــ ربمـــا ــ من الأرمن .

---

(1) كان ملح منجم ، ولعله كان ذامكسر ليفى كما يمكننا أن نستنتج من نصوص وردت عند هذين المؤلفين ، انظر بلين ، الكتاب ٣١ ، الفصــــل السابع ، المجلد العاشر ، ص ٣٥٤ وما بعدها ، طبعة باريس ١٧٧٨ ، فى ١٢ مجلدا ، وكذلك ديو سكوريد ، الكتاب الخامس ، الفصل ١١٧ ، ص ٣٢٦ ، طبعة ١٥٢٩ .

(2) اذا رجعنا الى قاموس اللغة الفارسية سنجد أن ما يطلق عليـــه الايطاليون اسم Sale armeniaco وبالفرنسية Sel ammoniac هو نفســـه ما يسمى بالفارسية نوشادر أو ملح أرمينيا ، أى الملح الأرمينى .

(*) يطلق الاسم اللاتينى حاليا على اقليم برقة بأكمله .. (المترجم)

ويطلق على هذه المادة فى مصر اسم نشادر (بفتح النون) ، وهى كلمة قريبة الشبه بكلمة نوشادر التى تستخدم فى الهند ، طبقا لبعض بحوث شاء المسيو لانجلبه Langles أن يقوم بها عن طيب خاطر استجابة لرجاء منى ، بنفس المفهوم ، حيث من المعروف أن ملح النوشادر يصنع فى الهند ، وبنفس الأساليب المتبعة فى صنعه فى مصر . وهذا التشابه فى الاسم ، بالاضافة الى رأى بعض المستشرقين الذين لا يعتقدون أن لكلمة نشادر أصلا عربيا ، يحمل على الظن ، كأمر طبيعى ، بأن فن صناعة هذا الملح قد كان يمارس فى الهند من قبل أن تمارسه مصر ، وانه لم يدخل البلد الأخير الا بعد ان فتحه العرب ، وان كان مثل هذا الزعم يتطلب تمحيصا متأنيا حتى يصبح بالامكان تبنيه بشكل حاسم .

ويبدو أن العرب هم أول من كتبوا عن ملح النوشادر عند المحدثين ، اذ نجد فى مؤلفاتهم بعض اشارات غير واضحة عن صناعته ، تختلط فيما يبدو بأفكار مأخوذة عن بلين ، كما انها أبعد عن أن تكون كافية للتعريف بحقيقة أصله(١) .

وقد تصور البعض فى أوربا ، وان كنا لا نعرف فى أية حقبة، أن هذه المادة تنتج عن بول الجمال الذى تتشربه رمال الصحراء، ويبدو أن هذه الفكرة ، التى رآها الآخرون مضحكة ، كانت تهدف الى التوفيق بين ما كتبه بلين وبين ما كان معروفا عندئذ عن وسائل استخلاص الملح ، وذلك أن الكيميائيين، من قبل أن يبدأ القرن الأخير بسنوات طوال ، وبدون معرفة تامة بمكونات ملح النوشادر ، وهو الأمر الذى لم يصل فيه دوهاميل Duhamel لرأى قاطع الا فى عام ١٧٣٥ ، كانوا يحضرونه فى معاملهم بأن يقطروا خليطا من الملح البحرى وسناج الخشب(٢). وحتى عام ١٧١٦ كان الناس لا يزالون يجهلون الأصل الحقيقى لذلك الشىء الذى يدخل فى صناعاتنا ، كانوا فقط يعرفون أنه يأتى من الشرق .

---

(١) انظر ابن سينا فى كتابه عن مبادىء الكيمياء عند جابر بن حيان .

(٢) استبعد ليميرى الأب وهومبرج Homberg السناج Hist. de l'Acad. 1716. ، أما هذه الوسيلة التى ينقلها جانكير Junker عن لانجيوس Langius (انظر ترجمة Demachy المجلد الخامس ، ص ٣٥٦) على اعتبار أن البنادقة قد مارسوها ، فانها هى الوسيلة نفسها — مع اختلافات طفيفة — التى يقدمها جابر بن حيان . انظر المرجع السابق .

وفى هذه الفترة ، فى ٢٢ ابريل ١٧١٦ ، قرأ جوفروى الاصغر Geoffroy Le Cadet فى أكاديمية العلوم ، دراسة موجزة تهدف للبرهنة على أن هذا الملح يستخلص ولابد عن طريق التصعيد،وان من المستطاع ،

باللجوء الى العملية نفسها أن نصنعه فى فرنسا عن طريق صنع خليط من الملح البحرى والطين الأصفر وبول الحيوانات أو أية مادة حيوانية اخرى ، وحيث تصدى ليميرى الابن Lemery fils لنقض ما جاء بهذه الدراسة فانها لم تنشر فى المجلد العام (للاكاديمية) ، وأخذ المسيو دى ريومور على عاتقه أن يطلب باسم الاكاديمية معلومات حول هذا الموضوع من قنصل فرنسا بمصر ، وكان ليميرى يعتقد أن ملح النوشادر يستخلص عن طريق التصعيد والتجميد (التكليس) ، كما يحدث فى مناطق عديدة لانتاج موريات الصوداء. وقد بنى هذا الكيمائى طريقته هذه فى التفكير من ملاحظة شكل قوالب ملح النوشادر التى تصل من الشرق ، كما كان شكل هذه القوالب نفسه هو الذى أوحى لجوفروى بأنهم يستخدمون أسلوب التصعيد (فى صناعة ملح النوشادر) .

ومع ذلك فان رسالة من الأب سيكار ، مؤرخة فى الأول من يونية ١٧١٦ ونشرت فى المجلد الثانى من دراسات مبشرى صحبة يسوع فى الشرق

Memoires des missionnaires de la Compagnie de Jesus dans le Levant.

ورسالة أخرى من لومير Lemaire قنصل فرنسا فى القاهرة ، مدونة بتاريخ الرابع والعشرين من يونية ١٧١٩ ردا على أسئلة الاكاديمية قد جاءتا شبه متطابقتين مع كل الاراء التى بشر بها جوفروى ، وعندئذ أصبح لهذا الكيميائى مطلق الحرية فى نشر دراسته فى مجلد (الاكاديمية) لعام ١٧٢٠، وارفق بها ، عند نشرها ، الرسالتين اللتين أشرنا للتو اليهما .

كانت المعلومات التى تضمنتها الرسالتان متطابقة فيما بينهما ، وقد أوضحت ان ملح النوشادر يصنع فى مصر وانه يستخلص عن طريق التصعيد ، من سناج ينتج أساسا عن طريق احراق براز الحيوانات ، لكن

الرسالتين اختلفتا فى نقطة هامة كانت موضوعا لجدل طويل بين الكيميائيين، كما كانت بالنسبة للرحالة اللاحقين موضوعا لاستقصاء مدقق.فقد كانت المادة التى يستخلص منها النوشادر طبقا لمعاومات لومير **Lemaire** هى السناج الخالص وحده ، لكن الأب سيكار يرى انهم يضيفون الى السناج القليل من الملح البحرى وبول الحيوانات . وقد عنى جوفروى عناية بالغة بأن يسترعى الانظار الى هذا القول الأخير ، فقد كان يعتقد أن اضافة الملح البحرى أمر لابد منه لدعم افتراضاته الأولى .

لكن معلومات جديدة جاءت من الأب سيكار نفسه ردا على أسئلة الأكاديمية ونشرت فى عام ١٧٢٩ فى المجلد السابع من دراسات مبشرى صحبة يسوع فى الشرق التىسبقت الاشارة اليها . جاءت لتتطابق تمام التطابق ، فى هذا الخصوص مع المعلومات التى قدمها لومير **Lemaire** . ولم يعد الرحالة الذين كانوا يجوبون مصر ، منذ ذلك الوقت ، والذين يولون اهتماما خاصا بهذه الصناعة ، يقولون أن المصريين يستخدمون (فى صنع النوشادر) الملح أو البول .

واكد جرانجيه **Granger** بطريقة موضوعية ، وهو الذى أولى اهتماما خاصا للتأكد مما ان كان المصريون يستخدمون هذه المواد ، انهم يقتصرون فى صنع النوشادر على السناج(١) .

ودعم هاسلكست **Hasselquist** الذى قام برحلته بعد جرانجيه والذى قدم فى « دراسات ستوكهلم »(٢) تفاصيل هامة حول هذا الضرب من ضروب الصناعة ، فكرة الاقتصار على استخدام السناج الحيوانى (أى الناتج عن احتراق بقايا حيوانية) ، وان كان قد ألح كثيرا على الكمية الهائلة لموريات الصودا التى تحتوى عليها النباتات المستخدمة طعاما الحيوانات ، والتى يكاد يكون برازها الوقود الوحيد الذى تستخدمه مصر . وهو يشير اليه باعتباره مصدرا كبيرا لحمض الموريات اللازم لانتاج ملح النوشادر ، ثم قدم لييل

---

(١) انظر تقارير هذا الرحالة وهى الدراسة التى أمر بطبعها دوهاميل فى مجلد الاكاديمية للعام ١٧٣٥ ، ص ١٠٧ وما بعدها .

(٢) مجموعة دراسات بالغة الأهمية عن الكيمياء والتاريخ الطبيعى تضم أعمال أكاديمية أوبسال **Upsal** ودراسات أكاديمية ستوكهلم ، الجزء الأول ، ص ٢٢٧ .

Leyel هذا الرأى نفسه ، بعد ذلك ، مع كثير من التطوير ، واذا كان قد امكن جوفروى أن يرتاب فى صحة ذلك، فقد بات دون جدال أكثر استعدادا لتقبل فكرة امكانية صنع ملح النوشادر فى مصر من السناج ، وبدون أن يضاف اليه الملح البحـــرى .

وبالاضافة الى ذلك ، فقد تحدث رحالة آخرون عن هذه الصـــناعة، وان كان الأمر قد تم بطريقة مبالغ فيها لحد لا يجعلنا نشير اليها هنا ، اما أولئك الذين استطاعوا حسب معلوماتنا أن يقدموا افكارا نافعة فهم هؤلاء الذين أشرنا اليهم ، ولكن البيانات والأوصاف التى تركوها لنا قد جاءت ، كلها لسوء الحظ ، غير كاملة ، بل اننا نجدها فى بعض الاحيان تتناقض بعضها مع بعض، بحيث سيكون من المستحيل علينا عند مقارنة كل ما كتبوه أن نكون فكرة دقيقة عن الأسلوب المتبع فى صنع ملح النوشادر ، ولهـــذا السبب فقد عزمنا أن نقدم عنه هنا كل التفاصيل ، وبالطريقة التى تابعهـــا كثيرون من رجال الحملة أثناء التنفيذ ، ولقد تحرر الوصف الذى سنشرع فى قراءته طبقا لمعلومات جمعها هؤلاء الرجال ، وبصفة خاصة تبعا لما قدمه لنا من معلومات ، المرحوم المسيو لوروج Lerouge الذى كان قد تابع كل المراحل بكثير من الانتباه والمثابرة ، بل أنه قد شرع بالفعل فى القيام ببعض البحوث لتأسيس نظرية عن تكوين وتركيب ملح النوشادر لكن المنية قـــد عاجلته فى جائحة عام ١٨٠١ قبل أن يتمكن من اتمامها ، فلم يستطع أحد الاستفادة بمعلومات ذات شأن كبير من التجارب التى أجراها .

وينتج من العرض الذى انتهينا من تقديمه أن الرحالة المتأخرين الذين ذكرناهم قد برهنـــوا بدرجة كافية على صحة افتراضات لومير المتعلقـــة باستخدام السناج دون اختلاطه بأى عنصر آخر ، وقد يكون من التزيد أن ندعم ذلك مرة أخرى بشهادتنا نحن الخاصة ، ولابد لنا أن نستنتج من هذه الممارسة أن السناج يحوى ملح النوشادر كامـــلا وأن المصريين لا يفعلون سوى أن يستخلصوه عن طريق التصعيد ، وقد أدت التجارب المختلفة التى اجريت على هذا الموضوع الى نفس النتائج ، وترتبط هذه الخاصية التى للسناج ، كما لاحظ بحق كل من لومير والأب سيكار ، بطبيعة المواد المحترقة التى أنتجته ، وعلى هذا ، فان علينا أن نبدأ بحثنا بدراسة الوقود .

عن مواد الوقود المستخدمة فى مصر

يكاد يقتصر المصريون فى اشعال مواقدهم على روث الماشية ، وقد ارغمتهم على ذلك بلا شك ، ومنذ زمان طويل ، ندرة الاخشاب ، والغيبة المطلقة لأى وقود معدنى ،بالاضافة الى ان لجوءهم لهذا النوع من الوقود لن تترتب عليه هنـــاك نفس المساوىء التى يمكن أن تنجم عنه فى بلد اقل خصوبة ، اذ قلما يشعر الناس هناك بالحاجة لاستخدام الاسمدة ، وفضلا عن ذلك فان الاسمدة الوحيدة التى قد يستخدمونها هناك ، وهى الأتربة ، بعد غربلتها من الانقاض ، وكذلك زبل الحمام . وفيرة للغاية لحد لا يكون معة ثمة محل للاسف على السماد الذى كان بمقدور الماشية أن تهيئه (لو لم يستعمل وقودا) ، ويلقى روث الماشية هناك كل الاهتمام ، كما يقتصر استخدامه على توفير الوقود .

ولكى يصبح هذا الروث صالحا للاستعمال ، فانه يهرس فى البداية ويعجن لاعطائه قوام عجينة رخوة . فاذا كانت حالة الروث شديدة الصلابة، فانها ترطب بشىء من الماء ، اما اذا كانت بالغة السيولة فيضاف اليها القش المهروس (التبن). وحيث تتم هذه العملية على الأرض فان هذا الوقـــود يختلط ببعض الأتربة ، وبعد ذلك تشكل منه كتل (اقراص) تلصق بحائط مبنى باللبن عادة ومعرض لأشعة الشمس . وهناك تلتصق الاقراص وتكتسب شكلا مسطحا آخذة هيئة رغيف يتراوح اتساع سطحه تبعا لكمية مادة الروث المستخدمة فى صنعه ، وحين تجف هذه الاقراص تنتزع لتوضع فى مخزن ، وتحمل هذه السلعة التى يعهد باعدادها الى النسوة والاطفـــال اسم « الجلة » ، وثمنها بالغ الانخفاض ، اذ تساوى مائة القرص منها ، فى سمك واتساع كف اليد ، ثلاثة مدينى على أكثر تقدير ، أى ١/١٠ الفرنك، ومع ذلك فهى تعد غالية لحد لا تقدر معه على استخدامها كل طبقـــات السكان ، ولذلك يسعون لتخفيض ثمنها بأن يضيفوا اليها عند اعدادها كمية كبيرة من الأتربة والطين ، وتتشكل من هذا الخليط اقراص فى ســــمك القبضتين ، يجففونها فى الشمس ، وتحتـــرق هذه على نحو طيب ، على طريقة الخث(*) ، مع تاكلها شيئا فشيئا منتجة حرارة متساوية للغاية ، ويطلق على هذه اسم قرص (اقراص) .

(*) الخث أو الترب (بتشديد وضم التاء) تراب عضـــوى قابل للاشتعال ،يتكون من التحال البطىء لبعض النباتات الطحلبية .
(المترجم)

وبالاضافة الى هذين النوعين من الوقود ، وهما مكلفان لحد يفوق قدرة بعض المنشآت (أو المصانع) ، يستخدم وقودا كذلك كناسة الشوارع ، والقش ، والعظام ، والريش ، والبراز من كل نوع ، بعد أن تجففه حرارة الشمس . وهو يوجد فوق اكوام الزبالة والانقاض التى تحيط بالمدن ويفصله الناس عن التراب بواسطة الغربال ، وعن طريق هذه المواد ، بصفة خاصة ، وهى التى تظل محتفظة بقدر كبير من الطين ، كما انها مشبعة بالملح البحرى(١) ، تتم تدفئة الحمامات العمومية .

أما الوقود النباتى *الذى* لا ينتج عن احتراقه السناج فيقتصر استخدامه على بعض المصانع ، مثل القمائن وأفران الفخار وأفران الزجاج ، حيث لا يحترق سوى قش وسيقان الذرة وغاب البوص ، وكذلك تستخدم «الجلة» فى المخابز .

ولابد لأصناف الوقود الثلاثة الأول التى اشرنا اليها فى البداية أن تنتج بالضرورة الكثير من النوشادر اثناء احتراقها ، اذ هى تحتوى على كمية كبيرة من المادة الحيوانية ، كذلك لابد لهذا العنصر ، لكى يكون ملح النوشادر ، أن يتحد بحمض الموريات ، ولا يستطيع المرء أن يعتقد أن لهذا الحمض من أصل سوى موريات الصودا الموجودة فى المواد التى يتم احراقها . وتحوى مواد الوقود هذه ، التى التقطت من الشوارع ومن اكوام الأنقاض كمية كبيرة منها ، كما أن وجودها داخل براز الماشية فى مصر هو واحدة من الوقائع الملموسة بشكل مؤكد ، بينته بجلاء تجارب المسيو لوروج ، الذى وجد بها كذلك السلفات والأملاح المرة وان كان ــهوــ لم يحدد لنا طبيعة هذه الأملاح الأخيرة .

ومن السهل تفسير انبعاث موريات الصودا فى الافران التى تحترق فيها الأقراص (روث الماشية المختلط بالطين) أو زبالة المدن ، فحيث تحتوى هذه الأنواع من الوقود على كثير من الطين المختلط بالملح البحرى (ملح الطعام) ، فان كل الشروط اللازمة لتكوين هذه المادة الأخيرة توجد مجتمعة ، ولكن عندما يقتصر الاستعمال على « الجلة » ، فان كمية

---

(١) تحتوى اتربة الشوارع على نسبة مئوية كبيرة من حجمها من الملح البحرى .

الطين الموجودة بها تبدو فى حجم لايكون بمقدورها معه أن تتفاعل بطريقة فعالة مع موريات الصودا ، أما هذا العنصر الأخير فلابد له من ان يتحلل عن طريق الأملاح الأخرى التى يوجد مختلطا بها فى المواد البرازية ، ويمكن المرء أن يرى كذلك أن موريات طينية تتكون فى أثناء عملية الهضم وأنها تتحلل بعد ذلك بفعل حرارة الاحتراق ، بل ان كمية ضئيلة من موريات النوشادر توجد متكونة بالفعل فى البراز ، لكن تأثير هذين السببين الأخيرين بالغ الضعف بشكل مؤكد ، بالمقارنة بالتأثير الذى يمكن أن يحدثه السبب الأول الذى أشرنا اليه .

وزيادة على ذلك ، فمهما تكن مدة وسبب تحلل الملح البحرى ، فان ملاحظة من المسيو شبتال Chaptal تبعد كل شك فى أن السناج الناتج عن احتراق براز الحيوانات يدين بخاصيته تلك الى وجود هذه المادة الملحية فى طعامها ، لاحتواء هذا الطعام على موريات النوشادر ، فقد أوضح هذا الكيميائى الشهير فى كيميائه التى طبقها فى مجال الصناعة (الجزء الرابع ، ص ١٣٧) « أنه قد استخلص ملح النوشادر من السناج الناتج عن احتراق روث العجول والخيول البرية التى تعيش فى سهول لاكاماراج ولاكرو (*) الشاسعة ، وعلى حواف العديد من برك ومستنقعات البحر الأبيض المتوسط ، ومع ذلك ، فحيث تفضل هذه الحيوانات النباتات حلوة المذاق على الأعشاب الملحية ، وحيث هى لاتتغذى على الأخيرة الا خلال الشتاء ، فان برازها لايعطى ملح النشادر الا اثناء هذا الفصل »

وتعطى هذه الواقعة قيمة كبيرة لرأى هاسلكيست Hasselquist الذى لم يؤسسه الا على وجود مذاق ملحى فى أنواع عديدة من النباتات التى يغذى بها المصريون مواشيهم ، وتتطلب منا ملاحظته تلك ، والتى تبدو متنافرة مع حدوث الفيضانات السنوية لنهر النيل ، ان ندخل فى بعض التفاصيل كى نتبين كيف أن النسبة الغالبة من خضروات مصر لابد لها فى الواقع ان تحوى من الملح البحرى أكثر مما يمكن ان تحويه الخضروات التى تنمو فى أجوائنا : فحيث أن الأرض فى المناطق المطيرة فى أوربا تغسلها على الدوام مياه

(*) لاكاماراج ، جزيرة تكونها دلتا نهر الرون ، وهى مراع للخيول والعجول البرية ، أما لاكرو فسهل رملى قاحل من سهول الرون ، ويغص بالحصى . (المترجم)

الأمطار النقية فانها لاتستطيع أن تحوى من المواد الملحية الا ماتجلبها اليهـا الأسمدة ، لذلك فلا يمكن أن تكون نسبة هذه الأملاح (بأراضينا) كبيرة ، وعلى العكس من ذلك مايحدث فى مصر ، التى لاتكاد تسقط عليها مطلقـا أمطار السماء ، وحيث أن التربة (المصرية) تنحصر داخل صخرة من الحجر الجيرى ، فانها تحوى فى طيـاتها الكثير من موريات الصـودا ، وتظل مشبعة بالملح حتى انه يكفى الا يروى حقل ما لعدة سنوات ، ليصـبح غير قادر على استنبات المحاصيل المفيدة مالم تغسل مياه النيل تربته — بمعنى كلمة يغسل — قبل زراعته ، أما الأراضى التى تمكث بها مياه النيل لمـدة طويلة ، فهى الوحيدة التى قـد تكون خالية من الأملاح ، ومع هذا فجزء ضئيل فقط من سطح مصر هو الذى تنطبق عليه هذه الحال ، ذلك ان المساحة الأكبر (من أرض مصر) لاتحصل على حاجتها من الماء الا عن طريق الرى (الصناعى) ، والذى يتم بالنسبة لمعظمها عن طريق مياه الآبار ، التى تحفر فى الأرياف لهـذا الغرض ، ولا تعطى هذه الآبار سوى مياه تتفاوت درجة ملوحتها تبعـا لمدى بعدها عن النهر الذى تحصل منه على مياهها من خلال مسام الأرض الخضراء ، وحين تتشرب النباتات كميات من هذه الميـاه فانها تتشرب معها نتيجة لذلك كمية لابأس بها من الملح البحرى . أما النباتات التى تنمو على شواطىء البحر ، أو فى المنـاطق التى لاتغمرها ميـاه النيل ، فتحتوى بالضرورة على كمية اكبر من الملح ، ولابد أن هاسلكيست قد وجد المـذاق الملحى (الذى لاحظه) فى هـذه النباتات بصفة خاصة ، اذ أننا نلاحظ ان الخضروات التى تغطى الحقول لها مذاق من نوع خاص .

وبالاضافة الى ذلك ، فلابد للمرء أن يلاحظ انه ليس من الضرورى أن تحتوى النباتات على الـكثير من موريات الصودا حتى يصبح بالاماكن تفسير تكون ملح النوشادر ، ذلك ان كمية السناج (الناتج عن الاحتراق) تعـد ضئيلة للغـاية بالنسبة الى كمية الأطعمة التى تغذت عليها الماشية ، بحيث يكفى أن تحوى هذه الأطعمة نسبة جد ضئيلة من الملح حتى يكون بمقدورها ان تهيىء حمض الموريات اللازم لتكوين ملح النوشادر ، وهـو الملح الذى تنتجه مصر بوفرة ، حيث يمكن القول بأن هذا الاقليم الفسيح ، ليس سوى معمل واحد (لانتاج هذا الملح) ، تتم العمليات التحضيرية لتكوينـه داخل كل البيوت الخاصة .

ونستنتج مما سبق القول كيف يمكن اختلاف طعام الماشية أن يعطى فروقا فى قيمة السناج النـــاتج عن برازها ، ولهذا السبب دون شك فان براز بعض الحيوانات يمضى ليعطى سناجا أكثر غنى (بملح النوشادر) ، وهكذا ، وطبقا لمعلومات قام بجمعها المسيو اوروج ، واستقاها من صناع ملح النوشادر ، فلابد — فى هذا الصدد — أن نضع براز الجاموس فى المقام الأول ، تليه بعرات الخراف والماعز ثم براز الانسان ، وبعد ذلك تأتى بعرات الجمل ، وتأتى فى المقام الأخير بعرات الخيل والحمير ، وأن كان الأرجح الا يكون هــذا الترتيب قــد تم على اساس اية تجربة موضوعية، كما انه سيتغير ولابد تبعا لنوع الأطعمة ، ولهذا فاننا لانورده هنا الا لكى لانكون قــد استبعدنا شيئا مما يتصل بالصناعة التى عنينا بها .

عن السـناج (١)

تكاد تكون كل مساكن الفلاحين عبارة عن بيوت مبنيــة من الطين ، قليلة الارتفاع وليس لها من منفذ لتسريب الدخان سوى الباب ، ولذلك يثبت فوق كل الأوجه الداخلية لجدران المساكن ، ومع ذلك ، فحيث أن ملح النوشادر أقل قابلية للتبخر (للتبدد فى الهواء) عن الأجزاء الداكنة ، فان من الطبيعى أن نجد أن السناج الأقرب (الأدنى) هو اكثرها ثراء (بملح النوشادر) .

ويجمع السناج عادة مرة واحدة كل ثلاث سنوات من مساكن الأفراد، اما فى الأماكن التى توقد فيها النــار بشــكل اعتيــادى ، مثل المخــابز والحمامات العمومية ، فتجمع هذه المادة من هنــاك مرة كل عام، ويجوب رجال يرسلون من قبل ملاك مصانع التصعيد قرى مصر ليشتروا من الفلاحين حق السماح لهم بجمع السناج من مساكنهم، وهم لايأخذونه مطلقا بالوزن ، ولــكنهم يحكمون بنظرة خاطفــة مقــدار كميــة الســناج التى يمكنهم أن يستخلصوها ، فاذا كان السناج ذا قيمــة ضــئيلة ، كما فى مصر العليا، فانهم يقدمون فى مقابله الصابون والابر وأشياء أخرى مماثلة ، أما فى مصر السفلى (حيث السناج أكثر قيمة) فيدفعون ثمنه نقدا .

---

(١) الهباب (والكلمة الموضحة هنــا وردت بحروفها العربية واللاتينية فى الأصل الفرنسى — المترجم) .

ويستخدم هؤلاء لجمع السناج من القبـــاب الوطيئـــة ، أو من فوق الجدران ، مكاشط حديدية صغيرة ، لها أياد طويلة ، يجرفونه بواسطتها لـــكى يفصلوا الوسف (القشرة) الذى يلتحم به بقوة ، ممـــا يؤدى الى تجريف كثير من الطين ، اما فى مصر العليا ، حيث لايصنع السناج لنفسه وسفا ، فيكتفون بازالته بواسطة مقشة ويجمعونه فى قطعـــة قماش تبسط فوق الأرض .

وتختلف صنوف السناج فيما بينهـــا ســـواء فى اللون أو الوزن أو المـــذاق ، بقدر ماتختلف فى درجة الجودة اى فى حجم كمية ملح النوشادر التى تحويها ، فبعض انواع هـــذا السناج تدخل فى عداد مالا يحوى ملح النوشادر البتة ,رغم صـــدوره عن مواد حيوانيـــة ، وهذه الأنواع فيما يؤكد البعض تثيرة للغـــاية ، أما افضـــل انواع الســـناج فهو ما يأتى من مصر السفلى وبخاصـــة من منوف وضـــواحيها الواقعة على فرع رشيد وكذلك من المنصـــورة والأماكن المحيطة بها على فرع دميـــاط . وهذه الأنواع من السناج تضرب الى الصهبة كما انها ثقيلة الوزن وتحتوى على كمية ضئيلة من الطين ، وهى أقرب شبها بالطين الدخن منها بسناج حقيقى ، ومذاقهـــا لاذع للغـــاية ، ويلمح المرء فيهـــا بسهولة ، وبخاصـــة فى الفتافيت منها خيوطا صغيرة من ملح النوشادر ، وتوفر هذه الأنواع كمية كبيرة من هذا الملح من صـــنف بالغ الجودة اذا ما اديرت عملية التصعيد على نحو طيب.

عن عمليـــة التصـــعيد

يتم تصعيد ملح النوشادر فى قنينـــات زجاجية ملطخـــة بالطين حتى بضع سنتيمترات من فتحتها ، وحيث ان المساحة (من جسم القنينة) التى تركت للملاحظة يبردها الهواء بصـــفة دائمة فانها تبطن من الداخـــل بملح النوشـادر ما ان يتم تصـــاعد الأخير بفعل الحرارة ، من السناج الذى يملأ اتساع القنينـــة ، وسنعرض تبـــاعا لـــكل تفاصيل هذا العمل فى الفقرات التاليـــة :

عن القنينـــات وكيفـية صنعها

تصنع القنينـــات التى تستخدم (فى صناعتنا هذه) من زجاج أسود اللون ، بالغ الرداءة ، وان كان كافيا للاستعمال المخصصة هى من أجله .

ومنذ البداية ، أدى انخفاض ثمن النطرون ، بالاضـــافة الى وفرته ، الى تفضـــيل الزجاج على أية مادة أخرى فى صنع آنيـــة التصعيد ، وقد حالت هذه الأسباب ، مع ندرة الوقود ، دون أن يحصـــل فـــن صـــناعة الزجاجات على تحسينات كبيرة ، ولهذا فان منتجاته ، حتى تلك المخصصة منها لاستعمالات الحياة العادية ، هى من نوع بالغ الرداءة ، بل ان القنينات المستخدمة فى المصـــانع التى تعنينا هنـــا ، أدنى من هذه بكثير ، كما أن هشاشة هـــذه الآنية قـــد تجعل من نقلها عملية بالغة الصعوبة ان لم نقل مستحيلة ، ولهذا السبب يضطر أصحاب مصـــانع ملح النوشادر لتصنيعها فى مصانعهم الخاصة ، وان كان هـــذا الأمر لا يتسبب لا فى انفاقات كبيرة ولا فى حدوث الـــكثير من المضايقات . وتكفى مساحة مربعة الشـــكل ، يبلغ طول ضلعها نحو المترين كمكان لاقامة فرن الزجاجات (١) . وتحيط به أربعة جدران رئيسية سمك كل منها ثلاثة ديسمترات ، ويبلغ ارتفاعها نحو المترين ، وتتلاقى عنـــد نهاياتها بقبـــة تقفل فرن الانصـــهار وأتون التحمية أو الانضاج .

ويشغل فرن الانصهار نحو ثلثى الارتفاع الـــكلى للمبنى ، أما الثلث البـــاقى فيضم فرن التحمية أو الانضاج ، ويشتمل الأول على موقد وحوض توضع فيـــه مباشرة المواد المراد صهرها ، وينفصـــل الموقد الذى يمتـــد بطول الفرن كله فى اتجاه ، وبطول ثلثه فى الاتجاه الآخر ، عن الحوض عن طريق حائط طوله متر ولا يعلو فوق سطح أرض الحوض الا ببضـــعة سنتيمترات ، فى حين يقوم الحوض فوق مصطبة مبنية تعلو فوق ســـطح أرضية المصنع بنحو ٨ الى ٩ سنتيمترات .

وتغطى فرن الانصهار قبـــة تستخدم فى الوقت نفسه أرضـــية لفرن التحمية ، وتعكس هذه القبة (أو تشع) الى الحوض لهيب الوقود ، الذى

---

(١) أنظر الأشكال ١٧ ، ١٨ ، ١٩ من اللوحـــة الثانيـــة من الفنون والحرف ، وكذلك شرح هذه اللوحة .

يتكون عادة من سيقان الذرة وغاب البوص ، وتدخل نسبة من اللهب كذلك الى فرن التحمية عن طريق فتحة عملت فى منتصف القبـــة التى انتهينا من الحديث عنها .

اما المـــادة التى تصنع منها القنينـــات ، فهى خليط من النطرون مع مسحوق رملى تم اعداده تماما من قبل ، ويحصل عليه من مصـــانع الزجاج العـــادية . ويوضع هـــذا المســـحوق الرملى على هيئـــة طبقـــات قليلة السمك داخل الحوض ، وتضاف اليها بعد ذلك كمية كبيرة من النطرون ، وذلك للاسراع بانصهارها .

ولكى يتم صنع قنينـــة ، يقوم العـــامل بانتزاع المـــادة اللازمة لهذا الغرض بواسطة عصـــاه ، وبعد أن يصل بهذه القطعـــة المنتزعة الى قطر يبلغ نحو ٢٤ الى ٢٧ سم فى الوقت الذى يظل هو يحتفظ بها داخل فـــرن الانصهار ، ينتهى بها الى فرن التحميـــة أو الانضاج لتظل وســـط النيران التى تتوغل الى داخل الفرن الأخير عن طريق الفتحة التى تم احداثها فى منتصف القبـــة السفلية ، وعنـــدما تبلغ القنينـــة قطرا يبلغ ٤٠ الى ٤٥ سم يضعها العامل فوق الرمل الذى يغطى ارضية فرن أو أتون التحمية، ثم يطرى العامل رقبة القنينة وبعد ذلك ، وبطرقة خفيفة فوق عصاه ، يفصل القنينة (عن العصا) ، ويحرص العامل دوما على أن يبلغ طول رقبة القنينة من ٤ الى ٥ سم وقطرها من ٤ الى ٧ . وتستغرق هذه العملية بكل مراحلها نحو خمس الى ست دقائق .

وحيث لايستطيع فرن التحمية أن يضم سوى اثنتين أو ثلاث قنينات ، فان الواحدة من هـــذه الآنية لا يمكنها أن تمكث فى هذا الفرن لأكثر من ١٠ ١٥ دقيقـــة ، تجر بعدها بواسطة محجن حديدى الى خارج الفرن ، عن طريق فتحة تتسع للحد الـــكافى عملت فى أحد جوانبه ، ولا يتم ابعاد هذه الآنيـــة عن النـــار الا بشكل تدريجى مع تمريرها فوق حاجز يقع قريبـــا من النار ، لـــكنه لا يتلقى الحرارة الا عن طريق الفتحة المطـــلة على ممر القنينـــات .

وتمكث كل طريحة اربعـــا وعشرين ساعـــة ، اى ان المـــادة لـــكى

تنصهر تستغرق اثنتى عشرة ساعة ، ثم تستغرق عملية نفخها بعد ذلك نفس المدة .

وناتج هذا العمل هو ماينبغى أن نتوقعه من عمل يتم انتاجه بأدوات غير متطورة ، وعلى يد عمال قليلى المهارة ، ويأتى سمك القنينات غير متساو بدرجة كبيرة ، وهى كلها على وجه التقريب مشروخة بسبب تبريدها الذىيتم بشكلشبه فجائى ، وليس منالنادر أن نرى قنيناتبأكملها تسقط منتلقاء نفسها مفتتة، بلقد يتم ذلك وهىماتزال بعد فوق الحاجز ، ويقدر عدد مايتحطم منها بنحو العشر ، سواء اثناء عملية الصنع أو فى اثناء نقلها الى خارج المصنع أو كذلك عند دهكها بالطين ، وتجمع بعناية كل هذه الشقفات . لتضاف الى شقفات القنينات التى تم استعمالها ويلقى الجميع فى فرن الانصهار .

ولا تعود هذه القنينات على الصانع بعد دهكها بالطين بشكل تام الا بـ ١٠ الى ١٥ مدينى اى بنحو ٣٥ أو ٥٠ سنتيما ، اذ تساوى كل ٥ فرنكات ١٤٢ مدينى .

عن تلطيخ القنينات بالطين

لكى يتم استخدام هذه القنينات ، لابد أن تلطخ بطبقة سميكة من الطين ، ويؤخذ هذا الطين من ارض مزروعة ، ويعجن فى حفرة ثم تضاف اليه كمية كبيرة من سيقان الكتان المهروسة بعد تخليصها من الجزء الأكبر من مشاقة الكتان التى تظل عالقة بها والتى تكون بمثابة عائق فى العملية التى نحن بصددها .

ويتم هذا الطلاء اربع مرات ، ولكى يتم حدوثه ، يؤتى بالقنينة اولا الى حافة الحفرة ، وتوضع بحيثتكون فتحتها الى اسفل وفوق طبقة من الرماد المحمى ، عملت فى وسطه فجوة تكفى لاستقبال رقبة القنينة ، ويمر العامل فى البداية بقاع القنينة الذى يكون هو الأعلى ، بالاضافة الى انه اقل اجزاء القنينة سمكا ، ليضع فوقه طبقة من الطين يصل سمكها الى نحو ١١ الى ١٢ مم ، ويتم ذلك دون تناسق ، وبعد هذا ترفع القنينة وتوضع فوق الأرض فى نفس الموقع حتى تجف فى

الشمس ، وعندما يصبح الطين جافا بشكل جيد ، تحمل القنينة مرة أخرى لتكون قريبـــة من حفرة الطين وذلك لطلاء الجزء العلوى ، وتوضع فى هذه الحالة فوق قاعها وبذلك تكون رقبتها الى أعلى ، ويغطى بالطين كل الجزء الذى يبقى مكشوفا بعد العملية الأولى فيما عدا راس كرة يبلغ طول قطرها ١٩ الى ٢٠ سم ، بحيث تكون الرقبة هى المركز ، ولابد أن يظل رأس الكرة هذا عاريا (أي غير ملطخ بالطين) ، ، وعندما يجف هذا الجزء الجديد من الطلاء الطينى ، تؤخذ القنينـــة مرة ثالثة ثم رابعة لتحصل على طبقة ثانية من الطين ، تثبت بها بالطريقـــة السابقة نفسها ، وتستغرق كل خطوة نحو دقيقتين الى ثلاث دقائق .

وعندما يتم طلاء القنينـــات ، فانها تصبح متينـــة ، ويمكن الإحتفـــاظ بها فى المخزن لوقت طويل على هيئـــة أكوام ، تتكون كل كومة منها من ثلاثة صفوف ، واذا ماحدث حادث طفيف ، كأن تثقب أو تتحطم رقبتهـــا ، فان القنينـــة لاتعد تالفة لهذا السبب ، بل يعـــالج الأمر بأن توضع على الثقب قطعة من الزجاج تغطى بالطين ، فاذا حدث هذا الثقب فى رأس الـــكرة (غير المطلى) فيكتفى بلصق شقفة من الزجاج اكبر قليلا من الثقب المشار اليه عنـــدما توضع القنينة فى الفرن ، وحين تتكاثف الأجزاء الأولى من ملح النوشادر ، فسرعان ماتثبت هذه الشقفة على النحو المطلوب .

ملء القنينـــات

لا يتطلب ملء القنينـــات اتخـــاذ أى احتياطـــات خاصـــة ، وانما يكتفى بتنظيف نصف الـــكرة العلوى بعناية ثم ندخل السناج الى القنينـــة بعد ذلك ، ولا يترك بها من فراغ الا مايكفى لتكون لب الملح الذى لابد أن يملأ القنينة حتى أسفل الرقبـــة بنحو اربعة سنتيمترات عندما يستخدم السناج الغنى بالملح ، ولأقل من ذلك قليلا عندما يكون السناج أقل ثراء به ، وفى الحالة الأخيرة يقل كذلك اتساع نصف الـــكرة الذى لايطلى بالطين .

ويهز العـــامل القنينة عند ملئها بحرص وذلك لضغط السناج ، ولكى يتكون له فى جزئه العلوى سطح أفقى مستو .

وبعد أن تملأ القنينات على هذا النحو ، توضع بعد ذلك فى الفرن ، الذى نقدم فيما يلى وصفا له :

عن فرن التصـــعيد

يتكون هذا الفرن من أربعة جدران رئيسية يبلغ سمك الواحد منهـــا ستة ديسيمترات ، تترك بينها فراغا مربع الشكل يبلغ طول ضلعـــه نحو المترين . ويبلغ ارتفـــاع هذه الجدران نحو ١٣ ديسيمترا فـــوق أرضـــية المصنع ،ومع ذلك فحيث أنها تبنى حول حفرة يبلغ عمقها سبعة ديسيمترات فان ارتفاعها الفعلى يبلغ فى مجمله المترين على وجه التقريب . وهنـــاك باب يقع عند الواجهة الأمامية ، ويستخدم لادخال الهواء والوقود ولاخراج الرماد .

وفى العـــادة ، فان جدارى الجانبين لايحتفظان بكل سمكهما ، بل همـــا يرقان بشكل تدريجى مع ارتفاعهما ، فىحين تظل الواجهاتالخارجية على نفس حالها ، فى وضعها الرأسى بطريقة يصـــبح معها الفـــرن ، من داخله ، وفى جزئه العلوى ، فى شكل متوازى أضـــلاع يبلغ طوله (فى اتجاه) من ٢٨ الى ٢٩ سم ، ويبلغ عرضه (فى الاتجاه الآخر) ٢٠ سم .

وتتكىء على الجدارين الجانبين ثلاث تقويسات ترتفع فى شكل عقـــد كامل ، ويبلغ سمك الواحدة منها نحو ٢٢ سم ، وتبنى موازية للجـــدران الأمامية والخلفية ، وهى تقسم نصف الفرن الى أربعـــة مقاطع متساوية تظل فارغة ، ويحمل ظاهر هذه التقويسات جدارا صـــغيرا ، له السمك نفسه ، ويمتد بشكل أفقى الى نحو أربعة ديسيمترات تحت القبـــة العليا للجدران الأساســـية ، ويشكل الجداران الأمامى والخلفى ، ولهمـــا نفس الارتفاع ، تراجعا الى داخل الفرن ، وتخصص هذه التقويسات مع جدارى التراجع دعائم للقنينـــات عند المقـــاطع الفارغة والتى تحصل عن طريق هذه المقاطع الفارغة نفسها على تأثير حرارة النيران ، أما البروز الـــذى يتجاوز الأربعة ديسيمترات فى ارتفـــاع الجدران الرئيسية فوق التقويسات فيشكل سورا يحيط بكل القنينات الموضوعة فوق الفرن (١) .

ويصنع كل هذا المبنى منطوب يلتصق ببعضه البعض بفعل طين عادى ، معجون بالماء ، ومخلط بنسبة تقرب نحو الربع من حجمه ، بالملح البحرى (٢) .

---

(١) انظر الأشكال ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ من اللوحة الثانية من الفنون والحرف ، مع شرحها .

(٢) تعد اضافة الملح البحرى الى « المونة » ممارسة شائعة فى مصر وهو أمر لم نستطع الوقوف على تقدير فوائده .

ولكل مصنع فى العادة بضعة أفران من هذا النوع ، وهى تبنى فى صف واحد أو فى صفين ، حسبما يسمح بذلك المحل ، وتضم هذه الأفران فواصل مشتركة ، لتتقل المبنى كله بعد ذلك سقيفة كبيرة ، تغطيها فى معظم الأحيان سعف النخيل.

صف القنينات فوق الفرن

توضع فوق كل فرن ، بصــفة عامة ، **أربع وعشرون قنينة** ، بحيث يتكون كل صف من ست قنينـــات ، وتوضع هذه متقاربة مع بعضها البعض تقاربا شـــديدا ، ولـــكن دون أن تتلامس ، ويحرص العـــامل كذلك على ابتعادها عن الجدران ، وعن التقويسات التى تسندها ، **وذلك بوضع قطع** من الرماد المتماسك فيما بينها .

وبعد أن توضع القنينات ، تملأ الفراغات التى تتركها فيما بينهـــا ، أنصافها العلوية ، بقطع كبيرة من الرماد ، تغطى بقطع أقل حجما ، لينتهى الأمر بوضع طبقـــة من الرماد النـــاعم تعلو لتبلغ قاعدة رقبـــة القنينة ، كذلك يراعى احداث فتحة يبلغ قطرها نحو الديسيمتر ، فى كل واحدة من الزوايا الأربع للفرن ، تستخدم كمدخنة .

وتستغرق كل هذه العملية ، بدءا من ملء القنينات ، حتى اشـــعال النيران ، نهارا بأكمله .

تشغيل النيران

عندما يتم اعداد كل شيء ، على النحو الذى انتهينا من بيـــانه ، تلقى فى الفرن — وهو لا يضم أسـيـاخا ولا مرمدة (مكان لاختزان الرماد) — كمية من الأقراص تكفى لملء مايقرب من نصف سعته ، وبعد ذلك توقـــد النـــار فى الجزء المجاور للبـــاب ، ويمتـــد الاشـــتعال ببطء ليشـــمل كل المساحة ، ثم يتوغل تدريجيا حتى يبلغ القـــاع ، وعندما تشتعل كل الكتلة، يقفل البـــاب بشكل يكاد يكون تاما ، ويلاحظ أنه قـــد بدء فى سده بالطين قبل أن يدخلوا اليـــه الوقود ، وبهذه الطريقـــة لاتنتج سوى نار ضعيفة للغاية ،تتوغل فى بطء فى الآنية التى يتم تصعيد (مابها من سناج) ، **ولا**

ينزع هذا السد الطيني لباب الفرن الا عندما تصبح من الضروري زيادة النيران ، وحينئذ يضيفون حسب الحاجة وقودا جديدا .

ولا توقد النار في الفرن الا عند بداية الليل ، وحيث تستغرق عملية التصعيد ستين ساعة فانها لا تبلغ نهايتها ، على هذا النحو ، الا قرب صباح اليوم الثالث ، وعندئذ يتم استخداج لباب الملح في النهار ،وهذا انسب عما لو اضطروا لفعل ذلك خلال الليل .

ولا تبدأ الحرارة في الارتفاع قليلا الا قرب نهاية الليلة الأولى ، وفي هذه الفترة تصاعد من القنينات كمية هائلة من الأبخرة الرطبة والقاتمة ، مختلطة بكربونات النوشادر ، ولا يستطيع أي امرىء أن يظل للحظات فوق الفرن الا بشق الأنفس ، وبرغم ذلك نجد عاملا عليه أن يصعد كي يحطم قشرة ملح البارود ، التي تتكون على السطح العلوي للسناج ،وأحيانا قريبا من منشأ رقبة القنينة ، اذ قد تؤدي هذه القشرة ، باغلاقها كل المنافذ على الأبخرة ، الى اغلاق كل المسارب ، مالم يحطمها العامل بمسبار حديدي ، عندما تزيد صلابتها لأكثر مما ينبغي .

وعند نحو منتصف نهار اليوم الأول ، يصبح دخان القنينات أبيض اللون ، كما يقل هذا الدخان بشكل محسوس ، برغم أن النيران تكون قد بلغت عندئذ أقصى درجة تتطلبها العملية ، وهنا يكون السناج قد تخلص من الرطوبة ومن الأجزاء الدهنية التي يحتوي عليها وتكشف أجزاء القنينات التي لم تطل بالطين والتي كان يغطيها الرماد حتى ذلك الوقت . وتؤدي البرودة التي تلامس انصاف السكرات الى تكون جزء من الملح المتصاعد والى أن يتكثف ، وان كان جزء كبير منه يظل هائما في الجو على شكل بخار أبيض ، وفي الحقيقة فان لباب الملح لا يبدأ في التكوين الا بدءا من هذه اللحظة بعد أن تكون قشرة السناج قد تبخرت في جزء كبير منها بفعل الحرارة بمجرد أن تكون هذه الحرارة قد اخترقت كتلتها .

وفي اليوم التالي ، عند الصباح ، يتحسس رئيس المصنع ما ان الملح قد اكتسب صلابته المطلوبة ، وذلك بأن يطرق فوق انصاف السكرات بضربات خفيفة ، وفي حالة تماسك الملح تكسر رقاب القنينات ولكن بدون انتزاعها .

وعند مساء اليوم نفسه ، تفحص مرة أخرى حالة لبـــاب الملح ،فاذا وجده جيـــد التماسك ، فانه يكسر القنينـــات دون أن ينتزع قطع الزجاج كذلك ، فاذا ما صـــدر عن القنينة صـــوت يفيد بأنها جوفاء ، ينتظر العامل لبعض الوقت حتى يصدع الزجاج. وعلى الرغم من هذه الاحتياطات، فكثيرا مايحدث أن تؤدى الأبخرة التى تتكون فى منتصف كتلة السناج الى انحباس مسارب الأبخرة تحت لباب الملح .

وقـــد لاحظ المسيو لوروج أن رائحة لحمض الـــكبريتيك تنبعث قوية عندما تكسر القنينات .

وتنتهى عملية التصعيد عادة عند نحو صـــباح اليوم الثـــالث ، ومع ذلك فاذا لوحظ — بعد أن يتم اخراج عدة لبـــابات — أنها ليست بالقـــدر الـــكافى (من التماسك) فان العمـــال يبـــدأون عمليـــة تسخين أخرى لبضع ساعات ، مع اضافة الوقود .

وعندما يتبين أن العملية قـــد اكتملت بشكل تام ، يبدأ العمـــال فى انتزاع ملح النوشادر ، ولـــكى يتم ذلك تحطم القنينـــة أسفل كتلة الملح المصعدة مبـــاشرة ، وتنتزع أنصـــاف الـــكرات بـــدون مســـاس بالجزء البـــاقى ، ثم تلقى كمية من المـــاء البـــارد على أجزاء الزجاج التى تبقى ملتصقة بلباب الملح لتتحول الى شظايا ثم تنتزع هذه بسهولة، ولكى تستبعد المواد السوداء التى تكون بمثابة وساخات عالقة بسطح الملح الأبيض يضطر العمال أحيـــانا لاستخدام بلطة صـــغيرة ، معقوفة وحادة ، أما اذا كانت درجة التصاقها قليلة ، فيكتفى بمسحها ، أما اذا كانت تشـــوب الملح بقع صفراء أو ســـوداء فان العـــامل يزيلها بقليل من المـــاء أو اللعاب ، واذا حدث أن ظهرت بلبـــاب الملح أجزاء أقل تماسكا ، فانها تضغط قبـــل أن تبرد بضربات مطرقة .

ويزن لبـــاب الملح الذى يستخرج من كل قنينـــة ، فى العـــادة ، اربعة أو خمسة أرطال .

ويعتمد بهاء ملح النوشادر ، كما تبينا نحن ذلك جيدا ، على صنف السناج وطريقـــة تشغيل النيران ، وهم يصنفون الملح ، تبعـــا لدرجـــة بياضه الى ثلاث درجات ، وان كان الفرق بين هذه الدرجات الثلاث ليس قاطعا .

لحد يحول دون وجود تقديرات تعسفية ، وأكثر هده الدرجات نصاعة ، وهو مايسمونه المكرر ، يستخرج من المواد التى تظل فى وسط القنينات عندما لا يكون التصعيد قد تم بشكل مطلق ، وهو مايحدث كثيرا . أما المواد التى يطلقون عليها اسم هدارى — أو حدارى — أو تلك التى يسمونها اولاد ، تبعا لما يذكر المسيو لوروج ، فهى كرات بالغةالتماسك تتكون وسط الرواسب السوداء والقابلة للتفتت التى تملأ القنينات، وهم يحرصون على انتزاعها مباشرة بعد استخراج الملح ، وتصب فوقها على الفور كمية ضئيلة من الماء البارد لايقاف الأبخرة الوفيرة لموريات النوشادر التى تصدر عنها ، ونادرا ماتستخلص هذه المادة نقية ، اذ هم يخلطونها فى المادة بنسبة الثلث مع سناج جديد ، ويعتقد العمال أن هذا الخليط يعطى كمية اكبر من الملح عما لو صعد هذين العنصرين منفصلين . وباذابة الموادالملحية التىيحويها هذا الهدارى — أو الحدارى؟ — نحصل على سائل به نسبة عالية من الحديد ، ومن الممكن أن يؤدى خلط هذه الكرات بسناج جديد يحتوى على كربونات النوشادر الى تولد كمية أكبر من موريات النوشادر . ومع ذلك فمن غير المحتمل ان تكون هذه الزيادة محسوسة جيدا .

وتشتعل الرواسب القابلة للتفتت بمجرد ملامستها للهواء ، وهى تفقد لونها الاسود بفعل احتراق الكربون ، متخذة اللون الرمادى أو النحاسى الفاتح ، وترمى هذه المواد ولا يحتفظ الا بفتات الزجاج التى يمكن صهرها مرة أخرى ، وترمى معه الأجزاء التى تحملت أقصى درجات الحراره لأنها تكون قد ذابت والتحمت بالطين .

ويعطى السناج فى المتوسط نحو ١/. وزنه من ملح النوشادر ، أما اذا اخذنا فى الاعتبار تلك الكمية الهائلة التى تذهب بددا فى الهواء خلال عملية التصعيد ، وهى كمية كبيرة لحد انها تظل تملأ أجواء المصنع على الدوام خلال هذه العملية ، بدخان بالغ الكثافة يكفى لتحريك سعف النخيل الذى يشكل السقيفة ، وكذلك لتغطية الملابس برماد وفير من موريات النوشادر ، فلسوف نلمس بوضوح انهم لا يحصلون الا على نسبة ضئيلة من الملح الذي يحويه السناج بالفعل . وبغسل السناج ، وتصعيد الرواسب التى تنتج عن تبخر هذا الغسول ، حصل المسيو لوروج ، فى تجربة قام

بها — للحقيقة — على نطاق ضيق ، على كمية من الملح تساوى نصف وزن السناج المغسول . ومن المحتمل نتيجة لذلك ، أن يصبح بالامكان احـــداث تغييرات مفيدة على الاساليب المتبعة فى مصر .

وتقع أهم مصانع الملح فى المنصورة وبولاق ، وقد تابعنا تفاصيل هذا العمل فى هذا الموقع الأخير .

وينتج مصنع المنصورة سنويا ، وبه ستة أفران ، نحو ٦٠ الى ٧٠ قنطارا ، وقبل الحرب كان يباع كل مائتى رطل — أى كل قنطار — فى مقابل ١٠٠ بوطاقة من ذوات التسعين مدينى .

ويبلغ عدد العمال الذين يحصلون على أجور طيلة العام ستة عمال، ويستخدم بالاضافة اليهم ، تبعا للحاجة من ١٥ الى ٢٠ عاملا يجوبون القرى لشراء وجمع السناج (*) .

(*) انظر الباب الثانى ، الفصل الثـــامن ، ص ٢٢٧ ، الزراعة والصناعات والحرف والتجارة من تاليف المسيو جيرار ، وهو المجلد الرابع من الترجمة العربية الكاملة لوصف مصر . (المترجم)

(٣)

صناعة دبغ الجلود

بوديه ،

« العنوان الأصلى للدراسة هو : دراسة موجزة عن تجهيز الجلود فى مصر ، تأليف بوديه ، كبير صيادلة جيش مصر ، وعضو المجمع المصرى ، والحائز على وسام الشرف » .

من المعروف أن فن تجهيز الجلود يعود ألى عصور ضاربة فى القدم، وان النـــاس فى كل مكان ، وحتى من قبل أن تخطر ببالهم فكرة غزل الكتان أو القطن أو القنب أو زغب الحيوانات لصنع المنسوجات منها ، قد استخدموا الجلود كأردية لهم وفى عدد لاحصر له من الاستخدامات الأخرى .

كـــذلك ، فنحن نعـــرف ان النـــاس منذ عصر موسى كانوا بالفعل يصبغون الجلود باللونين الأحمر والبنفسجى، كما نعرف ان مكتبة برجام (*) فى عهد آل أو مينوس (**) **Eumènes** كانت تغص بالكتب المؤلفة عن جلود الرقوق ، ولابد أن نستنتج من ذلك أن الفن الذى يهتم باعداد الجلود، كان فى ذلك العصر متقدما لدرجة بدأ البحث معها عن النافع والمناسب منه .

ومع ذلك فمنذ آلت مصر الى أيدى المسلمين ، نكص هذا الفن الى طور الطفولة ، حيث تضاءل فى هذه الأيام الى مجرد أساليب بدائيـــة ظلت على قيد الحياة بفعل التقليد ، باعتبارها تراثا موروثا ، تنفذ بشكل ردىء بالغ الخشونة ، وان كانت هذه الصناعة مع ذلك تنهض على أسس نفس المبادىء والتى نعمل نحن على أساسها ، والتى طورتها أوربا ، وبالامكان أن نتعرف على ذلك اذا القينا نظرة عابرة على أساليب المصريين وكـــذلك على أساليبنا (١) .

(*) مدينة ايطالية تقع فى سهل لمباردى (المترجم) .

(**) وهـــم ملوك برجام وقـــد حكم اومينوس الأول من ٢٦٣ الى ٢٤١ ق.م. والثانى من ١٩٧ الى ١٥٩ ق.م. وكان متحالفـــا مع الرومان (المترجم) .

(١) قد يكون بمقدورنا أن نظن أن هؤلاء الذين اخترعوا فى الأصـــل أساليب فن الدباغة كانوا يعرفون ، قدر مانعرف ، طبيعة جلد الحيوانات، كما كانوا يعرفون كذلك مثلما نعرف ، أن العصـــارة اللمفـــاوية التى يكون الجلد متشربا بها ، بخلاف الدم، تتكون من مادتين متميزتين لابد أن نستخلص (أو نستبعد) احداهمـــا ، وهى جيلاتينيـــة صرف، أما الأخرى ، وهى نسيج ليفى غير قابل للذوبان فى الميـــاه ، فلابد لها ، فى نفس الوقت أن تحصل فى جزء كبير منها على تغيير لتصـــبح كمـــا نقول نحن شـــائطة ومنكمشة ومتهيجة ، لتتحد بعد ذلك بالمادة الدابغة .

فـــن الدباغة

يعني دبغ الجلود عند المصريين ، كما يعني عندنا ، أن نشبعها بعنصر يسمى tannin (*) ، وتوجد هذه في النباتات الخضراء (وتسمى القابضة ، اي التي تجعل انسجة الجلد تنقبض ، فيقل الافراز او النزف) وباتحاد هذا العنصر مع الالياف التي تشكل نسيج الجلود ، فانه يجعلها تتخذ حالة نصف جيلاتينية ، بحيث ينتج عن ذلك جسم جديد اشد صلابة ، واكثر مرونة (غير قابل للـكسر) واقل قابلية لنفاذ المياه منه ، كما يكاد يكون غير قابل للتلف .

وقبل ان ندبغ الجلود يقتضي الأمر أن نغسلها اولا ، ثم نكشطها ، أما لكي ننتج ما نطلق عليه في أوربا اسم الجلود الـكثيفة أو السميكة ، فلابد أن نقوم بنفخها .

وفي مصر ، كما في كل البلاد ، تعني العملية الأولى (وهي الغسيل) أن نغمر الجلود وأن ننقعها وأن ندوسها وهي في مياه جارية ، وأن نجعلها ترشح وأن نبسطها فوق حامل ثم نغسلها مرة أخيرة حتى نتخلص تماما من وشلها (أو نضحها) ومن دمائها ، ومن الوساخات التي تراكمت عليها في الزرائب أو في المذبح حتى تصبح متشبعة بالماء .

أما العملية الثانية ، وهي الـكشط ، فتقتصر في مصر على واحـدة من خطوات عدة تلجأ اليها أوربا ، ويتم بمقتضاها وضع الجلود في محلول الجير حتى يمكن انتزاع زغبها (أو شعرها) بسهولة ، وحتى يمكن للعامل ان يزيله ، بينما تكون الجلود معلقة على الحامل ، بواسطة سكين دائرية الشكل ، لـكنها غير قاطعة .

وتكتفي أوربا بطريقة الكشط بالجير بالنسبة لجلود البقر والعجول ، وهي الجلود التي تخصص لتصبح جلودا خشنة ، ويكتفي بهـا في مصر كذلك بالنسبة لجلود الجاموس والثيران ، ذلك أن المصريين كما هو معروف لايسعون ابدا لكي يصنعوا من جلود هذه الحيوانات جلودا سميكة أو كثيفة . اما في أوربا ، حيث يرغب الناس في مثل هذه الجلود ، وفي أحسن شكل

(*) وهي مادة قابضة تؤخـذ من قشر البلوط أو العفصـه أو غيرهما ومنها جاءت كلمـات tanner و tanneur و tannée بمعنى يدبغ ودابغ ونثل المادة الدابغة الخ (المترجم) .

ممكن ، فانهم يفضلون ، للوصـــول بالجلود الى هذه الدرجة من الجودة ، كشط جلود الديوانات الكبيرة وذلك بعد أن يغمروها فى سوائل لاذعة مثل منقوع الشعير أو مصل اللبن أو عصير الدباغة او فى الناتج المائى والحمضى لتقطير الفحـــم الحجرى والترب (*) أو فى ماء أذيب به بعض من حمض الـــكبريتيك ، أو بعد تعريضها لدرجة معينة من التخمر ، ويتم ذلك بطيهــا وقـــد رشت بالملح أو بدفنهـــا فى الزبالة والفضـــلات الحيوانية أو بحبسها فى قبو ، تتعرض وهى فى داخله لنـــار ناتجة عن احتراق ثفل الدباغـــة تكون نصـــف جافة ونصف رطبة ، وتنتج درجـــة حرارة تتراوح بين ٢٥ و ٣٠° وتحدث دخانا مشبعا بالبخار يخترق مسام الجلود ، ويتخللها ويجعل شعرها أقل التحاما بها ، وذلك بدون أن يتلفها أو يؤثر فيها هى لأكثر مما ينبغى .

وعندما تتم عملية السمط (ازالة الشعر) بواحدة من هذه الطرق ، تغسل الجلود وتكشط (اى تزال اللحوم العـــالقة بها) ، وعندئذ ، وهذا هو مايحدث فى مصر ، تصبح الجلود ، بكل أنواعها ، معدة للدبغ ، فى حين نظل الجلود ، التى تخصصها أوربا لانتاج مايسمى بالجلود الكثيفة أو السميكة ، فى حاجة لأن تمر بعملية ثالثة تسمى بعملية النفخ ، وتحدث هذه اما بواسطة الجير ، اذا كان الـــكشط قـــد تم بهذه الوسيلة (اى باســـتخدام محلول الجير) ، واما باية وسيلة من تلك التى اتبعت لتنفيذ عملية الـــكشط ، اذ يمتلك الدباغون فى هذه البلاد ، لهذا الغرض حفرات جير يسمونها الممتلئة Pleins أو احواضا توضع بها المحاليل اللاذعة أو الحمضية ، تتنوع درجات قوتها (أو مفعولها) ، يمررون فيها على التوالى تلك الجلود الى ان تكتسب درجة الانبساط أو التمدد المناسبة .

وتوجد لدى الأوربيين ثلاث طرق رئيسية يلجئـــون اليها فى علميـــة الدباغة ، فاما أن يبسطوا الجلود « على الناشف » داخل حفرات ، فوق طبقـــة من لحاء البلوط تحولت الى مسحوق بواسطة الرحى ، وأن يجددوا ذلك ثلاث مرات خلال ١٥ الى ١٨ شهرا ، مختصرين مع ذلك ، وفى بعض الأحيـــان هذه العملية ، فيعمد بعضهم الى تسريب قليل من المـــاء شـــيئا

(*) وهو تراب عضوى قابل للاشتعال ، يتـــكون من التحلل البطىء لبعض النباتات الطحلبية .

فشيئا داخل هذه الحفرات ، فى حين يعمد آخرون ، يريدون أن يوفروا على انفسهم فى الوقت نفســـه مشقة اتلاف الحفرات حين يســـتبدلون بالمـــاء محاولات من الدبغة بالـــكمية التى كان من الممكن أن يستخـــدموها ، الى تقديم (استخدام) القشرة الثانية والثالثة من ((لحاءالباوط)) بشكلها الطبيعى (بدون تحويلها الى مسحوق) .

واما انهم يخيطون الجلود بشكل تتحول معه الى اجولة يملؤونها بالماء والمادة الدابغة ، ثم يغمسونها فى أحواض تحتوى كذلك على كميـــة من المـــادة الدابغـــة المـــذابة ، وتستغرق هـــذه الطريقـــة ، والتى يسمونها Chippage (*) مدة شهرين .

واما انهم — اخيرا — يدبغون جلود الأبقـــار فى خلال بضعة أيام ، وجلود الضأن فى خلال بضع ساعات وذلك بأن يغمسوها منعزلة (أى كل جلد بمفرده) فى حوض يحوى محلولا قويا من المادة الدابغة .

لـــكن المصريين ليست لديهم سوى وسيلة وحيدة لدبغ جلود الثيران والأبقار والجمال والجاموس والماعز الخ ، يبدأونها بتغطية الجلود وهى لينـــة ، ممطوطة ومكشوطة ، بخليط من الملح ومسحوق حبـــات الخردل والسنط ، ثم بعد ذلك توضـــع ، وتنفض ، وتداس أو تهرس لعـــدد من الأيام تزيد أو تنقص تبعـــا لحجم الجلود وسمكها ، ويتم ذلك كله فى ماء اذيبت فيه كمية مناسبة من نفس هذه المساحيق الملحية والقابضة .

وعندما تخرج الجلود من احواض النقع هذه ، تبسط وتجفف ، ويدخل بعضها وهو مايزال على هذه الحالة فى طور الاستعمال ، فى حين يمـــر بعضها الآخر بعملية التطرية او التليين .

(*) الفعل Chiper فى اللغـــة الفرنسية يعنى خطف أو دبغ ، لذلك فقد يعنى هذا اللفظ الدباغة الخاطفة . (المترجم)

فـــن تطرية او تليين الجلود

وتعنى هذه الخطوة اعطاء المرونة للجلود التى جعلتها عملية الدباغة يابسة ، وتمر كل الجلود التى تخضع لهذه العملية بين يدى « المطرى » ، وهو يعدها لهذا الأمر عن طريق تجهيزات مختلفة تتنـــاسب مع الأغراض التى ستستخدم فيها هذه الجلود .

ولنأخذ جلود البقر على سبيل المثال ، ان العـــامل يعيد لهذه الجلود رخاوتها عن طريق مياه يسعى لأن تتشربها مع وطئـه الجلود وعركهـــا بالأقدام ، ثم يعلقها فوق حمـــالة ويكشطها ويسوى حوافيها ، ثم يجففها ويبسطها على نضد ، ويصب فوقها من ناحية الباطن (او اللحم) زيتـــا يدلـــكه بيده ، ويفعل نفس الشىء من ناحية الوجه (او الشعر) وان كان مايضعه هنـــا من زيت اقل كثيرا مما وضعه فى الناحية الأخرى ، ثميعلق هذه الجلود حتى تتشرب هذا الزيت وبعد ذلك يدهسه ثم يغمره بالزيت من جديدثم يدهسه او يطؤه مرة اخرى ، ثم يزيل هذه الشحوم بواسطة محلول خفيف (غير مركز) من النطرون ، يضعها على وجه الجلد (اى الجهة التى بها الشعر) ، وذلك بقصد اعداده لـــكى يأخذ اللون الأسود ، الذى يمنحه اياه على مرتين، بواسطة محلول يتكون من اتربة حمض الكبريتيك ومسحوق ثمار السنط ، داهسا الجلد فى كل مرة ، وبعد ذلك يعالج عيوبه ثم يضع طبقة من الزيت على وجهه .

أما الجلود المستعملة فى سن أمواس الحلاق المصرى فتصـــنع من سيور من جلود الثيران او الجاموس ، المدبوغة والتى تلين بعد ذلك فى الزيت ، وتنقع هذه السيور لمدة ثمانية أيام فى زيت الـــكتان ، ثم لـــدة ثمانية أيام أخرى فى زيت الزيتون ، ثم تداس بالأقـــدام ، وتلف حول نضد كى تكتسب المرونة المطلوبة ولكى تتشبع بالزيت .

لكننا نجهل ما ان كان هذا الصانع يستخدم فى بعض الأحيان ، بدلا من الزيت ، الودك (شحم الأمعاء) أو الشمع ، اذا ما أراد اعداد الجلود الناعمة أو المصقولة التى يحتفظ لها بلونها الأصهب — ان كان حقا يعرف ذلك ، وما ان كان يعطى لجلود الأبقار والعجول ، مثلما يفعل دباغونا ، اللون الأحمر ، مقتربا من نفس أساليبنا وخطواتنـــا ، وذلك بأن يعـــالج

هذه الجلود بالشبة ، فى الحالة التى تكون عليها عند صباغتها باللون الاسود ، ثم بأن يدوسها وهى فوق طبقة الشبة ثم بأن يصبغها بخلاصة خشب البرازيل أو خشب الفرنامبوك موضوعة فى مياه الجير ، ثم بأن يجففها وأن يصقلها قبل وبعد غمرها بالزيت ، وبعد ذلك بأن يضع على المصفاة تلك الجلود التى يريد أن يكون الحبوب على وجهها (يجعلها محببة) ، ومع ذلك فليس العامل المصرى هو الذى يجهز الجلود التى نصنع منها ، فى مصر ، القرب التى تستخدم هناك اما لحمل مياه النيل الى بيوت الأهلين ، واما لنقلها خلال الأسفار على ظهور الجمال ، واما لاحتواء العسل الأسود القادم من الصعيد ، وكذلك الزبد وزيت الزيتون والعسل الأبيض ، اى هذه السلع القادمة من تونس ومن مدن أخرى فى بلاد البربر ، اذ تصنع هذه الجلود فى مكة وجدة ، ولا يفعل المصريون سوى أن يخيطوها ليصنعوا منها قربهم ، أما القرب بالغة الضخامة ، والتى لابد من حملها فوق ظهور الجمال ، فتصنع من جلود الثيران ، وتستخدم فى صنع القرب الأقل حجما جلود الماعز والتبوس ،وتحتاج هذه وتلك ، كى تعمرا طويلا لأن تمرا كل عام مرتين على الأقل ، بالعملية الآتية :

عندما يلاحظ أحد السقائين أن قربته قد اعتراها الانهاك ، فانه يعلقها مع ابقاء فمها مفتوحا ، فتجف ، وعندئذ يدخل فيها خليطا من القطران وزيت الزيتون ، يبسطه بعناية بيده فوق نصف سطحها ، من داخلها ، ثم يقارب بين نصفيها ويدوسهما معا كى يتخللهما هذا الخليط، ثم تترك هذه القربة فى النهاية معرضة للشمس والهواء حتى تتشرب كل القطران الذى اعطى لها ولدرجة لاتتلوث معها الأصابع بالقطران عند لمسها .

وتعمر قربة ما ، بهذه الوسيلة ، نحو خمس الى ست سنوات ، مع استعمالها يوميا .

وتوجد لدى المصريين كذلك ، بقصد اختزان الماء ، آنية صنعت بدرجة لا بأس بها من الحذق ، حتى أننا ظنناها ، دون أن نستطيع التأكد من ذلك ، مماثلة لآنية صناع الأعمدة لدينا ، وتصنع هذه الانية من جلد مغلى فى الشمع ، وان كان ذلك يتم بقدر اقل من العناية ، برغم هذا .

ولدى المصريين كذلك جرار تكاد تكون من نفس الجلد ، لكنها صنعت على نحو خشن بعض الشيء ، ويستخدمها تجار الزيوت لاحتواء الزيت الذى يبيعونه بالقطاعى .

فن صناعة جلود السختيان (*)

يصنع المصريون الجلود التى يخصصونها لصنع مايسميه الناس « بالمزكوب » بأكبر قدر من العناية والحذق ، وهذه هى جلود التيوس والخراف والماعز .

وتمر هذه الجلود على التوالى ، بعد معالجتها بالجير ، وبعد أن تكشط وتشذب بأحواض مليئة بالمياه كى تغمس فيها ثم تغسل وتداس بالأقدام ، وبعد ذلك تكشط وتغسل ، ثم يكشط وجهها بشكل عكسى ، وتداس بالأقدام ، ويسوى وجهها باتقان ثم تعلق كى يتساقط ما بها من ماء .

وبعد ذلك ، ولكى تتم تطرية الجلد ومطه بعد أن ايبسه الجير بعض الشيء ، يوضع فى نقيع مغلى من زبل الحمام حيث يدلك به بقوة ،وحيث يترك لمدة ساعات ، ومن ثم يغمس ، الواحد بعد الآخر فى محلول من نقيع العفصة ومسحوق ثمار السنط ، وبعد أن يترك منقوعا فى هذا المحلول لمدة تتراوح بين ٢٥ و ٣٠ ساعة ، يداس بالأقدام لمدة ساعتين .

جلد السختيان الأحمر

عند اخراج الجلود التى يراد اعطاؤها اللون الأحمر من النقيع الذى استخدم فى دباغتها ، توضع لمدة يومين فى عقد من النخالة ، وبعد غسيلها، تمر بنقيع التين حيث تترك لتعطن وتظل منقوعة لمدة أربع وعشرين ساعة، وفى نهاية هذه المدة ، يغسل كل جلد ثم يرش بالملح ، ثم يكدسونها لعدة أيام ، فاذا ما استشعرت أية بادرة تخمر فانهم يوقفونها بالقاء الجلود فى الماء ثم يغسلونها لسبع أو ثمانى مرات مختلفة ، وفى كل مرة تستخدم

(*) وهى جلود الماعز مدبوغة وملونة (المترجم) .

مياه جديدة ، ثم تبرم الجلود (تصنع منها لفافة) وتبسط ، ثم تدهن ثلاث مرات بواسطة قطعـــة من الاسفنج أو كرة من القطن ، على وجهها باللون الأحمر المعــد من القرمزية والشبة .

وبعد أن تصبغ الجلود على هذا النحو ، تغسل ، وتبرم ، ثم توضع فى نقيع قابض ، مكوناته هى مكونات النقيع الذى استخدم عند بدء عملية الدبغ ، وبعد أن تمكث الجلود بهذا النقيع وقتا كافيا (١) ، يغسلونها ثم يبسطونها ، وبعد ذلك يدلكون مسطحها (من ناحية الشعر) بيد منداة بزيت السمسم ، حتى تصبح لامعة ومصقولة .

جلد السختيان الأصـــفر

لا تمر الجلود المخصصة لكى تصبغ باللون الأصفر قط بنقيع النخالة والتين والملح ، ولــكنها توضع مباشرة ، بعد عملية الدباغة الأولى ، فى نقيع ثان ، ومن هنـــاك ، وبعد أن تغسل وتداس وتبرم أو تلف وتجفف بشكل جزئى ، تبسط لتحصل على طبقتين من صباغة صفراء تصـــنع من سائل هوخليط من حبوب Avignon والشبة المصحونة ، ولابد ان يحرص العامل عند طبقة من الصبغة أن يطوى الجلد وجها لوجه وان تصف الجلود على هيئـــة اكوام حتى يتوغل فيها اللون ، وبعد ذلك تجفف الجلود وتسوى من الداخل (من جهة اللحم) ، ثم تصقل من ناحية الوجه بواسطة العصا .

السختيان الأخضر

يحرص صـــانع جلود السختيان المصرية على اخفـــاء سر اعـــداد اللون الأخضر ، لــكننا نظن أن هذا اللون (أو هـــذه الصـــبغة) ليست سوى محلول الجنزار (صـــدأ النحاس) مذاب فى ميـــاه حمضية بسبب مابها من درديات حمض البوتاسيوم ، وربمـــا أضـــيف الى ذاك قليل من صبغة النيـــلة .

---

(١) يكتسب جلد السخيتان ، فى هذه النقعة الثانيـــة الحبوب التى تصنع جماله الخاص والتى ليست سوى أثر من فعل (الـــكرمشة) التى تعترى بشرة أو ادمة هذا الجلد .

السختيان الأسود

يصبغ السختيان باللون الأسود بعد ان يمر بعملية النقع الأولى ، وذلك بخليط من اتربة أملاح حمضية (سلفات الحديد والنحاس وحامض الكبريتيك) ، يطلق عليها بلغة أهل البلاد اسم جاز ، بالاضافة الى العفصة أو ثمرات السنط على شكل مسحوق ، وتكفى طبقة واحدة ،لذلك فلابد أن يغسل الجلد على الفور خشية أن يحترق بالصبغة ، وعندما يصبح الجلد جافا ، يدلك وجهه بزيت الكتان (١) .

فن تجهيز الجلود على الطريقة الهنجارية (المجرية)

يقوم الصانع هنا بصنع جلد متين دون أن يلجأ فى اعداده لا الى ماء الجير ولا الى المحلولات أو السوائل اللاذعة او الحمضية ، ولا الى المادة القابضة (العفصة أو لحاء البلوط) ، وقد يحل الشبة والملح محل المادة الأخيرة ، ويمزج بهذا الجلد كمية هائلة من الودك أى شحم الأمعاء.

أما الأساليب التى تتبع فى هذا الفن فمجهولة تماما فى مصر ، اللهم الا اذا كانت الطريقة التالية تقدم لنا شيئا من التماثل مع هذه الأساليب .

يؤخذ جلد عجل وهو طازج ، ويبسط بحيث يكون الشعر الى أسفل، ويوضع فوق ارض متربة لأحد الأفنية أو أحد الشوارع (٢) ، ويغطى الجلد بمزيج يتكون من نسب متساوية من الرماد وموريات الصودا منفصلة عن ملح البارود ، ولتأكيد وتسهيل ذوبان أملاح هذا المزيج واختراقه للجلد ، ولكى يكتسب الجلد فى الوقت نفسه نوعا من المرونة ، توطأ الجلود بالأقدام فى البداية ، ثم تترك معرضة للشمس ، ولضغط أقدام المارة وهم يعبرون .

وعندما ينفد المزيج الذى يغطى الجلود أو يتبعثر ، فانهم يجددونه ،

---

(١) يقال انهم فى الشرق يستخدمون نبات الرلول ذا الأوراق آسية الشكل (وهو الريحان الشامى) Coriaria فى دبغ الجلود وصبغها باللون الأسود ، كما يقال بأن الجلود تدين لهذا النبات بخاصية تفوقها، وان كنا لم نعرف قط ان هذا النبات ينتشر استعماله فى مصر .

(٢) ليست الأرصفة ولا الأفنية مرصوفة فى مصر (أى انها كلها متربة)

وحين يصبح الجلد بالغ الجفـــاف ، يستخدم ، وهـــو محتفظ بشـــعره ، كدواسات فى المدارس او المساجد (١) .

فن صـــناعة الرقوق

تنحصر الوسيلة المتبعة عادة فى صنع الرقوق فى وضع سائل كثيف من الجير المغلى عشية القيـــام بهذه العملية ، على الجلد وهو منبسط ، ثم يتم انتزاع الشعر منه بعد ساعتين من استمرار وجود الجير عليه ،وبعد ذلك يقلب لمـدة ساعتين فى ماء الجير ، ويغسل جيـدا ثم يبسـط فوق سقيفة ، وبعد ذلك كله يكشط (لانتزاع اللحم والعروق) بعد رشه بجير مصبوغ ، ثم يغسل وهو فى مكانه بواسطة قطعـــة من الاســـفنج ، ثم يجفف على الفور ، وبسرعة ، ثم يؤخذ كل جلد بمفرده لـــكى ينتزع لحاؤه او سطحه الخارجى بواسطة حديدة قاطعـــة ، وفى النهـــاية يصقل وتحدد علامات يتم القطع عندها ، وبعد ذلك يتم تفسيخه لتصنع منه الاوراق .

ويحتمل الا يكون المصريون يتبعون هذا الأسلوب بتمامه ، وبطريقـــة تمكنهم من التزود بالرقوق الجميـــلة التى يستخدمونها فى الـــكتابة ، بل يحتمل انهم لا يصنعون الرقوق التى يستخدمونها فى هذا الغرض وان كان من المؤكد انهم يصنعون الرقوق الشائعـــة ، وتستخدم انواع كثيرة من الجلود ، مثل جلود الخيل والحمير من اجل صنع الطبول الضـــخمة التى تحمل على ظهور الجمـــال . كما تستخدم جلودالمـــاعز والأيائل السمراء لصنع الطبـــول الصـــغيرة ، وقـــد رأينـــاهم يصـــنعون اغطيـــة غمـــد سيوفهم وخنـــاجرهم على شكل رق وليس فى هيئـــة جلود محببة (٢) ، ويصنعون ذلك من جلود ارداف الحمير ، وهم يصبغونها بعد تحبيبها بواسطة

---

(١) لهذا الاعداد المتبع فى مصر بالنسبة لجلود الثيران بعض شـــبه بالإعداد الذى يتم عندنا بالنسبة لجلود العجول المستخدمة فى صنع حقائب الظهر او حقائب الشغل والتى نسميها العجول ذات الشعر **Veaux à Poils** اذ تصفى دماء هذه الجلود ثم تكشط ، وتداس فى الشبة والملح البحـــرى مرتين مختلفتين ، وبعد ذلك توضع فوق حامل لتفتح وهى نصـــف جافـــة بواسطة السكين المستديرة .

(٢) الجلود المحببـــة هى نفسها الجلود المرشوشة بمسحوق حبوب الخردل بشكل خفيف .

مثقاب ينتهى طرفه بنقرة صـــغيرة ، كما أن غرابيلهم (١) تصنع من سيور رق مصنوع من جلود الجمـــال والبغـــال ، كذلك شاهدناهم فى النهـــاية يستخدمون فى أغراض عدة نوعا من الرقوق يعـــرفون كيف يعطونه لونا أخضر بالغ الجمال وبالغ الثبات فى الوقت نفسه .

فن دباغـــة الجلود الرقيقة

لا يقـــدم هـــذا الفن ، بالطريقة التى يتم بها فى مصر أى فرق (عن الدباغة كما وصفناها) اللهم فى أنه أكثر تطورا ، وهم هنـــاك يعـــدون الجلود للـــكشط ، على نحو قريب مما نفعل نحن فى أوربا ، ثم يمطونه ويطرونه بواسطة معجون النخـــالة ، وبعد ذلك يمررونه فى محلول الشبة، ويبيضونه عن طريق وضعه فى سائل مغلى يتكون من دقيق الحنطة وصفار البيض وجزء من محلول الشـــبة الـــذى لم يتشربه الجلد ، ثم يجففـــونه ويشدونه .

أما الجلود التى يراد لها أن تظل بوبرها أو صوفها فتغسل ،وتسوى حوافهـــا ، وتكشط ، وتوضـــع فى عجينـــة النخـــالة ، ثم تلطخ بالطين وتشبب ، وتغطى من ناحية اللحم بعجينـــة من الدقيق والشبة وصـــفار البيض ، وتغسل ، وتبسط ، وتجفف ، ثم تبلل ، وبعد ذلك تطوى طيـــة واحدة ، وترص بعضـــها فوق بعض ، وتحمل بالأحجار (كثقـــالات) ثم تفتح لتوضع فوق حمالة، وتسوى مرة أخرى ،وتجفف بحيث يكون الصوف هو المعرض للهواء ، وأخيرا تشذب .

ويمكن أن نعـــد جلود الـــكلاب من بين تلك التى يعـــدها المصريون بشعرها ، وهم هنـــا يسلخون الحيوان ، مع الاحتفـــاظ بالجلد كاملا ، كما نفعل نحن بجلود الأرانب ، ومع ذلك فحيث أننـــا لم نر هـــذا الجلد قط وهو يجهز ، وحيث أننا نعرف أنه يتخذ شكل الحقيبة، وأنهم يستخدمونه، فى شكله هـــذا ، فى احتواء الزئبق ، فاننـــا نرجح أنهم ، بعد أن يشببوه

---

(١) وهى ليست مثقوبة مثل الغرابيل لدينـــا بواسطة مجوب (كسرة فسكون ففتحة) ، وهو أداة لانتزاع قطع (صغيرة) من المعـــادن والجلود .. الخ .

(أى يعالجونه بالشبة) على طريقـــة المرط (*) ، يرطبونه بالزيت بنفس الأسلوب المستخدم فى صنع الجلود الشموازيه .

ملخص

يتضح مما قلناه عن مختلف تجهيزات الجلود فى مصر :

١ — أن المصريين يستخدمون المـــاء ، ليس فقط لغسل الجلود ،وانما كذلك للتخلص من الأليـــاف التى تدخل فى تكوينها ، وكذلك لكى يخلصوا هذه الجلود من السوائل الحيوانية القابلة للتعفن ، والتى هى مترعة بها .

٢ — وانهم يجعلون هذا المـــاء اكثر فاعلـــية واشد نفاذا عن طريق اضـــافة الجير الذى يعرفون ماله من خاصية فى منع تعفن الجزء الليفى ، وفى اكساب المـــاء صـــفات ننسبها الى مايؤدى اليه الجير من فقـــد الماء لمـــا به من أوكسجين .

٣ — وأنهم بعد أن يغسلوا ويمطوا ويكشطوا الجلود ، يعرفون على نحو قريب مما نعرف كيف يجعلونها يابسة اما بواسطة المـــادة الدابغة أو عن طريق الشبة والملح بل كذلك بمجرد عملية تجفيف بسيطة ، وأنهم يعرفون كيف يكسبونها المرونة إما باتباع اسلوب الدوس واما بأن يدمجـــوا بهـــا الشحوم ، كما أنهم فى النهاية يعرفون كيف يصبغونها .

(*) أى دبغ الجلود بالأملاح المعدنية (المترجم) .

كتب أخرى للمترجم

أولاً : فى مجال الأدب :

١- المطاردون (مجموعة قصص قصيرة) .

٢ - حكايات من عالم الحيوان .

٣ - المصيدة (مجموعة قصص قصيرة) .

٤ - موتى بلا قبور (مسرحية تأليف چان بول سارتر) .

٥ - السماء تمطر ماء جافا . .

(رواية تسجيلية تتناول وقائع الوحدة المصرية السورية وانفصالها) .

ثانيا : فى مجال التاريخ :

١ - تطور مصر من ١٩٢٤ إلى ١٩٥٠ . تأليف مارسيل كولمب .

٢ - فصول من التاريخ الاجتماعى للقاهرة العثمانية . تأليف أندريه ريمون .

ثالثا : الترجمة العربية الكاملة لموسوعة وصف مصر
تأليف علماء الحملة الفرنسية .

١ - المصريون المحدثون .

٢ - العرب فى ريف مصر وصحراواتها .

٣ - دراسات عن المدن والأقاليم المصرية .

٤ - الزراعة ، الصناعات والحرف ، التجارة .

٥ - النظام المالى والإدارى فى مصر العثمانية .

٦ – الموازين والنقود .

٧ – الموسيقى والغناء عند قدماء المصريين .

٨ – الموسيقى والغناء عند المصريين المحدثين .

٩ – الآلات الموسيقية المستخدمة عند المصريين المحدثين .

١٠ – مدينة القاهرة – الخطوط العربية على عمائر القاهرة .

رابعاً : لوحات موسوعة وصف مصر :

١ – المجلد الأول والثانى للوحات الدولة الحديثة .

٢ – المجلد الأول من لوحات الدولة القديمة .

خامسا : من موسوعة وصف مصر :

(دراسات مختارة من الموسوعة فى كتيبات)

١ – كيف خرج اليهود من مصر القديمة .

٢ – مدينة الأسكندرية .

٣ – مدينة رشيد .

تحت الطبع

– مقياس الروضة .

– القاهرة المملوكية .

– بقية مجلدات لوحات موسوعة وصف مصر .

– بقية الدراسات المختارة من موسوعة وصف مصر .

